117

أجاثا كريستي

Agatha Christie

بوارو يحل غموض

أبجدية القتل

أجاثا كريستي Agatha Christie

أبجدية القتلى



أجاثا كريستي

«أفضل روائية كتبت عن الجريمة».

بايستندار

«موهبتها نتاج عبقرية خالصة».

توركويمادا

«لا يملك المرء إلا أن يثني عليها كل الثناء».

سكتش

30/7/2011

Riyadh



مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore ...ليست مجرد مكتبة

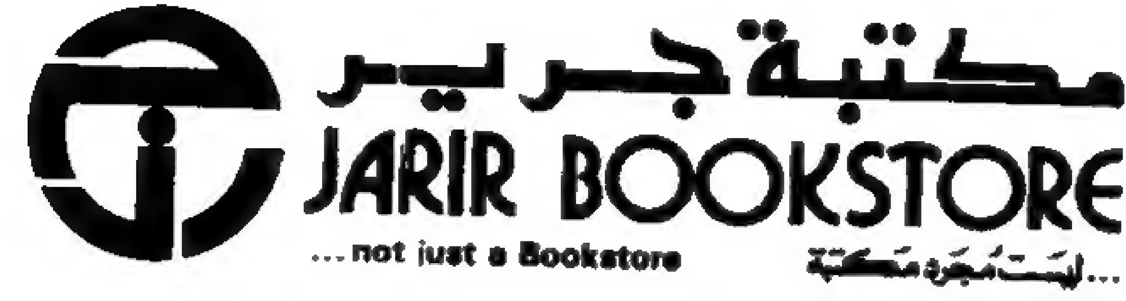
6 281072 055448
282204184

أجاثا كريستي

بوارو يحلّ غموض

أبجدية القتلى

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...ليست مجرد مكتبة
...not just a Bookstore



للتعرف على فروعنا في

المملكة العربية السعودية - قطر - الكويت - الإمارات العربية المتحدة

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت www.jarirbookstore.com

للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: jbpublications@jarirbookstore.com

إعادة طبع الطبعة الثانية ٢٠٠٩

المملكة العربية السعودية ص.ب.٣١٩٦ الرياض ١١٤٧١ - تليفون ٩٦٦١٤٦٢٦٠٠٠+ - فاكس ٩٦٦١٤٦٥٦٣٦٣+

Agatha Christie™

Poirot solves

THE ABC MURDERS

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
... not just a Bookstore ...ليست مجرد مكتبة

المحتويات

المحتويات

هذه هى القصة

تركت هذه الرواية ، التى تعد أكبر نجاح أدبى لأجاثا كريستى وأحد الأعمال الكلاسيكية فى أدب الجريمة ، بصمة كبيرة وجديدة فى تاريخ القصص البوليسية . ولقد كانت فكرة القصة فى مثل رونق تنفيذها . فالقاتل فى هذه القضية هو شخص مجنون بكل وضوح ، فمن الواضح أنه يسلك طريقه للوصول إلى ضحاياه بناءً على الترتيب الأبجدى للحروف الإنجليزية . ففى البداية ، بدأ بحرف (A) فقتل السيدة آشر فى مدينة أندوفر . ثم تلاها بحرف (B) فشنق بيتى برنارد على شاطئ بيكسهيل . أما بالنسبة لحرف (C) فقد اختار ضحيته السيد كارمايكل كلارك من تشرستون . ولكى يضع على جرائمه إمضاءه الشخصى كان يترك بجانب الجثة فى كل حادثة دليل سكة حديد مفتوحًا على اسم المكان الذى وقعت فيه الجريمة . فإلى أى مدى سيصل فى جرائمه فى الحروف الأبجدية . كان يبدو أنه لن يتمكن أحد من القبض عليه . ولكنه ارتكب خطأ ، وهو الخطأ الذى يرتكبه كل المجرمين ، عندما تحدى بدافع من غروره الخالص قدرة السيد بوارو على إحباط خططه .

وفيما يتعلق بفك لغز الجرائم الأبجدية ، يمكنني فقط القول إنني أرى أن بوارو قد أظهر عبقرية فذة في الطريقة التي تعامل بها مع مشكلة تختلف تمامًا عن أي جريمة صادفته من قبل .

الفصل ١

الرسالة

عدت فى شهر يونيو من عام ١٩٣٥ إلى أرض الوطن قادمًا من مزرعة الماشية خاصتى فى أمريكا الجنوبية والتى قضيت بها ستة أشهر تقريبًا . كان وقتًا عصيبًا علينا هناك . فمثل الآخرين عانينا من الكساد العالمى . وكان هناك بعض الأمور يلزم علىّ القيام بها فى إنجلترا شعرت بأنه لن يكتب لها النجاح إلا من خلال مباشرتى لها شخصيًا وبقيت زوجتى هناك لتتولى أمر المزرعة .

أود أن أذكر أن واحدًا من الأعمال التى قمت بها فور وصولى إلى إنجلترا هو الاتصال بصديقى القديم هيركيول بوارو .

ولقد وجدته يقيم فى شقة على أحدث طراز فى لندن . واتهمته (وأعترف بذلك) بأنه اختار هذا المبنى على الأخص بسبب تصميمه وشكله الهندسى الدقيق والمتناسق .

قال بوارو : " بالفعل ، يا صديقى ، إنه تناسق مبهج للغاية ، ألا تراه كذلك ؟ " .

قلت إننى أعتقد أنه كان يجب أن يكون هناك مزيد من الأشكال المربعة ، وألمحت إلى نكتة قديمة ، متسائلاً عما إذا كانوا قد استطاعوا فى هذا المبنى أن يجعلوا الدجاج يضع بيضًا مربعًا ؟

ضحك بوارو من كل قلبه .

قال : " آه ، هل تذكر ذلك ؟ للأسف ! لم يستطع أى علم إغراء الدجاج على التوافق مع الأذواق الحديثة ، فما زال الدجاج يضع بيضًا بمختلف الأحجام والأشكال !

تفحصت صديقى بعين حانية . فقد كان يبدو فى صحة رائعة ـ فلم يبد عليه الكبر يومًا واحدًا منذ آخر مرة رأيته فيها .

قلت : " تبدو فى صحة جيدة يا بوارو ، لا يبدو عليك الكبر تقريبًا . فى الواقع ، إذا جاز ذلك ، سأقول إن الشعر الأبيض فى رأسك أقل من آخر مرة رأيتك فيها " .

ابتسم إلى بوارو .

قال : " ولِمَ لا يكون ذلك ممكنًا ؟ فهذا صحيح" .

" هل تعنى أن شعرك يتحول من اللون الرمادى إلى اللون الأسود بدلاً من التحول من اللون الأسود إلى الرمادى ؟ " .

" تمامًا " .

" ولكنّ ذلك أمر مستحيل من الناحية العلمية " .

" على الإطلاق " .

" ولكن ذلك أمر فى منتهى الغرابة . فهو يخالف قوانين الطبيعة " .

" كالعادة ، يا هاستنجز ، تتميز بتفكيرك الجميل وحسن نيتك التى لاشك فيها . ولم تغير سنوات العمر

ذلك ! فأنت تدرك حقيقة ثم تذكر الحل فى نفس اللحظة دون أن تلحظ أنك تقوم بذلك ! " .

دققت النظر فيه ، متحيرًا .

ودون أن ينبس بكلمة واحدة دخل حجرته ، ثم عاد وهو يمسك بزجاجة فى يده قام بإعطائى إياها .

تناولتها ، وأنا لا أفهم .

كان مكتوبًا عليها :

صبغة شعر ريفيفيت ـ *لإعادة اللون الطبيعى إلى شعرك . ريفيفيت ليست مجرد صبغة . متوفرة فى خمسة ألوان ، رمادى ، كستنائى ، أسود مشوب بالحمرة ، بنى ، أسود .*

صرخت قائلاً : " لقد صبغت شعرك ! " .

" ياه ، لقد أتاك الفهم أخيرًا ! " .

" *ولهذا* السبب يبدو شعرك أكثر سوادًا عن آخر مرة عدت فيها " .

" بالضبط " .

" يا إلهي " قلت هذا وأنا أفيق من دهشتي .

ثم أردفت : " أعتقد أنه عندما أعود المرة القادمة سأجدك تضع شوارب مستعارة ـ أو هل تفعل ذلك الآن ؟ " .

قطب بوارو حاجبيه . فشاربه كان دائمًا موضوعًا حساسًا بالنسبة له . فقد كان فخورًا به بدرجة كبيرة . ولمست كلماتي وترًا حساسًا لديه .

أجابني قائلاً : " لا ، لا ، حقًا ، يا صديقى . وأدعو الله ألا يأتى مثل ذلك اليوم . شوارب مستعارة ! ياله من أمر مرعب ! "

ثم شد شاربه بقوة ليؤكد لى أنه غير مستعار .

قلت " حسنًا ، مازال قويًا " .

" بالطبع . فلم أر فى لندن كلها شاربًا مثل شاربى " .

قلت فى نفسى ، ووظيفة جيدة أيضًا . ولكن ما كنت لأجرؤ على جرح مشاعر بوارو بقولى هذا .

وبدلاً من ذلك سألته ما إذا كان مازال يمارس مهنته من آن لآخر .

قلت : " أعلم أنك قد تقاعدت بالفعل منذ سنوات ـ " .

قاطعنى قائلاً : " هذا صحيح . لكى أزرع القرع ! ولكن سرعان ما وقع حادث اغتيال ـ وتركت القرع يذهب إلى الجحيم . ومنذ ذلك الوقت ـ أعلم جيدًا ما ستقول ـ فأنا مثل المغنية الأولى فى الأوبرا التى تتألق فى عرض الوداع ! ذلك العرض الذى يتكرر لعدد غير محدود من المرات ! " .

ضحكت .

أردف بوارو قائلاً : " فى الحقيقة ، الأمر يشبه ذلك . فكل مرة أقول فيها هذه هى النهاية . ولكن شتان ، يظهر شىء آخر ! وللحق ، يا صديقى ، فأنا لا

أهتم بالتقاعد على الإطلاق . فهذه الخلايا الرمادية الصغيرة إذا لم تعمل فسوف تصدأ " .

قلت : " فهمت ، فأنت تدربها باعتدال " .

" تمامًا . فأنا ألتقط وأتخير . فـ هيركيول بوارو هذه الأيام يأخذ صفوة الجرائم فقط " .

" هل كان هناك كثير من هذه الصفوة ؟ " .

" بالتأكيد ، فمنذ فترة بسيطة أفلت بأعجوبة " .

" من الفشل ؟ " .

بدت على بوارو علامات الدهشة وقال : " كلا ، كلا ، ولكن أنا ـ أنا ، هيركيول بوارو ، كنت على وشك الفناء " .

أطلقت صفيرًا .

قلت : " قاتل جريء ! " .

قال بوارو : " ليس جريئًا بقدر ما هو مهمل . تمامًا كذلك ـ مهمل . ولكن دعنا من الخوض في ذلك . فأنت تعلم يا هاستنجز بأننى أعتبرك فألاً حسنًا بالنسبة لى لسنوات " .

" أحقًا ؟ كيف ؟ " .

لم يرد بوارو على سؤالى مباشرة . وواصل الكلام :

" بمجرد سماعى أنك قادم إلى هنا قلت لنفسى : سيحدث شيء ما . فسوف نتولى إحدى القضايا معًا كسابق عهدنا . ولكن إذا كان الأمر كذلك فمن المؤكد أنه أمر غير عادى . فلابد أن يكون شيئاً " ـ ثم لوح بيديه فى

حماس - " شيء منتقى - دقيق - رائع ... " وأعطى للكلمة الأخيرة مذاقًا قويًا .

قلت : " أقسم يا بوارو أن أى إنسان يسمعك سوف يظن أنك تطلب لنا عشاءً فى فندق الريتز " .

" ولكن ألا يستطيع المرء أن يطلبٍ جريمة ؟ صحيح جدًا " ، ثم تنهد بوراو وأردف قائلاً : " ولكننى أومن بالحظ - والقدر . فقد قُدِّرَ لك أن تقف بجانبى وأن تمنعنى من الوقوع فى الخطأ الذى لا يغتفر " .

" ما هذا الذى تسميه الخطأ الذى لا يغتفر ؟ " .

" إغفال ما هو جَلِّى " .

أدرت هذا الكلام فى ذهنى دون أن أفهم ما يعنى .

قلت وأنا أبتسم ساعتها : " حسنًا ، ألم تظهر هذه الجريمة الخارقة بعد ؟ " .

" ليس بعد . على الأقل ... أعنى ... " .

توقف عن الكلام . وظهرت عليه علامات حيرة عقد معها جبينه . ودفعت يداه بشكل تلقائى شيئًا أو شيئين قمت بتنحيتهما جانبًا .

قال ببطء : " لست متأكدًا " .

كان هناك شيء غريب فى نبرة صوته جعلنى أنظر إليه فى دهشة .

كان وجهه لايزال متجهمًا .

وفجأة وبإيماءة سريعة وقاطعة برأسه اتجه عبر الحجرة إلى منضدة بالقرب من النافذة . أود القول إن محتوياتها

كانت مصنفة ومرتبة بدقة متناهية ، ولذلك استطاع على الفور أن يضع يده على الورقة التى أرادها .

اتجه صوبى ببطء وفي يده رسالة . قرأها بصمت ، ثم ناولنى إياها .

قال : " أخبرني ، ياصديقي ، ماذا تفهم من هذه ؟ " .

أخذتها منه باهتمام .

كانت الرسالة مكتوبة على ورق سميك أبيض بحروف مطبوعة :

السيد هيركيول بوارو ، تعتبر نفسك قادرًا على فك غموض القضايا التى يصعب على أفراد الشرطة البريطانية بطيئى الفهم التعامل معها ، أليس كذلك ؟ فلتظهر لنا يا بوارو الذكى مدى ذكائك . من المحتمل أن يصعب عليك حل هذه العقدة . استعد لأندوفر فى ٢١من هذا الشهر .

المخلص لك

" إى ، بى ، سى "

دققت النظر على المظروف ولكنه كان مطبوعًا أيضًا .

قال بوارو عندما حولت انتباهى إلى الخاتم البريدى خاتم بريد دبليو . سى " حسنًا ، ما رأيك ؟ " .

هززت كتفى وأنا أناوله الرسالة مرة أخرى .

" أعتقد أنه شخص مجنون أو ما شابه ذلك " .

" أهذا كل ما يمكنك قوله ؟ " .

" ألم يبد لك أنه شخص مجنون أيضًا ؟ " .

" نعم ، ياصديقى ، يبدو لى ذلك " .

كانت الجدية واضحة فى نبرات صوته . ونظرت إليه بفضول .

قلت : " أنت تعطى الأمر أهمية أكبر مما يستحق يا بوارو" .

" المجنون ، يا صديقى ، لابد من التعامل معه بكل جدية ، فهو شخص خطير " .

" نعم ، بالطبع ، هذا صحيح . . . . أنا لم أضع هذه النقطة فى الحسبان . . . . ولكن ما عنيت هو أن الأمر لا يتعدى أحد أنواع الحيل التافهة . من الممكن أن يكون شخصًا أحمق شرب واحدًا بعد الثامن " .

" كيف ؟ تسعة ؟ تسعة ماذا ؟ " .

" لا شىء ـ فقط تعبير يقال . أقصد شخصًا ثملاً . لا ، تبًا لى ، شخص أفرط فى الشرب " .

" شكرًا ، يا هاستنجز ـ فأنا سمعت التعبير " ثملاً " من قبل ، أنت على حق ، ربما ليس فى هذا الأمر أكثر من أن . . . " .

أدهشتنى نبرة عدم الاقتناع فى صوته ، وسألته : " ولكنك تعتقد أن هناك شيئاً ما ؟ " .

هز بوارو رأسه بطريقة توحى بالشك ، ولكنه لم يتكلم .

تساءلت : " وماذا فعلت أنت فى ذلك ؟ " .

أجاب : " ماذا يستطيع المرء أن يفعل ؟ عرضت الأمر على جاب . وكان رأيه مطابقًا لرأيك تمامًا ـ حيلة تافهة ـ هذا هو التعبير الذى استخدمه . فهم يتلقون هذه الأشياء فى سكوتلانديارد كل يوم . وأنا نلت نصيبى أيضًا منها ... " .

" ولكنك مهتم بهذه الرسالة بدرجة كبيرة ، أليس كذلك ؟ " .

أجاب بوارو ببطء :

" يوجد شىء لا أستريح له فى هذه الرسالة ياصديقى . . . " .

أثرت نبرة حديثه فىّ رغمًا عنى .

" وأنت تعتقد ماذا ؟ " .

هزّ رأسه ، ثم التقط الرسالة ووضعها فى الدرج مرة أخرى .

سألته : " إذا كنت تأخذ هذا الأمر باهتمام ، ألا يمكنك القيام بشىء ؟ " .

" كالعادة دائمًا ، رجل الأفعال ! ولكن ماذا هناك لأقوم به ؟ فلقد رأت شرطة المقاطعة الرسالة ولكنهم أيضًا ، لم يأخذوا الأمر بجدية . فليس عليها أى بصمات . ولا يوجد أدلة تدل على الكاتب المحتمل للخطاب " .

" هل تعتمد على غريزتك فقط ؟ " .

" ليست الغريزة ، يا هاستنجز . الغريزة ليست الكلمة المناسبة . إنها *درايتى- خبرتى* - التى تنبئنى بأن هناك شيئاً غريبًا فى هذه الرسالة - " .

أومأ برأسه عندما لم تسعفه الكلمات ، ثم هزّ رأسه ثانية .

" ربما أبالغ فى تقدير الأمور . على أى حال ليس هناك أى شيء أقوم به سوى الانتظار " .

" حسنًا ، الحادى والعشرون من الشهر هو يوم الجمعة . وإذا وقعت عملية سرقة كبيرة بالقرب من أندوفر عندئذٍ ـــــ " .

" آه ، سيكون أمرًا مريحًا للغاية ـ ! " .

حدقت إليه النظر قائلاً : " مريحًا ؟ " فقد استخدم كلمة فى منتهى الغرابة .

قلت معارضًا : " عملية السرقة قد تكون أمرًا مثيرًا ولكن من الصعب أن تمثل راحة ! " .

هزّ بوارو رأسه بقوة .

" خطأ ، يا صديقى . فأنت لم تفهم ما أهدف إليه . تصبح السرقة أمرًا يدعو للراحة لأنها ستخلص تفكيرى من الخوف من شيء آخر " .

" من ماذا ؟ " .

قال هيركيول بوارو : *" القتل "* .

الفصل ٢

هذا الجزء ليس من الرواية الشخصية للنقيب هاستنجز

نهض السيد ألكساندر بونابرت كاست من مقعده وأخذ يحدق بنظره إلى حجرة النوم القديمة . كان ظهره مازال متيبسًا بسبب الجلوس في وضع غير مريح . وبينما هوٍ يمدد قوامه قد يلحظ الناظر إليه أنه كان رجلاً طويل القامة . وكان انحناؤه وحملقته يعطيان انطباعًا مضللاً .

وعندما مد يده داخل معطف معلق وراء الباب ، أخرج من الجيب علبة سجائر رخيصة وبعض أعواد الثقاب . أشعل سيجارة وعاد مرة أخرى إلى المنضدة التى كان يجلس عليها . ثم قام بالتقاط دليل السكة الحديد ونظر فيه ثم عاد إلى التدقيق فى قائمة أسماء مطبوعة . وقام بوضع علامة بالقلم قبالة أول الأسماء الموجودة فى القائمة .

اليوم هو الخميس ٢٠مايو .

الفصل ٣

أندوفر

تأثرت فى ذلك الوقت بهواجس بوارو فيما يتعلق بالرسالة مجهولة الراسل التى استلمها ، وللحق أنى كنت قد نسيت الأمر عندما وصل يوم الحادى والعشرين وأول ماذكرنى به زيارة قام بها المفتش العام " جاب " فى سكوتلانديارد لصديقى . كنا على معرفة بالمفتش جاب ، رئيس قسم الجريمة ، منذ سنوات ، ولذا فقد قابلنى بترحاب حار .

قال متعجبًا : " ما كنت لآتى إذا لم يكن النقيب هاستنجز قد عاد من هذه المناطق البعيدة أو أيًا كان ما تطلقونه عليها ! مثل الأيام الخوالى أراك مع السيد بوارو . وتبدو فى صحة جيدة ، أيضًا . ماعدا قليلاً من النحول الذى تسلل إلى أعلى رأسك ، أليس كذلك ؟ حسنًا ، وهذا ما سنصير إليه جميعًا . وأنا كذلك " .

قطبت جبينى قليلاً . فقد كان لدى انطباع أنه بسبب الطريقة الدقيقة التى صففت بها شعرى فوق مقدمة الرأس كان النحول الذى أشار إليه جاب غير ملحوظ . مع ذلك ، لم يكن لدى جاب أى حصافة ملحوظة فيما

يخصنى ، ولذلك ابتسمت لقوله واتفقت معه على أننا جميعًا لم نعد صغارًا .

قال جاب : " ماعدا السيد بوارو ، فهو يليق بأن يكون ممثلاً فى إعلان لصبغة الشعر . وشاربه ينمو أفضل من ذى قبل . وفى عمره هذا يظهر فى دائرة الشهرة ، حيث يشترك فى كل القضايا المعاصرة . فهو يشترك فى التحقيق فى حوادث القطارات والطيران وموت مشاهير المجتمع - فهو هنا وهناك وفى كل مكان . ولم يكن بمثل هذه الشهرة قبل تقاعده " .

قال بوارو وهو يبتسم : " لقد قلت لهاستنجز إننى مثل مغنية الأوبرا الأولى التى تستمر فى تقديم عرضها الأخير بلا نهاية " .

قال جاب وهو يضحك من كل قلبه : " لن أتعجب إذا انتهى بك المطاف بالتحقيق فى موتك أنت شخصيًا ، يالها من فكرة . يمكن أن تنشر فى كتاب " .

قال بوارو وهو يغمز إلىّ بعينيه " سيكون هاستنجز هو الذى يتحتم عليه القيام بذلك " .

ضحك جاب قائلاً : " ها ! ها ! ستكون نكتة ، ستكون كذلك بالفعل " .

عجزت عن فهم السبب الذى جعل هذه الفكرة مضحكة للغاية ، وعلى أى حال اعتبرتها دعابة غير ظريفة . فـ " بوارو " ، هذا الشخص العجوز المسكين ،

قد جرى به العمر ، والنكات عن اقتراب موته غير محببة إليه .

من المحتمل أن سلوكى قد أظهر مشاعري، حيث قام جاب بتغيير الموضوع .

قال جاب متسائلاً : " هل سمعت بموضوع الرسالة المجهولة التى تسلمها بوارو ؟ " .

قال صديقى : " لقد عرضتها على هاستنجز منذ بضعة أيام " .

أجبته : " هذا صحيح ، ولكنى نسيت . دعنى أر ، ما التاريخ الذى كان مذكورًا فى الخطاب ؟ " .

قال جاب : " الحادى والعشرون ، وهذا سبب زيارتى المفاجئة . فلقد كان أمس هو الحادى والعشرين ، وبدافع الفضول اتصلت بأندوفر مساء أمس . ولقد كان الأمر خدعة بالفعل . لم يحدث شىء . كسرت واجهة محل ـــ صبى كان يقذف بالحجارة ــ وشخصان ثملان مخالفان للقانون ، ولهذا فهذه أول مرة يخطئ فيها صديقنا البلجيكى " .

قال بوارو : " أود الاعتراف ، بأننى أشعر براحة " .

قال جاب بطريقة حانية : " لقد كنت منزعجًا للغاية ، أليس كذلك ؟ بالله عليك ، نحن نتلقى عشرات الرسائل مثل تلك التى جاءت إليك كل يوم ! إنهم أشخاص لا يجدون شيئًا يفعلونه أفضل من كتابة هذه

الرسائل . وهم لا يقصدون أى أذى ! إنهم يفعلون ذلك كنوع من الإثارة فقط " .

قال بوارو : " لقد كانت حماقة منى بالفعل أن أعطى هذا الأمر كل هذا الاهتمام . لقد وضعت أنفى فى عش الخيول " .

قال جاب : " أنت تخلط بين الخيول والدبابير " .

قال بوارو : " ماذا ؟ " .

قال جاب : " مجرد مثلين مأثورين . حسنًا ، يجب على الانصراف . فلدى بعض الأشغال فى الشارع المجاور ـ تسلم جواهر مسروقة . لقد قمت بهذه الزيارة فقط لكى أريح بالك مما يشغله ، من المؤسف أنك أجهدت هذه الخلايا الرمادية الموجودة داخل رأسك بلا داعٍ " .

بهذه الكلمات وضحكة من القلب ، انصرف جاب .

قال بوارو : " لم يتغير كثيرًا ، جاب الطيب ، أليس كذلك ؟ " .

قلت : " يبدو عليه الكبر واضحًا " ، وأضفت بنوع من الخبث : " يتحول شعره إلى اللون الرمادى مثل حيوان الغرير " .

سعل بوارو وقال :

" أتعلم ، ياهاستنجز ، هناك ابتكار بسيط ـ فمصفف شعرى رجل عبقرى جدًا ـ يثبت الواحد منا هذا على فروة الرأس ويمشط شعره فوقه ـ إنه ليس شعرًا مستعارًا ، أتفهم ـ ولكنه ـ " .

صحت قائلاً : " بوارو ، لآخر مرة أقولها ، لا علاقة لى باختراعات حلاقك اللعين . ما الخطأ فى مقدمة رأسى ؟ " .

" لا شىء ـــ لا شىء على الإطلاق " .

" يبدو أنك تعنى أننى سأصاب بالصلع " .

" لا ، بالطبع ، بالطبع لا ! " .

" تسبب فصول الصيف الحارة هناك تساقط الشعر قليلاً . وسوف أستعيد صحة شعرى ببعض مقويات الشعر " .

" بالتأكيد " .

" على كل حال ، ماخطب جاب ؟ لقد كان دائمًا شيطانًا ساخرًا . ثقيل الظل . من نوعية الرجال الذين يضحكون عندما يجذب أحد ما كرسيًا من تحت شخص على وشك الجلوس عليه " .

قال بوارو : " كثير من الناس يضحكون على ذلك " .

" هذا شىء فى منتهى القسوة " .

" هذا صحيح من وجهة نظر الشخص الذى كان على وشك الجلوس " .

" حسناً " ، قلت هذا وأنا أستعيد هدوئى مرة أخرى (أعترف بأننى شديد الحساسية بشأن شعرى الخفيف)

" إننى أشعر بالأسى لأن موضوع هذه الرسالة الغامضة لم ينته إلى شىء " .

قال بوارو : " لقد أخطأت فى هذا الشأن . فلقد كنت أعتقد أن هناك شيئاً فى هذه الرسالة . ولكنه غباء محض . للأسف ، كبرت سنى وبدأت تنتابنى الأوهام ككلب أعمى ينبح على لا شئ " .

قلت ضاحكاً : " إذا كنت سأشترك معك، فلابد من أن نبحث عن جريمة " دسمة " " .

" هل تذكر تعليقك على كلامى منذ عدة أيام ؟ إذا كان بإمكانك أن تطلب جريمة كما يطلب شخص عشاءً ، ماذا ستختار ؟ " .

تجاوبت مع مزاحه .

قلت : " دعنى أر الآن . لنراجع القائمة . سرقة ؟ تزوير ؟ لا، لا أفكر فى ذلك . إنه نباتى أكثر من اللازم . لابد أن تكون عملية قتل ـ قتل مخضب بدماء حمراء ـ مع بعض التوابل بالتأكيد " .

" أمر طبيعى . المقبلات " .

" ومن سيكون الضحية ـ رجل أم امرأة ؟ " رجل على ما أظن ، رجل مهم . مليونير أمريكى . رئيس وزراء . صاحب صحيفة . أما بالنسبة لمسرح الجريمة ـ حسنًا ، لِمَ لا يكون المكتبة القديمة ؟ لا شىء يضاهيها لمثل هذا الجو . وبالنسبة للسلاح ـ حسنًا ، من الممكن أن يكون خنجرًا ملتويًا بشكل غريب ـ أو آلة غير حادة ـ أو دمية حجرية منحوتة ـــ " .

تنهد بوارو

استطردت قـائلاً : " أوه ، نعـم ، يوجـد سم ـ ولكـن ذلك أمر تقليدى للغاية . أو طلقة مسدس تدوى فـى ظـلام الليــل . ثـم لابـد أن تكــون هنــاك فتــاة جميلــة أو اثنتان ــ " .

غمغـم صـديقى قـائلاً : " ذات شـعر بنـى مـشوب بالحمرة " .

" نفس نكتتك القديمة . لابد أن تُتهَم إحـدى الفتيـات الجميلات ظلمًـا ــ وأن يكـون هنـاك خـلاف بينهـا وبـين الشاب . وبعد ذلك بالتأكيد لابد أن يكون هناك مـشتبهون آخرون ـ امـرأة أكبر سنًا ــ حقـودة ، مـن نـوع خطـير ـ وصديق مـا أو منـافس للرجـل القتيـل وسـكرتيرة هادئـة ـ شخصية مغمورة لا تحوم حولهـا الـشبهات ـ ورجـل قـوى ذو طبيعة خشنة ـ واثنان من الخدم أو الحراس أو ماشـابه ذلك طردوا من الخدمة ـ ومخبر أحمق لعين مثـل جـاب ـ وهذا كل شيء " .

قال بوارو : " أهذه فكرتك عن الجريمة الدسمة ؟ " .

" أشعر بأنك لا تتفق معى " .

نظر إلى بوارو بأسى .

قال : " لقد قمت تقريبًا بعمل تلخـيص رائـع لكـل مـا كتب من القصص البوليسية " .

قلت : " حسنًا ، وماذا ستطلب أنت ؟ " .

أغمض بوارو عينيه ثم اتكأ للخلف فى كرسيه . خـرج صوت بوارو من بين شفتيه بهدوء .

" جريمة بسيطة جدًا . جريمة لا تعقيد فيها . جريمة داخل منزل هادئ ... تتم بكل هدوء ـ حميمة جدًا " .

" كيف يمكن أن تكون الجريمة حميمة ؟ " .

تمتم بوارو " تخيل أن أربعة أشخاص جلسوا للعب البريدج وجلس أحدهم على كرسى بجانب المدفأة . فى نهاية السهرة وُجِدَ هذا الرجل بجانب المدفأة مقتولاً ، حيث قام أحد الأشخاص الأربعة عندما نفدت بطاقات لعبه بالتوجه إليه وقتله ولم يلحظ الثلاثة الآخرون ذلك لانشغالهم فى اللعب . ها هى جريمة أمامك ! فأى الأربعة هو القاتل ؟

قلت : " حسنًا ، لا أرى أى إثارة فى ذلك ! " .

رمقنى بوارو بنظرة ملؤها التأنيب .

" لا ، لأنه لايوجد خناجر ملتوية بشكل غريب، ولا عمليات ابتزاز ، وحجر كريم مسروق ، ولا السم الشرقى الذى لا يترك أثرًا فى الجسم . إنك تتمتع بروح ميلودرامية ، يا هاستنجز . فأنت لا تقنع بعملية قتل واحدة، بل سلسلة من عمليات القتل " .

قلت : " أعترف بأن عملية قتل ثانية فى كتاب تضفى نوعًا من الإثارة على الأحداث . أما إذا وقع القتل فى الفصل الأول ، وكان عليك متابعة حجة غياب كل شخص عن مكان الحادثة حتى الصفحة قبل الأخيرة ، سيصبح الأمر مملاً للغاية " .

دق جرس الهاتف ونهض بوارو ليرد .

قال " ألو ، ألو . نعم ، أنا هيركيول بوارو " .

استمع بوارو للهاتف لدقيقة أو اثنتين وبعد ذلك لاحظت تغييرًا على قسمات وجهه .

كان كلامه في المحادثة التليفونية مختصرًا وغير مترابط .

" ولكن نعم ... " .

" نعم ، بالتأكيد ... " .

" ولكن نعم ، سوف نأتي ... " .

" طبيعي ... " .

" ربما يكون كما تقول ... " .

" نعم ، سأحضرها . إلى اللقاء " .

وضع سماعة الهاتف ثم عبر الحجرة تجاهي .

" لقد كان المتحدث جاب يا هاستنجز " .

" إذن ؟ " .

" لقد عاد لتوه إلى سكوتلانديارد . وكانت هناك رسالة من أندوفر ... " .

صرخت متعجبًا : " أندوفر ؟ " .

قال بوارو ببطء :

" عثر على سيدة تدعى آشر والتي كانت تدير متجرًا لبيع السجائر والجرائد مقتولة " .

أظن أنني شعرت بانقباض طفيف . ولقد أحبطت إلى حد ما ، فبعد سماعي كلمة أندوفر ، توقعت حدوث شيء

مذهل ـ شئ غير عادى ! فقتل امرأة كانت تدير متجرًا لبيع السجائر يبدو إلى حد ما أمرًا عاديًا وغير شيق .

استمر بوارو فى حديثه بنفس نبرة الصوت البطيئة الرزينة :

" يعتقد أفراد شرطة أندوفر أنهم قادرون على القبض على الرجل الذى ارتكب الجريمة ـ " .

شعرت بخفقان فى قلبى للمرة الثانية من خيبة الأمل .

" يبدو أن المرأة كانت على علاقة سيئة مع زوجها . كان مدمنًا للشراب ولقد هددها بالقتل أكثر من مرة " .

استطرد بوارو " مع ذلك ، فى ضوء ما حدث ترغب الشرطة فى القاء نظرة أخرى على الرسالة التى وصلتنى . ولقد قلت إننى وأنت سنتجه إلى أندوفر على الفور " .

ارتفعت معنوياتى قليلاً . مع ذلك ، على الرغم من أن الجريمة متواضعة ، إلا أنها جريمة ولقد مرّ وقت طويل دون أن يكون لى تعامل مع الجريمة والمجرمين .

لم أستمع تقريبًا إلى الكلمات التى قالها بوارو بعد ذلك . ولكنى سأفهم معناها لاحقًا .

قال بوارو : " هذه هى البداية " .

الفصل ٤

السيدة آشر

استقبلنا فى أندوفر مفتش الشرطة جلين ، رجل طويل ذو شعر أشقر وابتسامة جميلة .

تحريًا للدقة أظن أنه من الأفضل أن أقدم اختصارًا موجزًا للوقائع الأساسية للقضية .

اكتشف الجريمة عريف الشرطة دوفر فى تمام الساعة الواحدة من صباح يوم الثانى والعشرين . أثناء جولته لتفقد أبواب أحد المتاجر فوجده غير مغلق ، دخل المتجر ، وظن فى البداية أن المكان خال . وعندما وجه ضوء بطاريته على طاولة البيع ، وقع نظره على جثمان السيدة العجوز مكومًا . وعندما وصل جراح الشرطة إلى موقع الحادث استنتجوا أن المرأة قد تلقت ضربة قوية على مؤخرة رأسها ، بينما كانت تحاول الوصول إلى علبة سجائر على الرف الموجود خلف طاولة البيع . ومن المؤكد أن عملية القتل كانت قد وقعت قبل ست إلى سبع ساعات مضت .

أوضح المفتش : " ولكننا استطعنا أن نقرب الأمور أكثر من ذلك . حيث عثرنا على شخص دخل المتجر واشترى سجائر فى تمام الساعة الخامسة والنصف . ووجدنا شخصًا آخر قد دخل المتجر ولم يجد أحدًا بداخله وكان

ذلك فى تمام الساعة السادسة وخمس دقائق حسب ظنه . وحتى الآن لم أجد أحدًا قد رأى زوج هذه السيدة فى المنطقة ، ولكن الأمر مازال مبكرًا بكل تأكيد . فقد كان فى مقهى ثرى كرونز الساعة التاسعة فى حالة سكر شديدة . وعندما نقبض عليه سيحتجز للاشتباه فى أمره " .

سأل بوارو : " إنه شخصية كريهة أيها المفتش ، ألا تتفق معى فى ذلك ؟ " .

" شخص بغيض" .

" ألم يكن يعيش مع زوجته ؟ " .

" لا ، فقد انفصلا منذ سنوات . وآشر ألمانى الجنسية فى الأصل . وكان يعمل نادلاً فى وقت ما ، ولكنه أدمن الشراب وتدريجيًا أصبح لا يصلح للعمل . عملت زوجته كخادمة لفترة قصيرة . وعملت فى آخر مكان لها كمديرة منزل وطاهية لدى سيدة عجوز تدعى الآنسة روز . كانت تخصص جزءًا كبيرًا من أجرها لزوجها حتى ينفق على نفسه ، ولكنه ظل يتمادى فى الشرب والظهور فى الأماكن التى تعمل فيها . وهذا هو سبب قبولها العمل لدى الآنسة روز فى ذا جرانج . حيث تقع على بعد ثلاثة أميال من أندوفر ، ومعزولة فى الريف . لم يكن يستطيع الوصول إليها فى هذا المكان . وعندما توفيت الآنسة روز تركت للسيدة آشر ميراثاً بسيطاً ، ومن هنا بدأت السيدة مشروع بيع السجائر والصحف ـ مكان متواضع جدًا ـ فقط لبيع

السجائر الرخيصة وبعض من الصحف ـ وأشياء من هذا القبيل . نجحت تقريبًا فى الاستمرار فى المشروع . وكان آشر يزورها ويعتدى عليها من حين لآخر واعتادت أن تعطيه مبلغًا حتى تتخلص منه . فقد كانت تعطيه خمسة عشر شلنًا فى الأسبوع بشكل منتظم " .

سأل بوارو : " هل كان لديهما أطفال ؟ " .

" لا ، ولكن هناك ابنة أخت . تعمل بالقرب من أوفرتون . وهى شابة تتميز بالاتزان . وذات منزلة رفيعة " .

" ألم تقل إن آشر هذا اعتاد أن يهدد زوجته ؟ " .

" هذا صحيح . لقد كان مرعبًا فى حالة سكره ـ وكان يسب ويلعن ويقسم إنه سيهشم رأسها . لقد مرت السيدة آشر بوقت عصيب ، بالفعل " .

" كم كان عمر السيدة ؟ " .

" تقترب من الستين ـ وكانت محترمة وجادة " .

قال بوارو بكل رزانة :

" وهل تعتقد أيها المفتش أن هذا الرجل هو الذى ارتكب الجريمة ؟ " .

سعل المفتش بحذر قائلاً :

" من السابق لأوانه قول ذلك ، يا سيد بوارو ، ولكن أريد سماع أقوال فرانز آشر عن كيفية قضائه ليلة أمس . إذا استطاع أن يقدم بيانًا مقبولاً عن نفسه ، فسيكون ذلك جيدًا ـ أما إذا لم يفعل ذلك ـــ " .

كان صمته المفاجئ يحمل وراءه الكثير .

" ألم يُسرق شيء من المتجر ؟ " .

" لا شيء . فلم تمتد يد للأموال الموجودة فى الدرج . ولا توجد أى علامة تدل على السرقة " .

" وهل تعتقد أن آشر هذا قد دخل المتجر وهو ثمل وأخذ يعتدى على زوجته وقتلها فى النهاية ؟ " .

" يبدو أن ذلك هو أكثر الحلول المحتملة . ولكن علىّ أن أعترف، سيدي ، بأننى أود أن ألقى نظرة أخرى على الرسالة التى وصلتك . فأنا أريد أن أتأكد مما إذا كان آشر هذا هو مرسلها أم لا " .

سلم بوارو الرسالة للمفتش وقرأها المفتش وقد قطب جبينه .

وقال فى النهاية : " لايبدو أن آشر هو الذى كتب بهذا الأسلوب ، فأنا أشك أن يستخدم آشر لفظة مثل " شرطتنا البريطانية " - إلا إذا كان يحاول أن يكون مخادعا أكثر - وأشك أن تسعفه قدراته العقلية على ذلك . علاوة على ذلك فهو حطام إنسان . فيداه مرتعشتان ولا يمكنه كتابة حروف بمثل هذا الوضوح . أضف إلى ذلك النوعية الجيدة للورق والحبر المستخدم . الشيء الغريب أن يذكر الخطاب يوم الحادى والعشرين من الشهر . من *الممكن* أن تكون مصادفة بكل تأكيد " .

" هذا ممكن ـــــ نعم " .

" ولكنى لا أحب هذا النوع من المصادفات، يا سيد بوارو" .

صمت لدقيقة أو اثنتين ـ وهو يعقد جبينه .

" إيه . بى . سى " . تُرَى من يكون " إيه . بى . سى " ؟ سننظر إذا كانت مارى درور (بنت الأخت هذه) تستطيع المساعدة فى ذلك . أمر غريب . ولولا هذه الرسالة ، لراهنت بكل تأكيد على أن فرانز آشر هو القاتل " .

" هل تعلم شيئاً عن ماضى السيدة آشر ؟ " .

" إنها امرأة من هامبشاير . ذهبت للعمل كخادمة فى لندن ـ حيث تقابلت مع آشر وتزوجته . ومن المؤكد أنهما مرًا بظروف صعبة أثناء الحرب . انفصلت عنه فعليًا وللأبد عام ١٩٢٢ ، وكانا مازالا فى لندن فى ذلك الوقت . عادت مرة أخرى إلى هنا هربًا منه ، ولكنه سمع بمكانها وتبعها إلى هنا ، وأخذ يضايقها فى طلب النقود ـ " ، دخل عريف شرطة ، قال مفتش الشرطة : " نعم، ما الأمر يا بريجز ؟ " .

" إنه آشر ياسيدى . لقد أحضرناه إلى هنا " .

" عظيم . أحضره إلى هنا . أين كان ؟ " .

" كان مختبئاً فى شاحنة تحويلة السكة الحديد " .

" أهكذا الأمر إذن ؟ أدخله " .

كان فرانز آشر حقًا إنسانًا بائسًا تعافه النفس . كان ينتحب تارة ويتذلل تارة أخرى ثم يتبجح . كانت عيناه المجهدتان تنتقلان من شخص إلى آخر .

أخذ فرانز يصيح : " ماذا تريدون منى ؟ لم أفعل شيئاً . من العار والفضيحة أن تقتادونى إلى هنا ! كيف تجرؤون على ذلك أيها الأوغاد ؟ " ، ثم تغير سلوكه فجأه وقال : " لا ، لا، لم أقصد ذلك ـ لا تعرضوا شخصًا مسكينًا فقيرًا للأذى ـ لا تقسوا عليّ . فالكل يقسو على فرانز المسكين العجوز . فرانز المسكين العجوز " .

ثم بدأ السيد آشر يجهش بالبكاء .

قال المفتش : " هذا يكفي ، يا آشر ، فأنا لم أتهمك بشيء بعد . ولن تُحمَل على الإدلاء بشهادة إلا برغبتك . ومن ناحية أخري ، إذا لم تكن متورطًا فى قتل زوجتك ـــــ " .

قاطعه آشر ـ وقد ارتفع صوته إلى حد الصراخ .

" لم أقتلها ! لم أقتلها ! مجرد أكاذيب ! فأنتم جميعًا أيها البريطانيون الكريهون تقفون ضد ـــــ لم أقتلهاـــ لم أقتلها " .

" ولكنك كنت تهددها كثيرًا ، يا آشر " .

" لا ، لا ، أنتم لا تفهمون الأمر . لقد كان ذلك مزاحًا ـ مزاحًا خفيفًا بينى وبين آليس . وكانت تفهم ذلك " .

" نوع مضحك من المزاح ! هل يمكنك أن تخبرنى أين كنت مساء أمس يا آشر ؟ " .

" نعم ، بالتأكيد ـ سأخبرك بكل شيء . لم أقترب من آليس . كنت مع أصدقائي ـــ أصدقائي الطيبين . لقد كنا في مقهى سفن ستارز وبعد ذلك توجهنا إلى مقهى رد دوج ـــ " .

أسرع آشر في الكلام ، تلعثمت كلماته فوق بعضها .

" ديك ويلوز ـ كان معي ـ وكذلك كاردي العجوز ـ وجورج ـ وبلات وكثير من الأولاد . أقول لك إنني لم أقترب من آليس نهائيًا . إني أقول الحقيقة " .

وصل صوته إلى حد الصراخ . وهنا أومأ المفتش لمرؤوسه :

" خذه بعيدًا . ويحتجز للاشتباه فيه " .

قال المفتش عندما انصرف الرجل العجوز البغيض المرتجف ذو الحديث الكريه :

" لا أعرف ماذا أقول، لولا الرسالة ، لقلت إنه الجاني " .

" وماذا عن الأشخاص الذين أتى ذكرهم ؟ " .

" صحبة سوء ـــ لن يلتزم أحد منهم باليمين . وليس لدى شك في أنه كان معهم معظم المساء . ويتوقف الكثير على رؤية أحد الأشخاص له بالقرب من المتجر بين الخامسة والنصف والسادسة " .

هزّ بوارو رأسه ممعنًا في التفكير .

ثم قال : " هل أنت متأكد من أن شيئاً لم يُسرَق من المتجر ؟ " .

هزّ المفتش كتفيه :

" على حسب . من المحتمل أن يكون قد تمت سرقة علبة أو علبتين من السجائر ـ ولكن لا يعقل أن يرتكب شخص جريمة قتل بسبب هذا " .

" ألم يكن هناك شيء ما ـــ كيف أعبر عن ذلك ـــ شيء متروك في المتجر . ألم يكن هناك شيء غريب ـ دخيل ؟ " .

قال المفتش : " عثرنا على دليل قطارات " .

" دليل قطارات ؟ " .

" نعم . كان مفتوحاً ومقلوباً على طاولة البيع . يبدو كأن شخصاً كان يستخرج مواعيد القطارات التى تتحرك من أندوفر . إما السيدة العجوز أو أحد الزبائن " .

" هل كانت السيدة تبيع مثل هذه الأشياء ؟ " .

هزّ المفتش رأسه :

" كانت تبيع جداول مواعيد صغيرة . وهذا كان كبير الحجم ـ من النوعية التى يبيعها فقط أصحاب المكتبات الكبيرة " .

لمعت عينا بوارو . وانحنى للأمام .

" تقول ، دليل قطارات . دليل قطار لكل المسافرين من نوع براندشو ـــ أم دليل أبجدى ؟ " .

لمعت عينا المفتش أيضًا .

وقال : " ياإلهي ، لقد كان دليلاً أبجديًا " .

الفصل ٥

ماري درور

أعتقد أن وقت اهتمامى بهذه القضية قد بدأ بذكر دليل القطارات الأبجدى لأول مرة . حتى ذلك الحين لم أستطع أن أشعر بحماس كبير . فهذه الجريمة العادية لقتل امرأة عجوز فى متجر بشارع خلفى كان مثل نوع الجريمة الذى تنشره الصحف ولا يثير أى انتباه ملحوظ . ففى قرارة نفسى اعتبرت الرسالة المجهولة وذكر يوم الحادى والعشرين مجرد صدفة بحتة . وكنت متأكدًا أن السيدة آشر كانت ضحية لزوجها السكير المتوحش . ولكن الآن بعد ذكر دليل القطارات الأبجدى (حيث وضعت فيه كل المحطات حسب التسلسل الأبجدى) قد أصابتنى رعشة من الإثارة فى نفسى . من المؤكد ـــــ من المؤكد أن ذلك ليس مصادفة أخرى .

أخذت هذه الجريمة العادية شكلاً جديدًا .

فمن هذا الشخص الغامض الذى قتل السيدة آشر وترك دليلاً أبجديًا للقطارات ؟

عندما غادرنا قسم الشرطة كان أول مكان قمنا بزيارته هو المشرحة لإلقاء نظرة على جثمان السيدة القتيلة . وانتابنى شعور غريب وأنا أدقق النظر فى هذا الوجه

العجوز المجعد ذى الشعر الرمادى الخفيف المشدود للخلف بشدة . كان يبدو على وجهها الوداعة، والبعد كل البعد عن العنف .

أبدى الرقيب ملاحظة قائلاً : " لم أتعرف على من ضربها أو الآلة المستخدمة في ذلك ، حيث إن الطبيب قال هذا . ويريحنى أن الواقعة قد تمت بهذه الطريقة، أيتها الروح المسكينة العجوز . فقد كانت سيدة مهذبة " .

قال بوارو : " من المؤكد أنها كانت تتمتع بالجمال فى أيام شبابها " .

غمغمت بشىء من الشك . " أحقًا ؟ " .

" نعم ، انظر إلى الفك ، والعظام وشكل الرأس " .

تنهد بوارو وهو يطرح عليها الملاءة مرة أخرى وغادرنا المشرحة .

كان الإجراء الذى قمنا به بعد ذلك هو مقابلة مع جراح الشرطة .

كان الطبيب كير رجلاً فى منتصف العمر ذا مظهر يدل على الكفاءة . كان يتكلم بنشاط وجدية .

قال : " لم يتم العثور على السلاح ، ومن المستحيل التكهن بكنهه . قد يكون عصا ثقيلة ، أو هِراوة أو كيسًا من الرمل ـ كل هذه الأشياء تنطبق على الجريمة " .

" هل من الضرورى وجود قوة كبيرة لتوجيه مثل هذه الضربة ؟ " .

رمق الطبيب بوارو بنظرة حادة .

" أتعني، على ما أعتقد، هل باستطاعة رجل عجوز مهزوز يبلغ سبعين عامًا القيام بذلك ؟ نعم ، من الممكن جدًا ـ فبسبب وجود وزن كافٍ فى رأس السلاح ، يستطيع رجل ضعيف نسبيًا أن يحقق الهدف المرجو " .

" ولذلك أيمكن أن يكون القاتل رجلاً أو امرأة ؟ " .

أدهش الافتراض الطبيب إلى حد ما .

" امرأة، ها ؟ " حسنًا ، أعترف بأنه لم يدر بخلدى أن أربط بين امرأة وهذا النوع من الجريمة . ولكن بالطبع هذا احتمال قائم ــــ محتمل جدًا . ولكن من الناحية النفسية فقط لا يمكننى القول إن هذه جريمة قامت بها امرأة " .

أومأ بوارو برأسه دليلاً على الاتفاق التام .

" تمامًا ، تمامًا . ظاهريًا ، يعتبر الأمر غير محتمل للغاية . ولكن على المرء أن يضع كل الاحتمالات فى الحسبان . كيف كان يرقد الجثمان ؟ " .

أعطانا الطبيب وصفًا دقيقًا لوضع الضحية . كان رأيه أنها كانت واقفة وقد أعطت ظهرها لطاولة البيع (وكذلك للمعتدى عليها) عندما تلقت الضربة . فخرت متكومة وراء طاولة البيع بعيدة تمامًا عن مرأى أى شخص يدخل المتجر بشكل عارض .

عندما قدمنا الشكر للدكتور كير واستأذننا بالانصراف ، قال بوارو :

" أنت ترى يا هاستنجز ، أن لدينا نقطة أخرى فى صالح براءة آشر . لأنه إذا كان يعتدى على زوجته ويهددها، كانت ستواجهه على الطاولة . ولكنها أعطت *ظهرها* لمن اعتدى عليها ـــــ من الواضح أنها كانت تحاول الوصول إلى تبغ أو سجائر لأحد الزبائن " .

ارتعدت قليلاً .

ثم قلت : " أمر شنيع جدًا " .

هزّ بوارو رأسه ببطء . وغمغم قائلاً : " مسكينة هذه المرأة " .

وبعد ذلك نظر فى ساعته .

" أعتقد أن أوفرتون ليست على بعد أميال كثيرة من هنا . هل يمكن أن نتجه إلى هناك لإجراء حوار مع بنت أخت المجنى عليها ؟ " .

" من المؤكد أنك ستذهب أولاً إلى المتجر الذى وقعت فيه الجريمة ؟ " .

" أفضل القيام بذلك فى وقت لاحق . ولدى ما يبرر ذلك " .

لم يوضح أكثر من ذلك، وبعد دقائق كنا نسير فى طريق لندن متجهين إلى أوفرتون .

كان العنوان الذى أعطانا إياه المفتش لمنزل كبير على بعد ميل تقريبًا على الجانب المطل على لندن فى القرية .

ردت على رنين جرس الباب فتاة جميلة ذات شعر أسود وكانت عيناها قد احمرتا بسبب بكاء منذ فترة قليلة .

قال بوارو بلطف :

" آه ! أعتقد أنك الآنسة مارى درور، خادمة فى هذا المنزل ، أليس كذلك ؟ " .

" نعم ، يا سيدى ، هذا صحيح . أنا ماري " .

" إذن يمكننى الحديث معك لبضع دقائق إذا لم تمانع سيدتك . فالأمر يتعلق بخالتك السيدة آشر " .

" سيدتى بالخارج ، ياسيدى . وإنى على يقين من أنها لن تمانع إذا تفضلت بالدخول " .

فتحت باب حجرة جلوس الصباح صغيرة الحجم . فدخلنا وجلس بوارو فى مقعد بجانب النافذة ، ونظر لوجه الفتاة باهتمام .

" لقد سمعت بمقتل خالتك ، بالتأكيد ؟ " .

أومأت الفتاة ، واغرورقت عيناها بالدموع مرة أخرى .

" صباح اليوم ، ياسيدي ، فقد أتت الشرطة إلى هنا . آه ! أمر بشع ! مسكينة خالتى ! ولقد كانت حياتها بالغة الصعوبة ، أيضًا . والآن هذا —— أمر فى غاية البشاعة " .

" ألم تقترح الشرطة عودتك إلى أندوفر ؟ " .

" قالوا إنه يتحتم على المجىء للتحقيق —— وذلك سيكون يوم الاثنين ، ياسيدى . ولكن ليس لى مكان أذهب

إليه هناك ـ ولا أتصور أنى أستطيع الذهاب إلى المتجر ـــ الآن ـــ وبسبب عدم وجود الخادمة ، لا أريد أن أضايق سيدتى أكثر مما يجب .

قال بوارو بلطف : " أكنت تحبين خالتك ، يا مارى ؟ " .

" فى الحقيقة كنت أحبها ، سيدى . فلقد كانت خالتى عطوفة معى دائمًا . ذهبت إليها فى لندن وكنت في الحادية عشرة من عمرى بعد وفاة والدتى . بدأت أشتغل كخادمة عندما بلغت سن السادسة عشرة من عمري ، ولكنى كنت أذهب عادة لزيارة خالتى فى يوم إجازتى . كانت تمر بمشاكل مع هذا الشخص الألمانى . كانت تسميه " شيطانها العجوز " . فلم يدعها تنعم بالأمان فى أى مكان . هذا العجوز الكريه المتطفل " .

كانت الفتاة تتكلم بحدة شديدة .

" ألم تحاول خالتك أن تخلص نفسها من مطاردته عن طريق اللجوء للقانون ؟ " .

" حسنًا، كما تري ، فقد كان زوجها يا سيدي ، ولا تستطيع أن تفر من ذلك " .

كانت الفتاة تتكلم ببساطة ولكن بحزم .

" أخبرينى ، كان يهددها ، أليس كذلك ؟ " .

" أوه ، نعم ، سيدي ، كان يتفوه بألفاظ فى منتهى البشاعة . إنه سيقطع رأسها ، وأشياء من هذا القبيل . كان يسب ويتوعد أيضًا ـــ بالألمانية والإنجليزية . ومع

ذلك كانت خالتى تقول إنه كان شابًا لطيفًا ووسيمًا عندما تزوجته . من المؤسف يا سيدي أن يفكر المرء فيما يصير إليه الناس " .

" نعم ، صدقت . ومن ثم ، أعتقد ياماری أنك لم تندهشى عندما علمت بما حدث بعد سماعك لكل هذه التهديدات ؟ " .

" لم أتصور لحظة واحدة أنه كان يعنى ما يقول . كنت أظن الأمر مجرد حوار غير لطيف ولن يتعدى ذلك . ولم يكن يبدو أن خالتى كانت تهاب جانبه . لأننى كنت أراه يتراجع خلسة ككلب جبان عندما كانت تهاجمه . لقد كان يخاف منها .

" وكانت تعطيه مالاً على الرغم من ذلك ؟ " .

" لقد كان زوجها، كما تعلم، سيدي " .

" نعم ، لقد ذكرت ذلك من قبل " . توقف عن الكلام لحظة أو اثنتين ثم قال : " لنفترض ، رغم ذلك ، أنه ليس القاتل " .

" لِمَ يقتلها ؟ " .

حدقت الفتاة إلى وجهه .

" هذا ماقلته . لنفترض أن شخصًا آخر هو القاتل . . . . . هل لديك أية فكره عمن يكون هذا الشخص الآخر ؟ " .

حملقت فيه بذهول أكبر .

" ليس لدى أدنى فكرة، سيدى . فهذا لا يبدو محتملاً، أليس كذلك ؟ " .

" هل كان هناك شخص ما كانت تخاف منه خالتك ؟ " .

هزت مارى رأسها : " كانت خالتى لا تخشى الناس . فقد كانت سليطة اللسان وكان لديها القدرة على مواجهة أى شخص " .

" ألم تسمعيها تذكر شخصًا يضمر لها العداوة ؟ " .

" فى الواقع، لا يا سيدي " .

" هل كانت تتلقى خطابات مجهولة الراسل ؟ " .

" ما نوع الخطابات التى ذكرت ، سيدى ؟ " .

" خطابات ليس عليها توقيع الراسل ـــــ أو عليها توقيع بشيء مثل " إيه . بى . سى " كان بوارو يراقب الفتاة بكل دقة ، ولكن من الواضح أنها كانت لا تدرى بأى شيء . وهزت رأسها باستغراب .

" هل لخالتك أى أقارب غيرك ؟ " .

" فى الوقت الحالي ، لا يا سيدى . كانت واحدة من عشرة إخوة ، ولكن عاش منهم ثلاثة فقط . وقُتِل خالى توم فى الحرب ، وهاجر خالى هارى إلى أمريكا الجنوبية ولم يسمع عنه أحد شيئاً بعد ذلك ، ثم توفيت أمي ، ومن ثم فلم يتبق لها غيري " .

" هل كان عند خالتك أى مدخرات ؟ أى أموال مدخرة ؟ " .

" كان لديها مبلغ بسيط ، فى بنك الادخار ، سيدى ـ ما يكفى لدفن جسدها بطريقة كريمة ، وهذا ما كانت تقوله دائمًا . ما عدا ذلك ، لم يكن لديها أكثر مما يسد حاجتها ـ وهذا الشيطان العجوز " .

أومأ بوارو برأسه مستغرقًا فى التفكير . وقال ـ وكأنه يخاطب نفسه أكثر مما يخاطبها :

" فى الوقت الحالى أصبحت الأمور غامضة ـ نحن لا نعرف أين نتجه ـــ لو تتضح الأمور أكثر ـ " ، ثم نهض : " إذا احتجت إليك يا مارى فى أى وقت ، سأكتب إليك ، سأكتب إليك هنا فى هذا العنوان " .

" فى الواقع ، سيدي ، أنا سوف أغادر هذا المكان لا أحب الحياة فى الريف . وكنت أقيم هنا لظنى أن فى ذلك راحة لخالتى بأن أكون بجوارها . ولكن الآن ـ تسللت الدموع إلى عينها مرة أخرى ـــ لا يوجد سبب لبقائى هنا ، ولذلك فإنى سأعود إلى لندن . فالحياة هناك أكثر مرحًا بالنسبة لفتاة مثلي " .

" أتمنى لك ذلك، عندما تذهبين إلى هناك ، أرسلى إلىّ عنوانك . هذه بطاقتي " .

سلم إليها البطاقة . ونظرت فيها بعبوس وحيرة .

" إذن أنت لست من أفراد الشرطة ، سيدى ؟ " .

" أنا مخبر خاص " .

وقفت الفتاة تنظر إليه للحظات فى صمت .

وقالت فى النهاية :

" هل هناك أمر غريب يحدث ـ سيدى ؟ " .

" نعم ، يا عزيزتى . هناك ـ أمر غريب يـدور . وربمـا تستطيعين مساعدتى فيما بعد " .

" أنا ـــــ سأفعل أى شيء ، سيدى . ف ـــــ فليس من *الإنصاف* أن تقتل خالتي ، سيدي " .

كانت طريقتها فى التعبير عـن ذلـك غريبـة ـ ولكنهـا كانت مؤثرة .

بعد ثوانٍ كنا فى طريق العودة إلى أندوفر .

الفصل ٦

مسرح الجريمة

كان الشارع الذى وقعت فيه الجريمة منعطفًا من الشارع الرئيسى . وكان متجر السيدة آشر فى منتصف هذا الشارع إلى ناحية اليمين .

عندما دخلنا الشارع نظر بوارو فى ساعته وأدركت سبب تأخير زيارته لمسرح الجريمة حتى هذا التوقيت . فقد كانت الساعة الخامسة والنصف تمامًا . حيث أمل أن يرى جوًا مشابهًا لما كان بالأمس قدر المستطاع .

ولكن إذا كان هذا هو غرضه فقد خاب فى ذلك . حيث كان مظهر الشارع قليل الشبه مع مظهره مساء أمس فى هذا التوقيت . كان هناك عدد محدود من المتاجر المتناثرة بين منازل خاصة بفئة أكثر فقرًا . توقعت أن يكون هناك عدد معقول من الناس يجيئون ويذهبون - معظمهم من طبقات فقيرة ، وبعض الأطفال يلعبون على الأرصفة وفى الطريق .

فى هذه اللحظة كان هناك حشد ثابت من الناس تتجه أعينهم على منزل أو متجر معين ، ومن السهل تخمين ماذا يكون هذا المكان . ما رأيناه كان حشدًا من البشر

العاديين ينظرون باهتمام بالغ إلى النقطة التى أزهقت فيها روح كائن بشرى آخر .

عندما اقتربنا أكثر تحقق أن الحال كذلك بالفعل . فأمام متجر حقير صغير الحجم موصد النوافذ كان يقف شرطى شاب يبدو عليه الإرهاق وكان يناشد الجماهير بطريقة متبلدة أن " يبتعدوا " . وبمساعدة زميل تم إبعادهم ـ تذمر عدد من الناس وانصرفوا لمهامهم العادية، وفى الوقت نفسه تقريبًا أتى آخرون ووقفوا مكانهم ليروا جيدًا المكان الذى وقعت فيه الجريمة .

توقف بوارو على بعد قليل من هذا الحشد . ومن المكان الذى كنا نقف فيه كان بالإمكان قراءة النقش الموجود على الباب بوضوح كافٍ . ردده بوارو بصوت هامس .

" أ . آشر . من المحتمل أن هذا هو ــ " .

توقف فجأه .

قال : " هيّا ، لندخل المكان، ياهاستنجز " .

وتبعته وأنا فى شدة اللهفة .

سلكنا طريقنا بين هذه الجموع وبادرنا رجل الشرطة الشاب بالكلام . أبرز بوارو الأوراق التى أعطاها له المفتش . أومأ الشرطى وفتح الباب ليسمح لنا بالمرور إلى الداخل . قمنا بذلك ودخلنا وسط انتباه بالغ من الناظرين . كان الظلام حالكًا بالداخل ، حيث كانت النوافذ مغلقة . وجد الشرطى مفتاح المصباح الكهربائى

وأضاءه . كان المصباح من النوع المرشد لاستهلاك الطاقة ؛ ومن ثم كانت الإضاءة داخل المتجر مازالت خافتة .

نظرت حولى .

مكان صغير قذر . كان هناك عدد قليل من المجلات الرخيصة المتناثرة، وجرائد الأمس ـ كل كان قد علاه غبار النهار . وكان يوجد وراء طاولة البيع صف من الأرفف يرتفع حتى السقف ومملوء بالتبغ وعلب السجائر . كان هناك أيضًا زوج من برطمانات النعناع وسكر النبات . متجر عادى صغير ، واحد من آلاف المتاجر المتشابهة .

كان الشرطى يقوم بشرح مسرح الجريمة بلكنة هامبشاير البطيئة .

" كانت هنا، مكومة وراء طاولة البيع . يقول الطبيب إنها لم تعلم أبدًا من الذى ضربها . من المؤكد أنها كانت تحاول الوصول إلى أحد هذه الأرفف " .

" ألم يكن بيدها شيء ؟ " .

" لا ، سيدي، ولكن كان هناك علبة من سجائر على الأرض بجانبها " .

أومأ بوارو . وعيناه تتفحصان هذا المكان الصغير ـ ويدون ملحوظات .

" ودليل القطارات ـــ أين كان ؟ " .

" هنا، سيدى " . بيَّن الشرطى الموضع على الطاولة . " لقد كان مفتوحًا على الصفحة الصحيحة لأندوفر ومقلوبًا . يبدو كأنه كان يريد معرفة مواعيد القطارات

المتجهة إلى لندن . ولذا ، فمن غير المحتمل أن يكون الرجل من أندوفر مطلقاً . ولكن ، بالطبع ، من المحتمل أن يكون هذا الدليل يخص شخصًا آخر ليس له علاقة بعملية القتل على الإطلاق ، ولكن مجرد أن نسيه هنا " .

قلت : " وبصمات الأصابع ؟ " .

هزّ الرجل رأسه .

" تم فحص المكان بأكمله ، سيدى . ولم يعثر على أثر بصمات " .

سأل بوارو : " ولا حتى على الطاولة نفسها ؟ " .

" يوجد الكثير من البصمات ، سيدى ! ولكن جميعها متداخلة ومتشابكة " .

" هل عثر على بصمات آشر بينها ؟ " .

" من السابق لأوانه قول ذلك ، سيدى " .

أومأ بوارو، ثم سأل : " هل كانت تقيم المجنى عليها فوق المتجر ؟ " .

" نعم، سيدى، اعبر هذا الباب الموجود بالخلف . كنت سأستأذن للمجيء معكما ، ولكن عليّ أن أبقى ـ " .

مرّ بوارو عبر الباب المذكور وكنت فى أثره . كانت خلف المتجر ردهة متناهية الصغر ومطبخ ملحق بها ـ كانت نظيفة ومنظمة ولكن كانت كئيبة للغاية وذات أثاث بسيط . كان هناك بعض الصور على رف المدفأة . صعدت ونظرت إليها وانضم إلىّ بوارو .

كان إجمالى عدد الصور ثلاثاً . كانت إحداها صورة للفتاة التى كنا معها بعد الظهر ، مارى درور . من الواضح أنها كانت مرتدية أفضل ملابس عندها ويظهر على ملامحها الاعتداد بالذات ، وعلى وجهها ابتسامة مصطنعة تفسد التعبير فى الرسم الفوتوغرافى ، وهو ما يجعل لقطة التصوير الضوئى أفضل .

كانت الصورة الثانية تبدو من نوع أغلى ثمناً من الصور الأخرى ـ صورة منسوخة غير واضحة لسيدة عجوز ذات شعر أبيض . تلف حول رقبتها ياقة مرتفعة من الفراء .

خمنت أن تكون هذه الصورة للآنسة روز التى تركت للسيدة آشر هذا الميراث البسيط الذى مكنها من بدء هذا المشروع .

كانت الصورة الثالثة قديمة جدًا ، باهتة صفراء . كانت تمثل شابًا وشابة يرتديان ملابس من الطراز القديم يتأبطان ذراعى بعضهما البعض . كان الشاب يضع وردة فى عروة السترة وكان هناك جو لاحتفال قديم فى الصورة .

قال بوارو : " من المحتمل أنها صورة زفاف ، انظر ياهاستنجز ألم أقل لك إن هذه المرأة كانت على قدر من الجمال ؟ " .

كان بوارو على حق . فعلى الرغم من غطاء الشعر الذى كانت ترتديه والملابس القديمة ، إلا أن ذلك لم يخف جمال الفتاة التى فى الصورة بملامحها المتناسقة ووقفتها المليئة بالحيوية ، وعندما نظرت بإمعان إلى الشخص

المجاور لها ، كان من المستحيل أن أرى فيه ملامح آشر العجوز القبيح ، حيث كان يظهر فى الصورة شاب وسيم الطلعة ممشوق القوام .

تذكرت الرجل العجوز السكير الخبيث ، والوجه المجهد للمجنى عليها ـ وانتابتنى رعشة من قسوة الزمن . . . .

كان هناك سلم فى الردهة يؤدى إلى حجرات الطابق العلوى . كانت إحدى هذه الحجرات خالية وليس بها أثاث ، ومن الواضح أن الأخرى كانت حجرة نوم المجنى عليها . وتركت كما هى بعد أن فتشها رجال الشرطة . كان هناك غطاءان باليان على السرير ــ وقدر يسير من الملابس الداخلية المرفاة جيدًا فى أحد الأدراج ـ ووصفات الطهى فى آخر ــ وقصة ذات غلاف ورقى بعنوان الواحة الخضراء ــ وزوج من الجوارب الجديدة زهيدة الثمن ــ وزوج من التماثيل الخزفية ــ وتمثال راعى درسدن مكسور ، وكلب منقط أزرق وأصفر ــ كان هناك أيضاً معطف مطر أسود وسترة صوفية معلقان على شماعات ــ كانت هذه الأشياء هى مجموعة الممتلكات التى كانت تملكها آليس آشر .

إذا كان هناك بعض الأوراق الشخصية ، فمن المؤكد أن الشرطة قد أخذتها .

غمغم بوارو : " سيدة مسكينة ،" هيا يا هاستنجز لا يوجد هنا شىء يفيدنا " .

عندما نزلنا إلى الشارع مرة أخرى ، تردد بوارو لدقيقة أو دقيقتين ، وبعد ذلك عبر الشارع . فعلى الناحية المقابلة لمتجر السيدة آشر كان هناك متجر لبيع الخضراوات ـــ من نوع المتاجر التى تعرض معظم بضاعتها بالخارج أكثر من الداخل .

أعطانى بوارو بعض التعليمات بصوت منخفض . ثم دخل المتجر بنفسه . وتبعته بعد الانتظار لدقيقة أو دقيقتين . كان فى هذه اللحظة يتفاوض مع المرأة على شراء بعض الخس . وقمت بشراء رطل من الفراولة لنفسى .

كان بوارو يتحدث بحماس مع السيدة البدينة التى كانت تبيع له .

" لقد وقعت عملية القتل فى الناحية المقابلة لكم ، أليس كذلك ؟ ياله من أمر ! من المؤكد أنه كان حدثاً مثيرًا للغاية لكم ! " .

يبدو أن السيدة البدينة كانت قد ملت من كثرة الكلام عن حادثة القتل . ومن المؤكد أنها أمضت يومًا طويلاً فى الحديث عن ذلك . ثم أبدت ملاحظة قائلة :

" سيكون من الأفضل أن ينصرف بعض من هذا الحشد المشدوه . أود أن أعرف ما الذى يريدون أن يروه هناك ؟ " . قال بوارو : " من المؤكد أن الأمر كان مختلفاً جدًا مساء أمس ، من المحتمل أنك لاحظت الجانى وهو يدخل المتجر ـــ رجل طويل ، أشقر الشعر مطلق

لحيتــه ، ألم يكــن كــذلك ؟ روســى الجنــسية حــسبما سمعت " .

نظرت المرأة لأعلى بسرعة : " مـا هـذا ؟ ، أتقـول إن شخصًا روسًيا هو القاتل ؟ " .

" علمت أن الشرطة قد ألقت القبض عليه " .

كانت المرأة فى غاية الذهول وتتحدث بسرعة : " هـل سمعــت بــأن الــشرطة قــد ألقــت القــبض عليــه الآن ؟ أجنبى ، يا له من أمر غريب " .

" ولكــن ، أظـن أنــه مـن المحتمـل أنـك قـد رأيتـه بالأمس ؟ " .

" لم تتح لى الفرصة كى أراه ، صدقنى . فوقـت المـساء عندنا يكون العمل فيه مزدحماً ، حيث يكون هنـاك عـدد من الناس الذين يمرون فى طريق عودتهم إلى منـازلهم بعـد العمل . رجل طويل ذو لحية ـ لا ، لا يمكننى القول بأنى قد رأيت شخصًا بهذا الوصف فى أى مكان " .

تدخلت فى هذه اللحظة .

قلـت مخاطبًـا بـوارو : " معـذرة سـيدى ، أعتقـد أن الأخبار التى وصـلتك غـير صـحيحة . حيـث قيـل لى إنـه رجل أسمر قصير " .

نشأ حوار مثير تـدخلت فيـه الـسيدة البدينـة وزوجهـا الهزيل وصبى بالمتجر ذو صوت أجش . فتوصلنا إلى أنه ما لا يقل عن أربعة رجال ذوى بشرة سمراء ، قصيرى القامة

قد ظهروا بالأمس ، وأضاف الصبى أنه رأى رجلاً طويلاً أشقر وقال " ولكن ليس له لحية " .

فى النهاية أنهينا مشترياتنا، ثم غادرنا المكان دون أن نكشف عن هوياتنا الحقيقية .

سألت بوارو بنوع من التأنيب .

" وما الهدف من كل هذا يا بوارو ؟ " .

" حسنًا، أردت أن أقيم فرص ملاحظة شخص غريب يدخل المتجر المقابل " .

" أما كان يمكنك ببساطة أن تسأل عن ذلك ـ بدلاً من سلسلة الأكاذيب هذه ؟ " .

" لا ، ياصديقى . إذا سألت بطريقة مباشرة ، كما تقول، لن أحصل على أى رد على أسئلتى . فأنت رجل بريطانى ، ومع ذلك يبدو أنك لا تفهم طريقة رد الفعل البريطانية على سؤال مباشر . لأنه سؤال مثير للشك ، والنتيجة الطبيعية لذلك هى السكوت . وإذا كنت قد طلبت معلومات من هؤلاء الناس لكانوا قد أغلقوا أفواههم مثل المحار . ولكن بعمل بيان (إلى حد ما غير صحيح وغنى بالمعلومات) ومعارضتك له، تنطلق الألسنة بالكلام على الفور . ونعلم أيضًا أن هذا التوقيت وقت زحام ـــ وهذا يعنى أن كل شخص ينكب على ما يعنيه ، وكذلك يكون هناك عدد معقول من المارة فى الشارع . وقد اختار الجانى هذا التوقيت بنجاح ، ياهاستنجز " .

توقف عن الكلام ، ثم أضاف بنبرة توبيخ شديدة :

" ألا تتمتع بدرجة من الفهم ، ياهاستنجز ؟ أقول لك : " أشتر أى شيء ، وعمدًا تختار الفراولة ! " فقد بدأت تتسرب عصارتها من الكيس وتعرض حُلتك الأنيقة للاتساخ " .

وبشيء من الفزع أدركت أن الأمر كذلك .

قمت بسرعة بإعطاء الفراولة كهدية لصبى صغير وبدا عليه ذهول وشك كبير .

وأضاف إليه بوارو الخس مما زاد من حيرة الغلام .

استمر بوارو في إيضاح المغزى من ذلك .

" في متجر خضراوات رخيص ـ لا تشتر الفراولة . فالفراولة إذا لم تكن طازجة ، فإنها تبدأ في فرز عصارة . ممكن أن تشترى بعض الموز ـــ بعض التفاح ـــ أو حتى الكرنب ـــ ولكن فراولة ـــ " .

وضحت السبب كطريقة للاعتذار . " لقد كانت الفراولة هى أول شيء رأيته أمامى " .

رد بوارو بصرامة : " هذا شيء لا يليق بخيالك " .

توقف بوارو على جانب الطريق .

فلقد كان المنزل والمتجر على يمين منزل السيدة آشر خاليين . وكانت هناك لافتة على الواجهة مكتوب عليها " للإيجار " . وعلى الجانب الآخر كان هناك منزل تتدلى فيه ستائر قذرة من القماش الرقيق .

توجه بوارو إلى هذا المنزل ، ولم يكن هناك جرس ، فدق الباب عدة طرقات حادة بالمقرعة .

وبعد بعض التأخير فتح الباب غلام قذر جدًا ذو أنف يحتاج إلى مزيد من الاهتمام .

قال بوارو : " مساء الخير وهل والدتك موجودة ؟ " .

قال الغلام : " نعم ؟ " .

حدق الغلام إلينا بنوع من الازدراء والارتياب الشديد .

قال بوارو : " والدتك " .

استغرق الغلام اثنتى عشرة ثانية تقريبًا حتى يستوعب ذلك ، ثم استدار ، ورجع بسرعة إلى داخل البيت المعتم وهو يصرخ من أعلى السلالم " أمى ، هناك من يسألون عنك " .

نظرت امرأة حادة الوجه من فوق الدرابزين ثم بدأت فى الهبوط .

بدأت السيدة فى الكلام : " لا فائدة أنتم تضيعون وقتكم - " ولكن بوارو قاطعها .

خلع بوارو قبعته وانحنى بطريقة رائعة .

" مساء الخير ، يا سيدتى . أنا أحد الصحافيين بمجلة إيفيننج فليكر وآمل أن تقبلى أجرًا قدره خمسة جنيهات وتساعدينا فى كتابة مقال عن جارتك المتوفاة ، السيدة آشر .

انحبست الكلمات الغاضبة بين شفتى المرأة وهبطت السلم وهى تسوى شعرها وتربط الجونلة .

" تفضلا بالدخول – على اليسار من هنا . تفضل بالجلوس ، سيدى " .

كانت الحجرة الصغيرة مكدسة جدًا بأثاث قديم غير ثمين . ولكننا استطعنا أن نحشر أنفسنا للداخل ونجلس على أريكة خشنة .

قالت المرأة : " لابد أن تسامحني، آسفة على الحديث بحدة معكما منذ برهة، ولكن لا يمكنكما تخيل القلق الذى يتحمله الواحد منا ـ يأتي أشخاص إلى هنا لبيع هذا الشيء أو ذاك ـــــ مكانس ، وجوارب ، وأكياس اللافندر وأشياء تافهة أخرى ـــــ وكلهم يتكلمون بطريقة متحضرة مقبولة . انظرى يا سيدة فاولر إلى هذا وهذا " .

التقط بوارو اسمها بدهاء وقال :

" حسنًا ، مدام فاولر ، أتمنى أن تلبى طلبي" .

" أنا لا أعرف ، بالتأكيد " . زغللت الخمسة جنيهات العالقة عينى السيدة فاولر وقالت : " أعرف السيدة آشر، بالطبع، ولكن فيما يتعلق بكتابة أى شيء " .

أكد لها بوارو بسرعة . أنه ليس مطلوبًا منها بذل أى مجهود . وقال إنه سوف يعرف منها الحقائق وسيكتب الحوار .

شجع هذا الكلام السيدة فاولر وبدأت بكل استعداد فى تذكر الأحداث الماضية وما سمعته من الآخرين .

لقد كانت السيدة آشر منغلقة على نفسها . ليست من النوع الودود حقًا ، ولكنها كان تعانى من مشاكل كثيرة ،

هذه السيدة المسكينة ، والكل كان يعلم ذلك . وللحق كان من المفروض أن يسجن آشر من عام مضى . لا يعنى ذلك أنها كانت تهابه ـ فعندما تستثار كانت تتحول إلى شخص متوحش ! كانت تعطيه ما يكفى . ولكنه كان يعود لها دائمًا ليطلب المزيد . قالت لها السيدة فاولر مرات ومرات :

" يوم من الأيام سيقتلك هذا الرجل . وخذى كلامى هذا جديًا " ، ولقد فعلها ، أليس كذلك ؟ والسيدة فاولر جارتها الملاصقة لها لم تسمع أى شيء .

قطع بوارو فترة صمت بسؤال .

" هل كانت السيدة آشر تتسلم رسائل غريبة ــ رسائل ليس عليها أى توقيع ـــــ أو شيء مثل " إيه . بى . سى ؟ " .

للأسف ، كان رد السيدة فاولر بالنفى .

" أعرف نوع الشيء الذى تقصده ـ هم يسمونها رسائل مجهولة ـــــــ لأن معظمها يكون به كلمات يخجل الإنسان أن يقولها بصوت عال . حسنًا ، أنا لا أعرف بالتأكيد، إذا كان فرانز آشر قد اعتاد كتابة مثل هذه الخطابات . وكانت السيدة آشر ستعلمنى بذلك إذا كان يفعل ذلك . ما هذا ؟ دليل سكة حديد ، دليل سكة حديد مفهرس أبجدياً ؟ لا لم أر شيئًا مثل هذا ــ وأنى على يقين من أنه إذا أُرسِلَ واحد للسيدة آشر ، لسمعت عنه . وأعلن أن ضربة بريشة كانت كفيلة أن تطرحنى

أرضًا عندما سمعت بهذا الموضوع برمته . أتت ابنتى إيدى وقالت : أمى ، يوجد كثير من رجال الشرطة فى البيت المجاور ، قلت عندما سمعت بهذا : " حسنًا ، هذا يوضح أنه ما كان ينبغى أن تقيم أبدًا فى هذا المنزل بمفردها ـ كان يجب أن تقيم ابنة أختها هذه معها " . وقلت إن هذا الرجل السكير يمكن أن يكون مثل ذئب مفترس ، قلت ، وفى رأيى أن هذا الحيوان المفترس لن يخرج على زوجها الشيطان العجوز . لقد حذرتها لمرات ، وهاهى كلماتى قد تحققت . لقد قلت إنه سيقتلها ، وقد فعل . ويمكنك أن تقدر جيدًا ما يمكن أن يفعله شخص أثناء سكره وحادثة القتل هذه خير دليل على ذلك " .

وأنهت كلامها بتنهيدة عميقة .

قال بوارو : " أعتقد أن أحداً لم ير آشر هذا يدخل المتجر ؟ " .

زفرت السيدة فاولر ونظرت بازدراء . وقالت :

" من الطبيعى أنه لم يظهر نفسه " .

لم تهتم بتوضيح كيفية دخول السيد آشر هناك دون أن يراه أحد .

وأقرت بأنه لا يوجد مدخل خلفى للمنزل وكان آشر معروفًا جدًا بمظهره فى الحى .

" ولكنه أراد ألا يُشنَق بسببها وأخفى نفسه جيدًا " .

أبقى بوارو الحوار مستمرًا لوقت أطول قليلاً ، ولكن عندما أيقن أن السيدة فاولر قد قالت كل ما تعرفه ليس لمرة واحدة ولكن لعدة مرات ، انهى المقابلة ، بعد أن دفع الخمسة جنيهات التى وعد بها أولاً .

عندما عدنا إلى الشارع مرة أخرى تجرأت وقلت " خمسة جنيهات مبلغ كبير يا بوارو " .

" حتى الآن ، نعم " .

" هل تظن أنها تعرف أكثر مما قالت ؟ " .

" ياصديقى ، نحن الآن فى موقف غريب فلا نعرف الأسئلة التى نطرحها . فنحن نشبه زمرة من الأطفال يلعبون لعبة الغميضة فى الظلام . فنحن نمد أيدينا ونتلمس الطريق . وأخبرتنا السيدة فاولر بما تظن أنها تعرفه ـ ولقد قامت بعمل مجموعة من الاستنتاجات محل التقدير ! مع ذلك ، ربما تكون أدلتها ذات نفع كبير فى المستقبل . ولقد استثمرت هذه الخمسة جنيهات للمستقبل .

لم أفهم مغزى ذلك جيدًا ، ولكن قابلنا المفتش جلين فى هذه اللحظة .

الفصل ٧

السيد بارتريدج والسيد ريدل

كانت الكآبة واضحة على المفتش جلين . فلقد أمضى المساء ، حسب اعتقادى ، وهو يحاول أن يعمل قائمة تضم كل الأشخاص الذين تمت ملاحظتهم يدخلون متجر السجائر .

سأل بوارو : " هل رأى أحد أى شخص ؟ ".

" أوه ، نعم، لقد رأوا ثلاثة رجال طوال القامة أشكالهم مريبة - وأربعة رجال ذوى شوارب سوداء — ولحيتين ——— وثلاثة رجال بدناء ——— كلهم غرباء —— وكلهم ، إذا صدقت الشهود ، يبدو عليهم الشر ! ويأخذنى العجب لما لم ير شخص ما عصابة من الرجال المقنعين ومعهم مسدسات عندما كانوا فى الطريق! " .

ابتسم بوارو بتعاطف .

" هل ادعى أحد أنه رأى هذا الرجل آشر ؟ " .

" لا ، لم يره أحد . وهذه نقطة أخرى فى صفه . ولقد أخبرت رئيس الشرطة بأنى أعتقد أن هذه مهمة سكوتلانديارد . فلا أظن أنها جريمة محلية " .

ابتسم بوارو بوقار قائلاً :

" أوافقك الرأي " .

قال المفتش :

" تعلم ، يا سيد بوارو أنه عمل كريه ـ عمل كريه ـ أنا لا أحبه . . . . " .

كان أمامنا مقابلتان قبل عودتنا إلى لندن .

الأولى مع السيد جيمس بارتريدج ، وهو من يعُتَقَد أنه آخر شخص رأى السيدة آشر على قيد الحياة . فقد اشترى منها فى تمام الساعة الخامسة والنصف .

كان السيد بارتريدج ضئيل الجسم ، ويعمل موظفًا فى أحد البنوك . وكان يرتدى نظارة صغيرة وكان جافًا وذا مظهر أنيق بسيط ومقتضبًا جدًا فى كل ردوده . كان يعيش فى منزل يتميز بالأناقة وحسن التنسيق مثله تمامًا .

قال الرجل وهو يحملق فى البطاقة التى سلمها له صديقى . " مستر - ر - بوارو ، من طرف المفتش جلين ؟ بماذا أستطيع أن أخدمك، يا سيد بوارو ؟ " .

" أعلم ، يا سيد بارتريدج ، أنك آخر من رأى السيدة آشر على قيد الحياة " .

وضع السيد بارتريدج أطراف أصابعه على بعضها ونظر إلى بوارو وكأنه شيك مشكوك فى صحته .

وقال : " هذه نقطة محل جدل كبير ، سيد بوارو ، فمن الممكن أن كثيرًا من الناس قد قاموا بالشراء منها بعدى " .

" إذا كان الأمر كما تقول ، فلِمَ لم يتقدم أحد ليبلغ بذلك ؟ " .

سعل بارتريدج .

قال : " بعض الناس ، يا سيد بوارو ، لا يتحلون بالإحساس بالواجب العام " .

ونظر إلينا بإمعان من خلال نظارته .

غمغم بوارو : " صحيح تمامًا ، أنت ، كما أعلم ، ذهبت من تلقاء نفسك لإبلاغ الشرطة ؟ " .

" بالفعل قمت بذلك . فبمجرد أن سمعت بهذا الحدث المفجع شعرت بأن شهادتى يمكن أن تفيد واتجهت إلى هناك من تلقاء نفسى " .

قال بوارو : " روح رائعة جدًا ، هل من الممكن أن تتفضل بقص ما قلته مرة أخرى " .

" بكل تأكيد . كنت عائداً إلى منزلى فى الساعة الخامسة والنصف تمامًا ـــــ " .

" معذرة ، كيف كنت متأكدًا من الوقت بهذه الدقة ؟ " .

ظهر بعض من الضيق على السيد بارتريدج بسبب مقاطعته فى الكلام .

" دقت ساعة المدينة . ونظرت لساعتى فوجدت أن ساعتى متأخرة دقيقة . كان ذلك قبل دخولى متجر السيدة آشر مباشرة " .

" هل كنت معتادًا على القيام بمشترياتك من هناك ؟ " .

" إلى حد ما . فقد كـان المتجـر فـى طريـق عـودتى إلى المنزل . حيث تعودت على شـراء أوقيـتين مـن تبـغ جـون كوتون البارد مرة أو مرتين فى الأسبوع " .

" هل تعرف السيدة آشـر إلى حـد مـا ؟ أى شـىء عـن ملابسات حياتها وتاريخها ؟ " .

" لا شىء على الإطلاق . فلم أتكلم معهـا أبـدًا عـن أى شـىء أكثـر مـن المـشتريات أو ملاحظـة عـابرة عـن حالـة الجو " .

" هل علمـت أن لهـا زوجًـا سـكيرًا اعتـاد أن يهـددها بالقتل دائمًا ؟ " .

" لا ، لم أعلم شيئًا عنها مطلقًا " .

" لكنك ، مع ذلك ، كنت تعرفها سطحيًا . هل لفت انتباهك شىء غير عادى فى منظرها مـساء أمـس ؟ ، هـل كانت تبدو مضطربة أو مرتبكة بشكل ما ؟ " .

فكر السيد بارتريدج ثم قال :

" حسب ملاحظتى . كانت تبدو عادية تمامًا " .

نهض بوارو .

" أشـكرك يـا سـيد بارتريـدج ، علـى إجابـة هـذه الأسئلة . هـل مـن الممكـن أن أجـد عنـدك دليـل قطـارات مفهرسًا أبجدياً فى المنزل ، لأننى أريد أن أتأكد من موعـد القطار الذى سأستقله فى طريق عودتى إلى لندن " .

قال السيد بارتريدج " على الرف وراءك مباشرة " .

كان على الرف المذكور دليل قطارات أبجدى ، ودليل قطارات برادشو ، وكتاب العام لسوق الأوراق المالية ، ودليل كيلى ، والدليل المحلى للهاتف .

أمسك بوارو بالدليل وتظاهر بأنه يتأكد من موعد القطار ، ثم شكر السيد بارتريدج واستأذن بالرحيل .

كانت مقابلتنا القادمة مع السيد ألبرت ريدل وكانت شخصيته مختلفة تمامًا . كان السيد ألبرت ريدل يعمل كصانع أطباق وكان حوارنا وسط صوت احتكاك الأطباق الذى تحدثه زوجة السيد ريدل التى يبدو عليها الضيق بوضوح ، ونباح كلب السيد ريدل والعداوة الواضحة على ملامح السيد ريدل نفسه .

كان ريدل رجلاً عملاقًا ضخمًا أخرق ذا وجه عريض وعيون ضيقة مرتابة . كان يأكل فطيرة من اللحم يبتلعها مع شاى غامق للغاية . وكان يحدق إلينا النظر بغضب من فوق حافة الفنجان .

زمجر السيد ألبرت قائلاً : " قلت كل ما عندى مرة سابقة، أليس كذلك ؟ ماذا تريدون منى ، على أى حال ، لقد أخبرت الشرطة البغيضة بالأمر ، فعلت ذلك ، والآن علىّ أن أقص الحكاية كلها مرة أخرى لأجنبيين أحمقين " .

ألقى بوارو نظرة باسمة سريعة تجاهى ثم قال :

٧٢ الفصل السابع

" فى الحقيقة إنى أتعاطف معك ، ولكن مـاذا تقـول ؟ فإن الأمر جريمة قتل ، أليس كـذلك ؟ وعلـى الواحـد منـا أن يكون حريصًا جدًا جدًا " .

قالت المرأة بعصبية :

" أخبر الرجل بما يريد ، يا برت " .

قال بصوت يشبه زئير الأسد " أغلقى فمك اللعين " .

خرج بوارو بتعليق أنيق : " أعتقـد أنـك لم تـذهب إلى الشرطة من تلقاء نفسك " .

" ولماذا يجب على الذهاب بحق الجحيم ؟ فهذا أمر لا يخصنى " .

قال بوارو بعـدم اكـتراث : " مـسألة رأى ، فقـد كـان هناك حـادث قتـل ـ والـشرطة تريـد أن تعـرف مـن كـان بالمتجر ـ أنا شخصيًا أظن أنه كان ـ ماذا يمكن أن أقـول ـ سيبدو أمرًا طبيعيًا أكثر لو ذهبت " .

" لقد كان لدى أشغال يتحتم علىّ القيام بهـا . لا تقـل إنه كان يتحتم على الذهاب فى وقت ـــــــ " .

" ولكن كما حدث ، فقد أبلغت الشرطة باسمـك كـآخر شخص تمت رؤيته يدخل متجر السيدة آشـر واضـطروا إلى أن يأتوا إليك . فهل قنعوا بروايتك عن الحادث ؟ " .

سأل السيد بـرت بـشكل متـوحش : " ولِمَ لا يقنعـون بها ؟ " .

قام بوارو بهز كتفيه فقط .

قال برت : " ماذا تقصد ، يا سيدى ؟ فليس لدى أى أحد دليل ضدى ، والكل يعلم من قتل العجوز ، ذاك الـ ـــــ زوجها " .

ولكنه لم يكن موجودًا فى الشارع هذا المساء وأنت كنت موجودًا " .

" تحاول أن ترمى علىّ تهمة بالبهتان ، أليس كذلك ؟ لا ، لن تفلح . ما السبب الذى يدفعنى للقيام بشىء كهذا ؟ أتظن أننى كنت أريد أن أسرق علبة من تبغها اللعين ؟ أم تظننى قاتلاً مهووسًا كما يقولون . أم تظن ـــــ ؟ " .

ثم قام من كرسيه مهددًا . فقالت زوجته بصوت ضعيف :

" برت ، برت ـ لا تقل مثل هذه الأشياء . برت ـ سيظنون ـ " .

قال بوارو : " هدئ من روعك يا سيدى ، طلبت منك فقط روايتك عن زيارتك . ومن رفضك يبدو لى ـــــ ماذا أقول ـ شيئاً غريبًا ؟ " .

غاص السيد ريدل فى كرسيه ثانية وقال : " من قال إننى أرفض أى شىء ؟ أنا لا أمانع " .

" أكانت الساعة السادسة عندما دخلت المتجر ؟ " .

هذا صحيح ـ فى الواقع بعد ذلك بدقيقة أو اثنتين . كنت أريد أن أشترى علبة جولد فلاك . ودفعت الباب ـــــ " .

" كان الباب مغلقًا ، عندئذٍ ؟ " .

" هذا صحيح . اعتقدت أن المتجر مغلق . ولكنه لم يكن . فدخلت ، ولم يكن هناك أحد هناك . ضربت على طاولة البيع وانتظرت قليلاً . لم يأت أحد ، ولذلك خرجت مرة أخرى . هذا كل شيء " .

" ألم تر الجثة ملقاة على الأرض وراء طاولة البيع ؟ " .

" لا ، لم تكن تستطيع أن تراها ـ إلا إذا كنت تبحث عنها " .

" هل كان يوجد دليل قطارات هناك ؟ " .

" نعم ، كان هناك دليل ـ مقلوب . وتبادر إلى ذهنى أن العجوز قد اضطرت للانصراف فجأة ونسيت أن تغلق المتجر " .

" من المحتمل أنك أمسكت بدليل القطارات أو حركته على الطاولة ؟ " .

" لم ألمس هذا الشيء . فعلت فقط ما أخبرتك به " .

" هل رأيت شخصًا يغادر المتجر قبل أن تدخل هناك ؟ " .

" لم أر شيئاً كهذا . ما أقوله هو لماذا اخترتنى أنا ـــ ؟ " .

" لم يخترك أحد ـــ ليس بعد . تصبح على خير ، سيدي" .

ترك الرجل فاغرًا فاه وأنا من ورائه .

قال بوارو : " بسرعة يا صديقى ، علينا أن نلحق بقطار السابعة والثلث. هيا ننصرف بسرعة " .

الفصل ٨

الرسالة الثانية

سألت بلهفة : " حسنًا ما رأيك ؟ " .

كنا نجلس فى عربة قطار من الدرجة الأولى . وتحرك القطار السريع من محطة أندوفر .

قال بوارو: " ارتكب الجريمة رجل متوسط الطول شعره ناعم ولديه حول فى عينه اليسرى . يعرج قليلاً على رجله اليمنى ولديه شامة تحت عظمة الكتف مباشرة " .

صحت قائلاً : " بوارو ؟ " .

فى هذه اللحظة كنت مخدوعًا تمامًا . ولكن غمزة من عين صاحبى بصرتنى بحقيقة الأمور .

قلت ثانية بشىء من التأنيب هذه المرة : " بوارو ! " .

" ماذا تريد ياصديقى ؟ فأنت ترمقنى بنظرة بريئة وتطلب منى بيانًا على طريقة شيرلوك هولمز ! وفى الوقت الحالى حقيقة ـــ أنا لاأعرف ما شكل القاتل ولا أين يعيش ولا كيف أضع يدى عليه " .

غمغمت : " لو كان قد ترك دليلاً " .

" نعم ، الدليل ـ فالدليل هو الشىء الذى يجذبك دائمًا ، وللأسف لم يدخن القاتل سيجارة ويترك الرماد وبعد ذلك يدوس عليه بحذاء به مسامير ذات شكل

غريب . لا ـــ فهو ليس ميالاً للتعاون معنا . ولكن لديك دليل القطارات على الأقل ياصديقى . فهذا الدليل الأبجدى هو ضالتك ! " .

" هل تعتقد أنه تركه عن طريق الخطأ ؟ " .

" بالطبع لا . لقد تركه عامدًا . توضح البصمات ذلك " .

" ولكن لم يكن عليه أية بصمات " .

" هذا ما أقصده . كيف كان حال الجو أمس ؟ كان ليلة دافئة فى شهر يونيو . هل كان هذا الرجل يتنزه فى مساء مثل هذا اليوم وهو يرتدى قفازًا ؟ مثل هذا الرجل كان سيجذب الانتباه . وبالتالى فعدم وجود بصمات على الدليل الأبجدى ، يؤكد أنها أزيلت بكل دقة . فشخص برىء كان سيترك بصمات ـ ولكن المجرم لا يخلف وراءه بصمات . ولذلك فالقاتل الذى نحن بصدده قد ترك هذا الدليل عمدًا . ولكنه لا يعد دليلاً يؤدى للجريمة . فهناك احتمال أن الدليل قد اشتراه شخص ما ، وحمله آخر " .

" هل تظن أننا سنصل لشىء ما بهذه الطريقة ؟ " .

" بكل صراحة ، يا هاستنجز ، لم يعد لدى أمل . فهذا الرجل ، هذا الشخص الغامض غير المعروف ، يتباهى بشكل واضح بقدراته الشخصية . وليس هناك احتمال أن يترك أثرًا يمكن تعقبه مباشرة " .

" ولذلك يصبح الدليل الأبجدى غير مفيد بالفعل على الإطلاق " .

" ليس بالمعنى الذى تقصده ياهاستنجز " .

" فبأى معنى إذن ؟ " .

لم يرد بوارو فى الحال . ثم قال ببطء :

" الإجابة عن هذا السؤال هى نعم . فنحن نواجه شخصية غامضة . فهو فى الخفاء ويسعى لأن يبقى فى الخفاء . ولكنه فى الحقيقة لا يستطيع أن *يمنع نفسه من الظهور* . فمن ناحية نحن لا نعرف أى شىء عنه ـ ومن ناحية أخرى نحن نعرف عنه الكثير بالفعل . فشخصيته تتشكل أمامى بشكل باهت ـ فهو رجل يكتب بوضوح وشكل جيد ــــ ويشترى ورق طباعة فاخرًا ـ وفى حاجة شديدة لإبراز شخصيته . أراه كطفل مُهمَل يستخف به ـ أراه قد نشأ وعنده إحساس داخلى بالنقص ــــ يصارع إحساسًا من الظلم . . . . أرى هذا الباعث الداخلى ـ لكى يثبت نفسه ــــ ويسلط الأضواء على نفسه ، إنه يزداد قوة ولكن الأحداث والظروف تبدد هذا وتتراكم لتزيده ذلاً وتواضعًا وهو الآن على وشك الانفجار فى أى لحظة . . . . . . " .

قلت معترضًا : " كل ذلك محض تخمين ، ولن يفيد من الناحية العملية " .

" أنت تفضل بقايا عيدان الثقاب ، ورماد السجائر ، وأحذية بها مسامير ! هكذا كنت تفعل دائمًا . ولكن على الأقل يمكن أن نسأل أنفسنا بعض الأسئلة العملية . لماذا

دليل القطارات الأبجدى ، ولماذا السيدة آشر بالذات ، ولماذا أندوفر ؟ " .

فكرت متأملاً : " يبدو أن حياة المرأة كانت فى منتهى البساطة ، والمقابلات التى أجريناها مع هذين الرجلين كانت مخيبة للآمال . فلم يخبرونا بشيء أكثر مما نعرفه بالفعل " .

" بكل صراحة ، لم يعد لدى أمل فى هذا الطريق . ولكننا لا يمكن أن نتجاهل وجود مرشحين محتملين لهذه الجريمة " .

" من المؤكد أنك لا تعتقد ـ " .

" يوجد هناك على الأقل احتمال أن القاتل يعيش فى أندوفر أو بالقرب منها . وهذه إجابة ممكنه لسؤالنا : " لماذا أندوفر ؟ " يوجد شخصان أعرف أنهما كانا فى المتجر في وقت الجريمة . ولا يوجد شيء آخر يبين أن هذا أو ذاك *ليس* القاتل " .

قلت : " من المحتمل أنه هذا الضخم المتوحش ، ريدل " .

" أميل إلى تبرئة ريدل من الجريمة . فهو عصبى ، متبجح ، قلق بصورة واضحة ــــ " .

" ولكن ذلك بالتأكيد يوضح بالتمام ـ " .

" طبيعته تختلف تمامًا عن طبيعة كاتب رسالة " إيه بى سى " . فالكبرياء والثقة فى النفس هما صفتان لابد أن نبحث عنهما " .

" أيكون شخصًا يريد أن يثبت تفوقه ؟ " .

" من المحتمل ذلك . ولكن بعض الناس عندما يكونون في حالة من التوتر العصبى وعدم الثقة ، فإنهم يخفون كثيرًا من الكبرياء والغرور " .

ألا تظن أن بارتريدج الصغير هذا ـ ؟ " .

" إنه يشبه هذا النوع إلى حد كبير . لا يستطيع المرء أن يقول غير ذلك . فهو يتصرف كما يتصرف كاتب الرسالة ـــــ ذهب بسرعة إلى الشرطة ـ دفع نفسه إلى المقدمة ـ ويتحدث بكل ثقة " .

" هل تعتقد حقًا أنه ـ ؟ " .

" لا ، ياهاستنجز . فأنا شخصيًا أعتقد أن المجرم أتى من خارج أندوفر ، ولكننا يجب ألا نتجاهل أى اتجاه للبحث . وعلى الرغم من أنى أقول " هو " طوال الوقت ، لا يجب أن نستبعد احتمال تورط امرأة فى الموضوع " .

" بالطبع لا ! " .

" أتفق معك أن طريقة الاعتداء توحى بأن رجلاً قام بذلك . ولكن الرسائل مجهولة المرسل تكتبها النساء أكثر من الرجال . ويجب أن نضع ذلك فى الحسبان " .

صَمتُّ لدقائق ثم قلت :

" ماذا سنفعل بعد ذلك ؟ " .

قال بوارو وهو يبتسم إلىّ : " صديقى النشط هاستنجز " .

" قل لى ماذا نفعل الآن ؟ " .

" لا شىء " .

أجبت بخيبة أمل واضحة " لا شىء ؟ " .

" هل أنا ساحر ؟ أم مشعوذ ؟ ماذا تريد منى أن أفعل ؟ " .

فكرت فى الأمر ووجدت أنه من الصعب أن أجد جوابًا . مع ذلك شعرت بقناعة أنه لابد من القيام بشىء ما وألا نتباطأ .

قلت :

" يوجد معنا دليل القطارات الأبجدى ـــ والورقة والمظروف ـ " .

" من الطبيعى أنه تم عمل كل شىء يمكن القيام به فى هذا الاتجاه . والشرطة لديها كل الوسائل الممكنة لمثل هذا النوع من التحقيق . وإذا كان هناك أى شىء فى هذه الجوانب فلا يساورك القلق لأنهم سيكتشفونه " .

بعد هذا أجبرت على أن أكون راضيًا بما نعرفه الآن .

فى الأيام التى تلت ذلك وجدت بوارو عازفًا بشكل غريب عن مناقشة القضية . وعندما حاولت فتح الموضوع كان يعرض عن ذلك بحركة بيده تدل على الضيق .

فى قرارة نفسى كنت أخشى أن أكون قد فهمت دوافعه . فـ " بوارو " قد تلقى هزيمة فيما يتعلق بحل لغز جريمة قتل السيدة آشر . حيث تحداه المجرم المجهول " إيه . بى . سى " ـــــــ وفاز " إيه . بى . سى " .

فصديقى ، الذى اعتاد النجاح باستمرار ، أصبح مفرط الحساسية بسبب فشله ـ كثيرًا ، لدرجة أنه لم يعد حتى يطيق مناقشة الموضوع . من المحتمل أن ذلك كان علامة على إحدى النقائص فى رجل عظيم مثله ، ولكن حتى أكثرنا اعتدالاً يكون عرضة لأن يشعر بالخيلاء بسبب النجاح . وفى حالة بوارو كانت الخيلاء عملية مستمرة لسنوات . وليس من العجب أن تصبح آثار الخيلاء مستمرة على المدى الطويل .

لتفهمى الأمر ، احترمت نقطة ضعف صديقى ولم أشر إلى الموضوع مرة أخرى . وقرأت فى الجريدة تقريرًا عن التحقيق . كان مقتضبًا جدًا ، ولم يكن هناك أى إشارة إلى رسالة إيه بى سى وصدر حكم بأن الجريمة قد ارتكبها شخص أو مجموعة أشخاص مجهولين . لم تلق الجريمة اهتمامًا كبيرًا من الصحافة . فليس بها أى ملامح مشهورة أو جذابة . وقتل سيدة عجوز فى شارع جانبى قد نحى جانباً فى الصحافة ليفسح المجال لموضوعات أكثر إثارة .

وللحق أقول إن الموضوع قد بدأ يتلاشى من ذهنى أنا الآخر ، لأننى كنت أبغض فكرة ربط صديقى بوارو بالفشل فى أى شىء ، إلا أن الموضوع قد برز على السطح فجأة فى يوم الخامس والعشرين من يوليو .

لم أر بوارو لمدة يومين لأننى أمضيت عطلة نهاية الأسبوع فى يوركشاير . وعدت مساء يوم الإثنين ووصلت

الرسالة فى بريد الساعة السادسة . مازلت أذكر الشهقة الحادة المفاجئة التى قام بها بوارو وهو يفتح هذه الرسالة المهمة .

قال " لقد وصلت " .

دققت فيه النظر ـ دون أن أفهم .

" ما الذى وصل ؟ " .

" الفصل الثانى فى قضية إيه بى سى " .

نظرت إليه لمدة دقيقة دون أن أفهم . لأن الموضوع كان قد محى من ذاكرتى بالفعل .

ناولنى بوارو الرسالة وقال : " اقرأ " .

كما حدث من قبل ، كانت الرسالة مطبوعة على ورق فاخر .

عزيزى السيد بوارو ، ــــــ حسنًا ، مارأيك ؟ أعتقد أن هذه أول مباراة لى . لقد كان موضوع أندوفر شيقاً للغاية ، أليس كذلك ؟

ولكن هذه مجرد بداية للمتعة . اسمح لى أن ألفت نظرك إلى شاطئ بيكسهيل . التاريخ يوم الخامس والعشرين من الشهر الحالى .

ياله من وقت ممتع نقضيه معًا !

المخلص

إيه . بى . سى

صرخت قائلاً : " ياإلهى ، هل يعنى ذلك ، يابوارو ، أن هذا الشيطان سيقدم على ارتكاب جريمة أخرى ؟ " .

" أمر طبيعى ، يا هاستنجز . ماذا تتوقع غير ذلك ؟ وهل تظن أن موضوع أندوفر كان قضية منفصلة ؟ أمازلت تذكر قولى : " هذه مجرد بداية " ؟ " .

" ولكن هذا شىء بشع ! " .

" نحن نواجه مجرمًا مهووسًا " .

" نعم " .

كان هدوؤه أكثر تأثيرًا من أى عمل بطولى . سلمته الرسالة وأنا أرتعد .

فى صباح اليوم التالى كنا فى مؤتمر للسلطات . حيث اجتمع كل من مدير شرطة ساسكس ، والمفوض المساعد لقسم تحقيق الجريمة ، والمفتش جلين من أندوفر ، ومأمور شرطة ساسكس كارتر ، وجاب ومفتش شاب يسمى كروم وكذلك الدكتور تومبسون ، الطبيب النفسى المشهور . كانت العلامة البريدية الموجودة على الخطاب تدل على أنه صادر من هامسايد ، ولكن فى رأى بوارو أن هذه الحقيقة لا تمثل أهمية كبيرة .

تمت مناقشة القضية باستفاضة . كان الدكتور تومبسون رجلاً لطيفًا ، متوسط العمر ، وعلى الرغم من تعليمه يستخدم لغة عامية ويتجنب استخدام المصطلحات الخاصة بمهنته .

قال المفوض المساعد : " ليس هناك شك فى أن خط الرسالتين واحد . فقد كتبهما شخص واحد . ويمكننا تقريباً أن نزعم بأن هذا الشخص هو المسئول عن حادثة القتل فى أندوفر " .

" صحيح . وأمامنا الآن تحذير صريح بوقوع جريمة ثانية ، تم تحديد وقت وقوعها فى الخامس والعشرين من هذا الشهر ـ أى بعد غدٍ ـ فى بيكسهيل . ما التدابير التى يجب أن تُتَخَذ ؟ " .

نظر مدير شرطة ساسكس إلى المأمور كارتر :

" حسنًا ، كارتر ، ما رأيك فى ذلك ؟ " .

هزّ كارتر رأسه بهدوء :

" إنه أمر صعب يا سيدى . فليس هناك أى دليل عمن ستكون هذه الضحية . بصراحة ، ما الخطوات التى يمكن أن نتخذها ؟ " .

قال بوارو بصوت منخفض : " لدى اقتراح " .

استدارت إليه وجوه الجميع .

" أعتقد أنه من المحتمل أن يبدأ اسم الضحية المستهدفة بحرف " بى " .

قال المأمور بشىء من الارتياب : " هذا شىء مثير للاهتمام" .

قال تومبسون باهتمام : " عقدة أبجدية " .

" أقترح ذلك كاحتمال قائم ـ لا أكثر . خطر ذلك فى ذهنى عندما رأيت الاسم آشر مكتوبًا بوضوح على باب

متجر السيدة التعيسة التى تم قتلها الشهر الماضى . وعندما تلقيت الرسالة التى ذكر فيها اسم بيكسهيل خطر فى بالى احتمال أن الضحية والمكان يتم اختيارهما على أساس أبجدى .

قال الطبيب : " هذا ممكن، ومن ناحية أخرى ، قد يكون اسم آشر هذا مصادفة ـــــ وأن الضحية هذه المرة ، أيًا كان اسمها ، يمكن أن تكون سيدة عجوزاً تدير متجرًا . وضعوا فى حسبانكم أننا نتعامل مع رجل مجنون . ولم يترك لنا حتى الآن دليلاً فيما يتعلق بدوافعه " .

سأل المأمور بشىء من الشك " وهل لدى المجنون دوافع تحركه ، سيدى ؟ " .

" بكل تأكيد ، يارجل . فمنطق القتل هو إحدى الصفات المميزة للجنون الحاد . رجل يعتقد أنه مبعوث إلهى لقتل رجال الدين ـ أو الأطباء ـ أو السيدات كبار السن اللاتى يبعن السجائر ـــــ وهناك دائمًا مبرر واضح تمامًا وراء ذلك . ويجب ألا تدع موضوع الأبجدية يشغلنا . فإن مجىء بيكسهيل بعد أندوفر ربما يكون مجرد مصادفة بحتة .

" يمكننا على الأقل اتخاذ احتياطات معينة ، كارتر ، والقيام بعمل مذكرة خاصة بكل من يبدأ اسمهم بحرف " بى " ، على الأخص من يديرون متاجر صغيرة ، وأن نراقب أصحاب محلات السجائر والصحف التى يديرها شخص بمفرده . ولا أعتقد أن هناك شيئاً آخر يمكن عمله

أكثر من ذلك . ومن الطبيعى القيام بمراقبة شديدة لكل الغرباء قدر المستطاع " .

قال المأمور باعتراض :

" كل هذا مع نهاية الفصل الدراسى وبداية الإجازات ؟ إن الناس يأتون إلى هذا المكان أفواجًا هذا الأسبوع " .

قال مدير الشرطة بحزم : " لابد علينا القيام بما نستطيع " .

تكلم المفتش جلين فى دوره :

" سأقوم بمراقبة كل الأشخاص الذين لهم علاقة بموضوع آشر مثل هذين الشاهدين ، بارتريدج وريدل ، وآشر نفسه بالطبع . وإذا ظهرت أى علامات تدل على مغادرتهم لأندوفر فسوف نلاحقهم " .

انتهى الاجتماع بعد عدد قليل آخر من الاقتراحات ومحادثة بسيطة غير مترابطة .

قلت لـ بوارو أثناء سيرنا على النهر :

" بوارو، هذه الجريمة ، هل يمكن منعها ؟ " .

أدار إلى بوارو وجهة المنهك . قائلاً : " عقلانية مدينة مليئة بالرجال ضد جنون رجل واحد ؟ " إنى خائف ، يا هاستنجز ـــــ ، إنى خائف جدًا . ألا تذكر النجاحات المستمرة لـ جاك السفاح ؟ " .

قلت : " إنه شيء مرعب " .

" إن الجنون شيء مرعب ياهاستنجز . . . . *إنى خائف* . . . . . *إنى فى شدة الخوف* . . . . " .

الفصل ٩

جريمة قتل على شاطئ بيكسهيل

مازلت أذكر الطريقة التى استيقظت بها صباح يوم الخامس والعشرين من يوليو . كان ذلك بالتأكيد فى السابعة والنصف تقريبًا .

كان بوارو يقف بجوار سريرى ويهز كتفى بلطف . وأخرجتنى نظرة من عينيه من حالة النعاس إلى حالة من اليقظة التامة .

سألته وأنا أعتدل بسرعة : " ما الأمر ؟ " .

جاءت إجابته بسيطة جدًا ، ولكن كان هناك فيض من المشاعر وراء الكلمات الثلاث التى نطقها .

" لقد وقع الأمر " .

صحت قائلاً : " ماذا ؟ أتقصد - ولكنّ اليوم هو الخامس والعشرون " .

" لقد وقعت الجريمة الليلة الماضية - أو على الأصح فى الساعات الأولى من صباح اليوم " .

نهضت من الفراش وأخذت حمامًا سريعًا ، وقص على باختصار ماعلمه لتوه عبر الهاتف .

" لقد عُثِرَ على جثة لفتاة شابة على شاطئ بيكسهيل . وتم التعرف عليها بأنها إليزابيث برنارد ،

نادلة فى أحد المقاهى ، والتى كانت تعيش مع والديها فى بيت من طابق واحد قد بنى حديثاً . وقد حددت الأدلة الطبية أن الوفاة تمت بين الساعة الحادية عشرة والنصف والواحدة صباحاً " .

سألت وأنا أغسل وجهى بالصابون : " هل تأكدوا أنه عمل إجرامى ؟ " .

" لقد عثروا بالفعل تحت الجثة على دليل قطارات أبجدى مفتوح على القطارات المتجهة إلى بيكسهيل " .

" هذا شيء شنيع ! " .

" *انتبه* ، يا هاستنجز ، لا أريد أن تحدث مأساة أخرى فى مسكنى ! " .

مسحت الدم من على ذقنى وأنا أشعر بالحزن .

وسألت : " ماخطة حملتنا ؟ " .

" ستأتى السيارة لتقلنا من هنا بعد لحظات . سأحضر لك فنجان قهوة هنا حتى لا يكون هناك أى تأخير فى بدء الرحلة " .

بعد عشرين دقيقة كنا فى سيارة شرطة سريعة تعبر بنا نهر التايمز فى طريقنا خارج لندن .

كان معنا فى السيارة المفتش كروم ، والذى حضر المؤتمر منذ عدة أيام ، والذى عُهد إليه بتولى أمر هذه القضية بشكل رسمى .

كان كروم رجل شرطة مختلفاً تماماً عن جاب . فقد كان أصغر سنًا ، وكان من النوع الصامت ، الماهر . وعلى

قدر من الثقافة والاطلاع الجيد ، وحسب تقديرى ، كان معجبًا بنفسه إلى حد كبير . فقد اكتسب مؤخرًا شهرة كبيرة بسبب سلسلة قتل للأطفال ، حيث قام بتعقب المجرم حتى أودعه سجن برودموور .

لقد كان بكل وضوح أنسب شخص يسند إليه أمر هذه القضية الحالية ، ولكنى أظن أنه كان مدركًا لهذه الحقيقة هو أيضًا بشكل مبالغ فيه كان يشوب سلوكه تجاه بوارو بعض الاحترام والتبجيل ، وكان يتحدث معه مثلما يتحدث شاب صغير إلى رجل يكبره فى السن ـ بطريقة يغلب عليها الاستحياء والخجل مثل علاقة طالب بأستاذه .

قال كروم : " دار حوار طويل بينى وبين الطبيب تومبسون ، فهو يبدى اهتمامًا بهذه الحلقة أو السلسلة لهذا النوع من القتل . فهى نتاج نوع عقلية مشوه بشكل غريب . فلا يستطيع الواحد منا بوصفه غير متخصص تقدير النقاط المفيدة كما تظهر للطب الشرعى " . ثم سعل وقال : " فى الواقع ـــــ فى آخر قضية توليتها ـــــ لا أعرف إن كنت قد قرأت عنها أم لا ـــــ قضية مابل هومر ، تلميذة من ميوسويل ، كما تعلم ـــــ كان كابر هذا رجلاً غير عادى . كان من الصعب للغاية إثبات التهمة عليه ـــــ ولقد كانت هذه الجريمة الثالثة التى يرتكبها ، أيضًا ! وكان يبدو عاقلاً تمامًا مثلى ومثلك . ولكن هناك اختبارات متنوعة ـــــ مصايد كلامية ،

حديثة جدًا ، كما تعلم ـــ بالطبع لم يكن شيء من هذا موجودًا على أيامكم . بمجرد أن تغوى شخصًا للحديث عن نفسه ملكته ! هو يعلم أنك تعرف ويزداد ارتباكه . ويبدأ فى الاعتراف بكل سهولة .

قال بوارو : " حتى فى أيامى كان يحدث ذلك " .

نظر إليه المفتش كروم وقال مخاطبًا بصوت منخفض :

" أحقًا هذا ؟ " .

ساد صمت بيننا لبعض الوقت . وأثناء مرورنا على محطة نيو كروس ، قال كروم :

" إذا كان هناك شيء تريدان الاستفسار عنه ، أرجو ألا تترددا فى عمل ذلك " .

" أعتقد أنه ليس لديك وصف للفتاة ؟ " .

" كانت فى الثالثة والعشرين من عمرها ، وكانت تعمل كنادلة فى مقهى باسم جنجر كات (أو القطة الصهباء) ـــ " .

"حسناً . إنى أتساءل ـــ هل كانت جميلة ؟ " .

قال المفتش كروم بشيء من الازدراء : " ليس لدى أى معلومات بخصوص ذلك " . ولسان حاله يقول : " يا إلهى ـــ هؤلاء الأجانب ! كلهم يشبهون بعضهم " .

ظهرت نظرة من السعادة فى عيون بوارو .

" يبدو أن ذلك أمر ليس له أى أهمية بالنسبة لك ؟ ولكن، بالنسبة للمرأة ، يحتل المرتبة الأولى فى الأهمية . فأحيانًا يحدد مصيرها فى الحياة ! " .

تخلى كروم عن جمله الخبرية فى الحوار .

وسأل بأدب . " أحقًا هذا ؟ " .

ساد الصمت مرة أخرى .

واستمررنا على هذا الحل حتى اقتربنا من سيفين أوكس ، حيث فتح بوارو الحوار مرة أخرى .

" هل تم إبلاغك ، بطريقة أو بأخرى ، بما وكيف شنقت الفتاة ؟ " .

" شنقت بالحزام الذى كانت ترتديه ، ـ أعتقد أنه كان حزامًا سميكًا مشغولاً " .

اتسعت حدقتا عين بوارو جدًا .

وقال : " حسناً ، أخيرًا أصبح لدينا معلومة مؤكدة . فهذا يدلنا على شيء ، أليس كذلك ؟ " .

قال المفتش كروم ببرود : " لم أره حتى الآن " .

ملأنى الضيق من تحفظ هذا الرجل وضيق خياله .

قلت : " هذا يعطينا مؤشرًا عن طبيعة القاتل . فاستخدام حزام البنت نفسها ، يوضح مدى وحشية تفكيره " .

رمقنى بوارو بنظرة لم أستطع أن أفهم مغزاها . ففى ظاهرها كانت تحمل ضيقًا . واعتقدت أنه من المحتمل أن تكون تحذيرًا بألا أتحدث أكثر من اللازم أمام المفتش .

عدنا إلى حالة الصمت مرة أخرى .

تلقينا التحية فى بيكسهيل من المأمور كارتر . وكان معه مفتش شاب ذو وجه بشوش وهيئة تدل على الذكاء

يدعى كيلسى . وقد اختير الأخير للعمل مع كروم فى هذه القضية .

قال المأمور : " أعلم أنك تريد أن تقوم بتحقيقاتك يا كروم ، ولذلك سأعطيك النقاط الرئيسة فى الموضوع ثم تبدأ العمل بعد ذلك " .

قال كروم : " شكرًا ، سيدى " .

قال المأمور : " لقد أبلغنا والدها ووالدتها بالخبر، وكانت صدمة لهما ،بكل تأكيد . وتركتهما حتى يتمالكا نفسيهما قبل التحقيق معهما، ومن ثم يمكنك البدء من نقطة البداية " .

سأل بوارو : " هناك أفراد آخرون فى الأسرة ـــ أليس كذلك ؟ " .

" لها أخت ـــ تعمل على آلة كاتبة فى لندن . كانت على علاقة بها . وهناك شاب ـــ فى الحقيقة ، كان من المفترض أن تخرج معه ليلة البارحة ، حسب ظنى " .

سأل كروم : " هل حصلتم على أى معلومات من الدليل الأبجدى للقطارات ؟ " .

أومأ المأمور برأسه نحو منضدة قائلاً : " إنه هناك ، لا يوجد عليه أية بصمات . ومفتوح على صفحة بيكسهيل . كان نسخة جديدة ، ويمكننى القول إنه يبدو أنه لم يفتح كثيرًا . ولم يتم شراؤه من بيكسهيل . لأننى سألت عنه فى كل مكتبات بيع الكتب الموجودة هنا ! " .

" من الذى وجد الجثة ، يا سيدى ؟ " .

" وجدها أحد العقداء القدامى الذين يخرجون مبكرًا للتمتع بالهواء النقى . العقيد جيرومى . فقد خرج بصحبة كلبه فى الساعة السادسة تقريبًا . كان يسير باتجاه كودين ومنها إلى الشاطئ . انطلق الكلب وأخذ يتشمم شيئًا ما . نادى عليه العقيد . ولكن الكلب لم يرجع . ألقى العقيد نظرة وظن أن هناك شيئاً غريبًا يحدث . ذهب إلى المكان وألقى نظرة . ثم أحسن التصرف . فلم يلمس الجثة على الإطلاق واتصل بنا على الفور " .

" أكان توقيت القتل هو منتصف ليل الليلة الماضية ؟ " .

" بين منتصف الليل والواحدة صباحًا ـــــ بكل تأكيد " . القاتل الذى نحن بصدده رجل يفى بما يقول . إذا قال يوم الخامس والعشرين، يكون يوم الخامس والعشرين ـــــ حتى لو كان فى الدقائق الأولى منه " .

أومأ كروم برأسه .

" نعم ، فهذه طريقة تفكيره بالتمام . أهناك شىء آخر ؟ هل رأى أى أحد شيئاً مهمًا ؟ " .

" لا يوجد أى شىء حسب علمنا . ولكنّ هذا سابق لأوانه . فكل من رأى فتاة ليلة البارحة ترتدى ملابس بيضاء بصحبة رجل سيتقدم لإبلاغنا على الفور ، وحسب تصورى كان هناك حوالى أربعمائة أو خمسمائة فتاة يرتدين ملابس بيضاء وكن بصحبة شباب ليلة أمس ، سيكون الأمر لطيفًا " .

قال كروم : " حسنًا ، سيدى ، من الأفضل أن أبدأ العمل ، فأمامى المقهى وبيت الفتاة ، من الأفضل الذهاب إليهما . ويمكن أن يأتى كيلسى معى " .

سأل المأمور : " وماذا عن السيد بوارو ؟ " .

قال بوارو بانحناءة بسيطة : " سآتى معكما " .

أعتقد أن كروم بدا عليه الضيق قليلاً . أما كيلسى الذى لم ير بوارو من قبل فقد ابتسم ابتسامة عريضة .

من الحقائق غير السارة أن الناس عندما يرون صديقى لأول مرة يميلون لأن يستخفوا به .

سأل كروم : " وما أمر هذا الحزام الذى شنقت به الفتاة ؟ حيث يميل السيد بوارو للاعتقاد بأنه دليل مهم . أعتقد أنه يريد رؤيته " .

قال بوارو بسرعة : " إطلاقًا . لقد أسأت فهمى " .

قال كروم : " لن تحصل على شىء من ورائه ، فهو ليس مصنوعًا من الجلد ـ لأنه لو كان كذلك لوجدنا عليه بصمات . فهو مجرد حزام سميك من الحرير المشغول ـ وكان أداة مثالية لأداء هذا المهمة " .

أصابتنى رجفة .

قال كروم : " من الأفضل أن نشرع فى العمل " .

انطلقنا بسرعة .

قمنا أوَلا بزيارة جنجر كات . كان المقهى مواجهًا لشاطئ البحر ، وكان نوعًا من المقاهى الصغيرة . كان به موائد صغيرة مغطاة بمفارش برتقالية اللون مصنوعة ومقاعد

من الصفصاف غير مريحة تمامًا وعليها وسائد برتقالية . كانت مكاناً متخصصاً فى تقديم قهوة الصباح ، وخمسة أنواع مختلفة من الشاى ، ديفونشاير ، كارلتون ، فروت ، فارمهاوس ، والشاى العادى) وبعض وجبات الغذاء البسيطة للفتيات مثل البيض المقلى والجمبرى والمكرونة .

كانت قهوة الصباح قد بدأ الطلب يزداد عليها من فترة قليلة . وقادتنا مديرة المقهى بسرعة إلى حجرة خلفية غير مرتبة .

سأل كروم " أنت الآنسة ـــ مريون ؟ " .

قالت الآنسة مريون بصوت أنثوى مهتز ، مرتفع حزين :

" نعم هذا اسمى . إنه أمر فى غاية الأسى ، محزن للغاية . فكم سيؤثر ذلك على عملنا لا أستطيع أن أتخيل ذلك ! " .

كانت الآنسة مريون امرأة نحيفة فى الأربعين من عمرها ذات شعر أصهب ناعم (فى الواقع كانت السيدة نفسها تشبه اسم المكان بشكل غريب) ، كانت يداها تعبثان بشكل يدل على الاضطراب بشال رقيق وأهداب ثوب كانا جزءًا من الزى الرسمى .

قال المفتش كيلسى مشجعًا : " سيزدهر عملك ، وسترى ! لن تستطيعى أن تقدمى الشاى للزبائن بسرعة كافية ! " .

قالت السيدة مريون : " أمر مقزز ، مقزز فعلًا . فهو يصيب الإنسان باليأس من الطبيعة البشرية " .

ولكن ظهر لمعان في عينيها .

" ما الذى يمكن إخبارى به عن الفتاة القتيلة ، يا آنسة مريون ؟ " .

قالت الآنسة مريون بشكل واثق " لاشىء ، لاشىء على الإطلاق ! " .

" ما المدة التى عَمِلتَها هنا ؟ " .

" كان هذا هو موسم الصيف الثانى لها " .

" هل كنت مقتنعة بها ؟ " .

" لقد كانت نادلة جيدة ـــــ سريعة ولطيفة " .

سأل بوارو: " هل كانت جميلة ؟ " .

نظرت إليه السيدة مريون وكأنها تقول " يا إلهى ، هؤلاء الأجانب .

قالت ببرود : " كانت بنتًا لطيفة ، وكان مظهرها مهندمًا " .

سأل كروم : " متى غادرت العمل مساء أمس ؟ " .

" فى تمام الثامنة . فنحن نغلق فى الثامنة . فنحن لا نقوم بتقديم وجبة العشاء . فليس هناك طلب عليها . نحن نقدم البيض المقلى والشاى (ارتعد بوارو عند سماع هذا) ويتوافد الناس على المكان حتى السابعة وأحيانًا بعد ذلك ، ولكن وقت الذروة بالنسبة لنا فى الساعة السادسة والنصف .

" هل أعلمتك كيفية عزمها قضاء المساء ؟ " .

قالت السيدة مريون بحسم : " بالطبع لا ، فلم تكن علاقتها معى تسمح بذلك " .

" ألم يأت أحد إلى هنا ليسأل عنها ؟ أو أى شىء من هذا القبيل ؟ " .

" نعم " .

" هل كانت طبيعية ؟ ليست متوترة أو تشعر باكتئاب ؟ " .

" قالت الآنسة مريون بتحفظ . " لا أعرف " .

" كم عدد النادلات اللواتى يعملن معك ؟ " .

" عادة تعمل معى نادلتان ، واثنتان إضافيتان بعد ٢٠ يوليو حتى نهاية أغسطس " .

" ولكن هل كانت إليزابيث برنارد واحدة من النادلات الإضافيات ؟ " .

" كانت الآنسة برنارد واحدة من العاملات الدائمات " .

" وماذا عن النادلة الأخرى ؟ " .

" الآنسة هيجلى ؟ إنها سيدة شابة لطيفة للغاية " .

" هل كانت صديقة للآنسة برنارد ؟ " .

" حقاً لا أستطيع القول بذلك " .

" ربما من الأفضل أن نتحدث إليها " .

" الآن ؟ " .

" إذا سمحت بذلك " .

قالت السيدة مريون وهى تنهض : " سأرسلها إليك ، ولكن أرجو أن يستغرق ذلك فى أقصر وقت قدر المستطاع . فهذه ساعة الذروة الصباحية لتناول القهوة " .

قامت الآنسة مريون التى تشبه القطط الصهباء بمغادرة الحجرة .

علق عليها المفتش كيلسى قائلاً : " مهذبة جدًا " ، ثم بدأ يقلد نبرة صوتها الرقيق المتكلف : " *حقًا لا استطيع قول ذلك* " .

دخلت فجأة فتاة سمينة تلهث قليلاً ، ذات شعر أسود ، وخدين ورديين ، وعينين سوداوين جاحظتين من الإثارة .

قالت وهى لا تستطيع أن تتنفس : " أرسلتنى الآنسة مريون إلى هنا " .

" الآنسة هيجلى ؟ " .

" نعم إنه أنا " .

" هل كنت تعرفين إليزابيث بيرنارد ؟ " .

" آه ، نعم كنت أعرف بيتى . ألم يكن أمرًا *فظيعًا* ؟ إنه فى غاية الفظاعة ! لا أستطيع أن أصدق أن ذلك صحيح . فلقد كنت أقول للفتيات طوال الصباح إننى لا أستطيع أن أصدق ذلك ! وقلت " أتعلمون يا بنات ، أن الأمر لا يبدو *حقيقيًا* . بيتى ! أقصد بيتى برنارد ، والتى عملت هنا لفترة طويلة ، *قتلت* ! أنا لا أصدق ذلك " . وقرصت نفسى خمس أو ست مرات لأرى إذا ما كنت

نائمة . بيتى قتلت . . . . . إنه ـــ حسنًا ، أنت تعلم ما أقصد ـــ إن الأمر لا يبدو حقيقة " .

سأل كروم : " هل كنت تعرفين الفتاة المقتولة جيدًا ؟ " .

" حسنًا ، لقد عَمِلت هنا لفترة أطول منى . فلقد أتيت إلى هنا فقط فى شهر مارس الحالى . أما هى فكانت هنا العام الماضى . لقد كانت هادئة ، إذا كنت تعرف ماذا أقصد . فهى لم تكن بالفتاة التى تمرح أو تضحك كثيرًا . لا أقصد أنها كانت *هادئة* تمامًا ـــ فقد كانت تتمتع بروح مرحة وكل ذلك ـــ ولكنها لم ـــ حسنًا ، لقد كانت هادئة ولم تكن هادئة ، هل تعلم ما أقصد ؟ " .

أود القول إن المفتش كروم كان صبورًا للغاية . لأن الآنسة هيجلى السمينة كانت تطير العقل ، فقد كانت تكرر وتعدل كل جملة تقولها ست مرات . وكان الناتج فى النهاية ضئيلاً للغاية .

فلم تكن على علاقة حميمة مع الفتاة القتيلة . حيث كانت إليزابيث برنارد ، تعتبر نفسها أعلى مكانة من الآنسة هيجلى . كانت ودودة أثناء ساعات العمل ، ولكن الفتيات لم يعرفن عنها شيئًا بعد العمل . وكان لدى إليزابيث " صديق " يعمل فى مكتب عقارات بالقرب من المحطة يدعى كورت وبرانكسل لم يكن صديقها كورت ولا برانكسل ، بل كان موظفًا هناك . لم تكن تعلم اسمه . ولكنها تعرفه شكلاً جيدًا . شكله وسيم ـــ أوه ، وسيم

جـدًا ، ودائمًـا أنيـق فـى ملبـسه هكـذا قالـت الآنـسة هيجلى ، ومن الواضح أنه كان هناك مسحة من الغيرة فى قلبها .

فى النهاية انتهى الأمر إلى الآتـى ، لم تـسر إليزابيـث برنـارد الى أحـد فـى المقهـى فيمـا يتعلـق بكيفيـة قـضائها لأمسيتها، ولكن فى رأى الآنسة هيجلى أنها كانت ذاهبـة لمقابلة " صديقها " . وكانت مرتدية فستانًا أبـيض جديـدًا جميلاً للغاية له رقبة جميلة .

تحـدثنا مـع الفتـاتين الأخـريين ولكـن دون نتـائج إضافية . لم تفصح بيتى برنارد بأى شىء عن خططهـا ولم يرها أحد فى بيكسهيل أثناء المساء .

الفصل ١٠

عائلة برنارد

كان والدا إليزابيث برنارد يعيشان في منزل صغير من طابق واحد ، واحد من خمسين بيتًا شيدها أحد العاملين في الاستثمار العقارى عند حدود المدينة . كان اسم المنزل لاندودنو .

كان السيد برنارد رجلاً بديناً ، يبدو عليه الارتباك وكان يبلغ من العمر خمسة وخمسين عامًا أو ما يقارب ذلك ، لاحظ السيد برنارد اقترابنا فوقف عند المدخل في انتظارنا .

قال : " تفضلوا بالدخول يا سادة " .

أخذ المفتش كيلسى زمام المبادرة قائلاً :

" هذا هو المفتش كروم من سكوتلانديارد ، يا سيدى . لقد أتى لمساعدتنا فى هذا القضية " .

قال السيد برنارد بأمل : "سكوتلانديارد ؟ " هذا أمر جيد ، فهذا الوغد القاتل لابد أن يلقى أشد العقاب . آه يا صغيرتى المسكينة ـــــ " تغيرت ملامح وجهه بمسحة من الحزن " .

" وهذا السيد هيركيول بوارو ، من لندن أيضًا ، والسيد ـــ " .

قال بوارو : " النقيب هاستنجز " .

قال السيد برنارد بتلقائية : " يسعدني مقابلتكم ، أيها السادة . تفضلوا في هذه الحجرة الدافئة . لا أعرف هل تستطيع زوجتي المسكينة مقابلتكم أم لا ، فهي محطمة تمامًا " .

مع ذلك ، بعد دخولنا حجرة المعيشة في هذا المنزل الصغير ، ظهرت السيدة برنارد . من الواضح أنها كانت تبكي بحرقة ، وقد احمرت عيناها وكانت تمشي بطريقة غير ثابتة تعبر عن تعرضها للصدمة الكبيرة .

قال السيد برنارد : " حسناً فعلت يا عزيزتي ، هل أنت متأكدة أنك بخير ؟ " .

ثم ربت على كتفها وأخذ بيدها حتى أجلسها على أحد الكراسي .

قال السيد برنارد : " كان المفتش في منتهى العطف ، فبعد أن أبلغنا بالأخبار ، قال إنه سيؤجل أي أسئلة حتى وقت لاحق حتى نتغلب على الصدمة الأولى " .

قالت السيدة برنارد والدموع تملأ عينيها : " إنه أمر قاس جدًا ، إنه أقسى شيء يمكن أن يحدث " .

كان في صوتها نبرة رتيبة ضعيفة لدرجة أنني ظننت للحظة أنها أجنبية حتى تذكرت الاسم الموجود على البوابة وأدركت أن " نبرة " حديثها هي في الحقيقة دليل على أنها من ويلز في الأصل .

قال المفتش كروم : " أعلم ، أنه أمر مؤلم للغاية ، سيدتي ، ونحن نتعاطف معكم من كل قلوبنا ، ولكننا نريد أن نعرف كل الحقائق الممكنة حتى نبدأ في العمل بأسرع ما يمكن " .

أومأت السيدة برنارد برأسها بالموافقة " هذا كلام معقول " .

" أعلم . أن ابنتك كانت، تبلغ من العمر ثلاثة وعشرين عامًا . وكانت تعيش معكم ، وتعمل فى مقهى جنجر كات، هل هذا صحيح ؟ " .

" إن الأمر كذلك " .

" هذا مكان جديد ، أليس كذلك ؟ أين كنتم تعيشون من قبل ؟ " .

" كنت أعمل فى شركة للحديد والمعادن فى كينينجتون . وتقاعدت منذ عامين . كنت أريد دائمًا أن أعيش بالقرب من البحر " .

" أنت لديك بنتان ؟ " .

" نعم ، تعمل الكبرى فى مكتب فى لندن " .

" ألم تنزعجا لعدم عودة ابنتكما للمنزل ليلة أمس ؟ ".

قالت السيدة برنارد ودموعها تسيل : " حسنًا ، لم نعلم أنها لم تعد ، فأنا وزوجى نذهب إلى النوم مبكرًا . فالتاسعة هو وقت نومنا . ولم نعلم أن بيتى لم تعد إلى المنزل حتى أتى ضابط الشرطة وقال ـــــ وقال ـــــ " .

ثم انهارت السيدة برنارد .

" هل كانت ابنتك معتادة على العودة للمنزل فى وقت متأخر ؟ " .

قال السيد برنارد : " تعلم فتيات اليوم ، أيها المفتش ، فهن متحررات . وفى مثل هذه الأمسيات الصيفية لا يعدن إلى المنزل مبكرًا . مع ذلك ، كانت بيتى تعود إلى المنزل قبل الحادية عشرة " .

" كيف كانت تدخل المنزل ؟ هل كان الباب مفتوحًا ؟ " .

" كنا نترك المفتاح تحت عتبة الباب ـــ وهذا ما كنا نفعله دائمًا " .

" هناك شائعة ، حسب اعتقادي ، تقول إن ابنتك كانت مخطوبة ؟ " .

قال السيد برنارد : " لم يكن الأمر رسميًا كما هو الحال الآن " .

قالت السيدة برنارد: " اسمه دونالد فريزر ، وكنت أحبه . كنت أحبه جدًا ، مسكين هذا الغلام ، ستكون ـــ ستكون هذه الأخبار مفجعة بالنسبة له . وأتساءل هل علم بالأمر بعد ؟ " .

" أعلم أنه يعمل لدى كورت وبرانسكيلز " .

" نعم ، سماسرة عقارات " .

" هل كان معتادًا على مقابلة ابنتك فى معظم الأمسيات بعد العمل ؟ " .

" ليس كل مساء . مرة أو مرتين فى الأسبوع تقريبًا " .

" هل تعلمين أنها كانت ذاهبة للقائه أمس ؟ " .

" لم تقل ذلك . لم تكن بيتى تتكلم كثيرًا عما ستفعله أو أين ستذهب . ولكنها كانت فتاة صالحة ، لقد كانت بيتى كذلك . آه ، لا أستطيع أن أصدق ـــــ " .

بدأت السيدة برنارد تجهش بالبكاء مرة أخرى .

حثها زوجها قائلاً : " تمالكى نفسك ، يا امرأة . تماسكي ، يا عزيزتى . فلابد أن نكشف غموض هذا الأمر".

انتحبت السيدة برنارد قائلة : " إنى على يقين أن دونالد لن ـــــ لن ـــــــ " .

كرر السيد برنارد الكلام " كل ما عليك أن تتمالكى نفسك الآن " .

استدار السيد برنارد للمفتشين .

" كنت أرجو من الله أن أقدم لكم بعض المساعدة ـــــ ولكن الحقيقة الواضحة أننى لا أعرف شيئًا ـــــ لا أعرف شيئًا على الإطلاق يمكن أن يساعدكم فى الوصول إلى هذا الوغد الخسيس الذى فعل ذلك . لقد كانت بيتى فتاة مرحة ، سعيدة ـــــ وكانت قد تعرفت على شاب مهذب ـــ يتنزهان معًا ، كما كنا نفعل فى أيام الشباب . أما سبب إقدام شخص على قتلها ببساطة فهو أمر يحيرنى ـــــ فهو لا يعطى أى معني " .

قال كروم : " أنت قريب جدًا من الحقيقة يا سيد برنارد ، سوف أخبرك بما أود عمله ـــــ أود أن ألقى نظرة على حجرة الآنسة برنارد . فمن الممكن أن يكون هناك شيء ـــ خطابات ـــــ أو مفكرة يوميات " .

قال السيد برنارد وهو ينهض من مجلسه : " فلتلق نظرة على الرحب والسعة " .

مشى أمامنا . وتبعه كروم : ثم بوارو ، ثم كيلسي ، وكنت في المؤخرة .

توقفت لحظة لأعيد ربط الحذاء ، وبينما كنت أقوم بذلك توقف تاكسى بالخارج وقفزت فتاة خارجة منه . دفعت الأجرة للسائق وأسرعت بدخول المنزل ، وكانت تحمل حقيبة صغيرة . رأتنى أثناء دخولها من الباب وجمدت فى مكانها .

كان هناك شيء لافت للنظر فى وقفتها لدرجة أنه أثار فضولى .

قالت الفتاة : " من أنت ؟ " ، هبطت بعض السلالم . وشعرت بإحراج ولم أعرف كيف أرد عليها . هل أذكر اسمى ؟ أو أذكر أنى جئت إلى هنا مع الشرطة ؟

إلا أن الفتاة لم تمهلنى حتى أقرر .

قالت : " حسنًا ، يمكننى أن أخمن " .

خلعت القبعة الصوفية الصغيرة التى كانت ترتديها وألقت بها على الأرض . استطعت أن أراها جيدًا ساعتها لأنها استدارت قليلاً حتى يقع عليها الضوء .

كان أول انطباع لى عنها هو أنها مثل الدمي التى كانت تلعب بها أخواتى البنات فى مرحلة الطفولة . كان شعرها أسود قصيرًا وكانت تعلو وجهها قُصَّة . كانت عظام خديها بارزة وكانت هيئتها بشكل عام نحيفة ولكنها رغم ذلك كانت تتمتع بشيء من الجاذبية . صحيح أنها لم تكن جميلة بل إنها عادية ـ إلا إنه كان هناك شيء بها يجذب النظر ، ربما نوع من القوة الذى يجعل من المستحيل على المرء تجاهلها .

سألت : " ألست الآنسة برنارد ؟ " .

" أنا الآنسة ميجان برنارد . أعتقد أنك أحد رجال الشرطة ، أليس كذلك ؟ " .

قلت : " حسنًا ، ليس كذلك بالضبط ــــــ " .

قاطعتنى فى الكلام .

" لا أظن أن لدى ما أقوله لك . فأختى كانت بنتاً لطيفة ذكية ولم يكن لديها أى أصدقاء من الشباب . عمت صباحًا " .

ضحكت ضحكة قصيرة أثناء كلامها ونظرت إلى بتحدٍ .

وقالت : " هذه هى العبارة الصحيحة ، على ما أظن ؟ " .

" أنا لست صحفيًا ، إذا كان هذا ما ترمين إليه " .

" إذن ، من تكون ؟ ثم نظرت حولها : أين أمى وأبى ؟ " .

" اصطحب أبوك رجال الشرطة إلى حجرة نوم أختك . وأمك بالداخل هناك . وهى حزينة، حزينة جدًا " .

بدا كأن الفتاة كانت تقرر شيئًا .

ثم قالت : " تفضل بالدخول إلى هنا " .

قامت بفتح باب ومرت منه . تبعتها فوجدت نفسى فى مطبخ صغير أنيق .

كنت على وشك أن أغلق الباب ورائى ـــ ولكن وجدت مقاومة غير متوقعة . ففى اللحظة التالية تسلل بوارو بهدوء إلى داخل الحجرة وأغلق الباب وراءه .

قال بوارو بانحناءة بسيطة : " أنت الآنسة برنارد ؟ ".

قلت : " هذا هو السيد هيركيول بوارو " .

ألقت عليه ميجان برنارد نظرة فاحصة خاطفة .

وقالت : " لقد سمعت عنك من قبل، ألست المخبر السرى الحاذق الأنيق ؟ " .

قال بوارو : " هذا ليس وصفًا جيدًا ـــ ولكنه يفى بالغرض " .

جلست الفتاة على حافة منضدة المطبخ ، وبحثت فى حقيبتها عن سيجارة . ثم وضعتها بين شفتيها ، وأشعلتها ، ثم قالت بين نفثتين من الدخان :

" لا أفهم ، بطريقة ما ، ما الذى يفعله السيد بوارو فى جريمتنا الصغيرة المتواضعة " .

قال بوارو : " آنستي ، إن الذى لا أستطيع أنا ولا أنت فهمه يمكن أن يملأ مجلدًا . ولكن ذلك ليس له أى فائدة عملية . وما هو مهم عمليًا هو شيء ليس من السهل أن نعثر عليه " .

" ما هذا ؟ " .

" الموت ، يا آنسة ، يخلق للأسف نوعًا من التحامُل . تحامُل فى صالح الميت . ولقد سمعت ما قلته من فترة وجيزة لزميلى هاستنجز . " فتاة لطيفة ذكية ولم يكن لديها أى أصدقاء من الشباب " . قلت ذلك استهزاءً بالصحافة . وهذا هو الحق بعينه ـــــ فعندما تموت فتاة شابة ، هذه نوعية الأشياء التى تقال . كانت ذكية . كانت سعيدة . كانت حلوة الطباع . لم يكن لديها أى أصدقاء غير مرغوبين . فهناك دائمًا مدح يوجه لشخص الفقيد . أتعلمين ما أريد الآن ؟ أود أن أعثر على شخص كان يعرف إليزابيث برنارد *ولا يعرف أنها ماتت* ! عندئذٍ سأسمع ما هو مفيد لى ـــــ الحقيقة " .

نظرت إليه ميجان برنارد لعدة دقائق فى صمت وهى تدخن . وأخيرًا تكلمت . جعلتنى كلماتها أقفز من مكانى .

قالت : " بيتى كانت فتاة حمقاء تمامًا ! " .

الفصل ١١

ميجان برنارد

قلت من قبل إن كلمات ميجان ، والطريقة العملية الحادة التي تكلمت بها ، جعلتني أقفز من مكاني .

ولكن كل ما فعله بوارو هو مجرد الانحناء برأسه باهتمام .

قال بوارو : " كم أنت ذكية ، يا آنسة " .

قالت ميجان برنارد بنفس الطريقة الحيادية :

" لقد كنت أحب بيتي حبًا شديدًا . ولكن حبي لها لم يعميني عن تصرفاتها الحمقاء ـــ وأخبرتها بذلك في أكثر من مناسبة ! فهذا ما يجب أن يكون بين الأخوات " .

" وهل أخذت بنصيحتك ؟ " .

قالت ميجان بشيء من التهكم : " ربما لا " .

" هل من الممكن أن تكوني أكثر وضوحًا ، يا آنستي " .

ترددت الفتاة لدقيقة أو دقيقتين .

قال بوارو بابتسامة خفيفة :

" سأساعدك . سمعتك تقولين لهاستنجز بأن أختك كانت فتاة ذكية مرحة ولم يكن لديها أصدقاء من

الشباب . لقد كان *العكس* ، بالطبع ، هو الصواب ، أليس كذلك ؟ ".

قالت ميجان ببطء :

" لم يكن هناك ما يسوء في بيتي . أود أن تفهم ذلك جيدًا . فقد كانت فتاة مستقيمة على الدوام . ولم تكن فتاة لعوبًا . لم تكن من هذا النوع مطلقًا . ولكنها كانت تحب الخروج والرقص و ــــ وكلمات المدح والهدايا البسيطة وأشياء أخرى من هذا القبيل " .

" كانت جميلة ــــ أليس كذلك ؟ " .

سمعت هذا السؤال ثلاث مرات من قبل ، ولكن هذه المرة كان الرد عمليًا .

تحركت ميجان من على المنضدة ، واتجهت نحو حقيبتها ثم فتحتها وأخرجت شيئًا وأعطته لبوارو .

كان هذا بروازًا من الجلد يظهر فيه صورة رأس وكتفي فتاة مبتسمة ذات شعر فاتح . كان واضحًا أن شعرها تم تصفيفه حديثًا ، حيث كان يخرج من رأسها في شكل كتلة كبيرة من التجاعيد . كانت تبتسم ابتسامة عريضة مصطنعة . كان لا يمكنك القول إن وجهها جميل ، ولكن كان به جاذبية واضحة .

رد بوارو الصورة إليها قائلاً :

" ليس هناك شبه بينكما ، آنستي " .

أجابت ميجان : " حسنًا ، فأنا الأقل جمالاً فى العائلة . وأعلم ذلك دائمًا " . كان يبدو أنها لم تبالى بهذه الحقيقة وتعتبرها غير مهمة .

" كيف اعتبرت أن أختك كانت تتصرف بحماقة تحديدًا ؟ هل تقصدين فيما يتعلق بعلاقتها بالسيد دونالد فريزر ؟ " .

" هو كذلك ، بالضبط . فدونالد من النوع الهادئ جدًا ـــ ولكنه ـــ حسنًا ، كان مستاء من أشياء معينة ـــ وبعد ذلك ـــ " .

" وبعد ذلك ماذا ، يا آنسة ؟ " .

ثبت عينيه فى عينيها .

ربما تخيلت ولكن بدا لى أنها ترددت لحظة قبل أن تجيب .

" كنت أخشى أن ينهى علاقته بها تمامًا . وكان ذلك أمرًا محزنًا . فهو شاب متزن ومجد فى عمله وربما كان زوجًا صالحًا لها " .

استمر بوارو فى تدقيق النظر فيها . ولكنها لم تشعر بخجل من ذلك بل ردت النظرة بنظرة ثابتة مثلها مصحوبة بشىء آخر ـــ شىء ذكرنى بسلوكها الأول معى بما فيه من تحدٍ وتكبر .

وأخيراً قال بوارو : " بهذا الشكل ، لم نعد صرحاء " .

هزّت كتفيها واستدارت متجهة نحو الباب .

وقالت : " حسنًا ، لقد فعلت كل ما فى وسعى لمساعدتكم " .

جذب صوت بوارو انتباهها .

" مهلاً ، يا آنسة . فلدى شيء أريد أن أخبرك به . تعالي " .

أطاعت الفتاة الكلام ولكن على مضض .

ما أثار دهشتي قليلاً ، أن بوارو بدأ فى سرد القصة الكاملة للرسائل ذات توقيع " إيه بى سى " ، وحادثة أندوفر ودليل القطارات الذى وجد تحت جثتي القتيلتين .

لم يكن لديه مبرر لأن يشتكى من عدم اكتراثها . حيث فغرت الفتاة فاها ولمعت عيناها ، وتعلقت بكلماته .

" هل هذا الكلام صحيح ، يا سيد بوارو ؟ " .

" نعم ، إنه صحيح " .

" هل تعنى حقًا أن أختى قتلها قاتل معتوه فظيع ؟ " .

" تمامًا " .

أخذت نفسًا عميقًا .

" أوه ! يا بيتى —— بيتى —— كم —— كم هو أمر شنيع ! " .

" أرأيت ، يا آنسة ، أن المعلومات التى أسعى إليها يمكن أن تأتينى بكل صراحة دون التفكير في ما إذا كانت ستضر أحدًا أم لا " .

" نعم ، لقد فهمت هذا الآن " .

" إذن لنكمل الحوار الذى بدأناه . لدى الآن ظن بأن دونالد فريزر كان غيورًا وعنيفاً ، هل هذا صواب ؟ " .

قالت ميجان برنارد بهدوء : " إنى أثق فيك الآن، يا سيد بوارو . وسأروى لك الحقيقة كاملة . دونالد ، كما قلت، شخص هادئ جدًا ـــ يكتم غضبه ، أتعلم ما أقصد . فلم يكن لديه القدرة على أن يعبر عما يشعر به .

وكان غيورًا بطبعه . كان دائمًا يغار على بيتى . وكان مخلصًا لها ـــ وكانت بيتى مغرمة به بالطبع ، ولكن لم يكن يكفى بيتى أن تحب شخصًا واحدًا ولا تنظر للآخرين . لم تكن هذه طبيعتها . فكانت تتخير شابًا وسيمًا ليقضى اليوم معها ، وبالطبع ، بسبب عملها فى جنجر كات كانت تقابل الشباب ـــ وخصوصًا فى إجازات الصيف . وكانت ذات رد حاضر دائمًا وإذا مازحوها تتجاوب معهم . وبعد ذلك تقابلهم ويذهبون إلى السينما أو أى مكان آخر . لم يكن فى الأمر ما يدعو للريبة، كانت تحب أن تتمتع بوقتها . واعتادت أن تقول بإنها ستضطر إلى الاستقرار مع دونالد يومًا من الأيام فعليها أن تمتع نفسها الآن قدر ما تستطيع " .

توقفت ميجان برنارد عن الكلام وقال بوارو :

" أفهم ما تقولين . واصلى الحديث " .

" كانت هذه طريقتها فى التفكير التى لم يستطع دونالد أن يفهمها . فإذا كانت تحبه لم يستطع فهم سبب

رغبتها فى الخروج مع رجال آخرين . ولقد حدث بينهما شجار كبير وشديد مرة أو مرتين بسبب ذلك " .

" وهل تخلى دونالد عن هدوئه ؟ " .

" إنه مثل كل أولئك الذين يتميزون بالحلم، عندما يغضبون لا يمكنك توقع رد فعلهم . كان دونالد عنيفًا لدرجة أصابت بيتى بالخوف " .

" متى حدث هذا ؟ " .

" كان أحد هذه الشجارات منذ ما يقرب من عام وكان الآخر ـــ وهو الأسوأ ـــ منذ ما يزيد على شهر تقريبًا . كنت فى المنزل لقضاء عطلة نهاية الأسبوع ـــ وأحضرتهما معًا لتسوية الخلاف ، وساعتها حاولت أن أحث بيتى على التعقل قليلاً ـــ وقلت لها إنها حمقاء . وكل ما قالته إنها لم تفعل شيئًا مشينًا . حسنًا ، كان هذا صحيحًا ، ولكنها كانت تتصرف بتهور شديد . وبعد شجار العام الماضى ، بدأت فى التعود على قول بعض الأكاذيب المفيدة معتمدة على مبدأ أن ما لا يدركه العقل لا يحزن عليه القلب . هذا الشجار الأخير كان بسبب أنها قالت لدونالد إنها ذاهبة إلى مدينة هاستينجز لزيارة صديقة لها ـــ ثم اكتشف بعد ذلك أنها ذهبت إلى إيستبورن مع رجل ما . وكان رجلاً متزوجًا ، وتصادف أنه كان كتومًا ولم يخبرها بهذا الأمر ، وهو مازاد الأمر سوءًا . كان مشهدًا رهيبًا بينهما ـــ بيتى تقول إنها ليست بزوجة دونالد بعد ومن حقها أن تخرج مع من تريد ، وكان

دونالد يرتعش وقد كساه الشحوب وهو يقول : يومًا ما ــــ يومًا ما ـــ " .

" ماذا ؟ " .

قالت ميجان بصوت منخفض : " سيرتكب جريمة قتل ـــــ " .

ثم وقفت وهي تحدق النظر إلى بوارو .

أومأ بوارو برأسه باهتمام عدة مرات .

وقال : " ولذلك ، من الطبيعى ، خشيت أن . . . " .

" لم أفكر ــــ ولو للحظة واحدة ـــ أنه سيقوم بذلك بالفعل . ولكن ما خشيت هو أن يتم إثارة هذا الموضوع ـــ الشجار وكل ما قاله ـــــ حيث علم بشأنه كثير من الناس " .

أومأ بوارو برأسه باهتمام مرة أخرى .

" هو كذلك . كان بإمكانى ، يا آنسة ، إن أقول إن هذا ما حدث بالفعل لولا تفاخُر القاتل بنفسه . وإذا لم تحم الشبهات حول دونالد فريزر ، فسيكون الفضل فى ذلك لتفاخر المجرم " إيه بى سى " الجنونى .

صمت بوارو لدقيقة أو دقيقتين ، ثم قال :

" هل تعرفين ما إذا كانت أختك قد قابلت هذا الرجل المتزوج ، أو أى رجل آخر فى الآونة الأخيرة ؟ " .

هزت ميجان رأسها :

" لا أعرف . فلم أكن موجودة كما ترى " .

" ولكن ماذا تظنين ؟ " .

" من الممكن أنها لم تقابل هذا الرجل ثانية . فمن المحتمل أنه ابتعد عنها لظنه أن هناك فرصة لظهور خلاف ، ولكن لم يكن لأندهش إذا كانت بيتى قد كذبت على دونالد مرة أخرى . فكما تعلم ، كانت تحب الرقص والذهاب إلى السينما ، وبالطبع لم يستطع دونالد أن يلبى لها ذلك باستمرار .

" هل كانت تبوح بأسرارها لشخص ما ؟ الفتاة الموجودة فى المقهى على سبيل المثال ؟ " .

" لا أظن أن ذلك ممكن . فـ " بيتى " لم تكن تطيق الفتاة هيجلى . حيث كانت تعتبرها سوقية . وكانت الفتيات الأخريات حديثات العهد فى المقهى . ولم تكن بيتى بالنوع الذى يأتمن الآخرين على أسرارها على أى حال " .

أصدر جرس كهربائى فوق رأس الفتاة رنينًا عاليًا .

اتجهت إلى النافذة وأطلت برأسها للخارج . ثم عادت برأسها للخلف بسرعة .

" إنه دونالد . . . . " .

قال بوارو بسرعة : " أحضريه إلى هنا ، أود الحديث معه قبل أن يضع مفتشنا الطيب يده عليه " .

بسرعة البرق كانت خارج المطبخ ، وبعد مرور ثانيتين عادت مرة أخرى ومعها دونالد فريزر .

الفصل ١٢

دونالد فريزر

شعرت بالأسى تجاه هذا الشاب . فقد كان وجهه الشاحب المرهق وعيناه الحائرتان يبينان مدى عظم الصدمة التى تعرض لها هذا الغلام .

كان شابًا قوى البنية ، أنيقًا فى مظهره ، يقترب طوله من ست أقدام ، ليس وسيمًا ، ولكن له وجه مقبول يعلوه نمش ، وعظمتا وجنتيه بارزتان وشعره أحمر لامع .

قال دونالد : " ماهذا يا ميجان ؟ ولماذا هنا ؟ أستحلفك بالله أن تخبرينى ـــ فقد سمعت لتوى أن ـــ بيتى . . . . " .

ثم ضعف صوته .

دفع بوارو كرسيًا للأمام وارتمى عليه الشاب .

أخرج صديقى بعد ذلك قارورة صغيرة من جيبه ، ثم صب بعضًا من محتوياتها فى كأس مناسب كان موجودًا على خزانة الأطباق وقال :

" خذ هذا ، يامستر فريزر . وستشعر بالراحة " .

أطاع الشاب الكلام . وأعاد المشروب الدماء إلى وجهه . وجلس الشاب أكثر استقامة ، ثم استدار إلى الفتاة مرة أخرى . كان يتصرف بهدوء تام وتماسك .

قال : " إن الأمر صحيح ، أليس كذلك ؟ ، بيتـى قـد ماتت ـــــ قتلت ؟ " .

" هذا صحيح ، يا دونالد " .

تحدث بطريقة آلية قائلاً :

" هل عدت لتوك من لندن ؟ " .

" نعم . حيث اتصل بى أبي " .

قـال دونالـد فريـزر : " أعتقـد أنـك جئـت فـى قطـار التاسعة والنصف ، أليس كذلك ؟ " .

كان ذهنه يهرب من الو قع ، بحثاً عن الأمان فى هـذه التفاصيل التافهة .

" نعم " .

ساد الصمت لدقيقة أو دقيقتين ، ثم قال فريزر :

" وما أمر الشرطة ؟ هل يفعلون شيئًا ؟ " .

" إنهم بالطـابق العلـوى . يتفحـصون أغـراض بـيتي ، على ما أعتقد " .

" ألديهم فكرة عمن ـــــ ؟ ألا يعرفون ـــــ ؟ " .

توقف عن الكلام .

كان شخصًا حساسًا ، وخجوًلا ، ويكره أن يصوغ هـذه الحقائق العنيفة فى كلمات .

تقدم بوارو للأمام قليلاً وطرح سؤالاً .

كان يتكلم بصوت جدى وعملى كمـا لـو كانـت أسـئلته تغطى تفاصيل غير ذات أهمية .

" هل أخبرتك الآنسة برنارد أين كانت ذاهبة مساء أمس ؟ " .

أجاب فريزر على السؤال . كان يبدو أنه يتكلم بطريقة آلية .

" أخبرتني أنها ذاهبة مع أحدى صديقاتها إلى ليوناردز " .

" هل صدقتها ؟ " .

" أنا ـــــ " وفجأة دبت الحياة فى الإنسان الآلى .

" ما الذى تقصده بحق السماء ؟ " .

وجعلني وجهه المخيف، والمتشنج بسبب الانفعال الشديد المفاجئ أفهم لماذا تخشى أى فتاة أن تثير غضبه .

قال بوارو بخشونة :

" قُتِلَت بيتى برنارد على يد مجرم قاتل ، وقولك الصدق التام فقط سيساعدنا على تعقب هذا المجرم " .

اتجه بنظره إلى ميجان لمدة دقيقة .

قالت: " هذا صحيح يا دون ، ليس هذا بالوقت الذى تفكر فيه فى مشاعرك أو مشاعر الآخرين . لابد أن تقول كل شيء " .

نظر فريزر إلى بوارو بنوع من الريبة .

" من أنت ؟ أنت لست شرطيًا " .

قال بوارو : " أنا أفضل من رجال الشرطة " ، قالها دون تكبر مقصود . فبالنسبة له ، كان ذلك تعبيرًا عن حقيقة بسيطة .

قالت ميجان : " أخبره يا دونالد " .

استسلم دونالد فريزر .

وقال : " أنا ــــ لم أكن متأكدًا ، لقد صدقتها عندما قالت ذلك . ولم أفكر في عمل أى شيء آخر . وبعد ذلك ــــ ربما بسبب شيء في تصرفاتها . أنا ــــ أنا ، حسنًا ، بدأت أتساءل " .

قال بوارو " حسنًا ؟ " .

كان بوارو يجلس أمام دونالد فريزر . وعيناه مثبتتان في عيني الآخر ، وكأنه ينومه مغناطيسيًا .

" شعرت بالخجل من نفسي بسبب شكي الدائم . ولكن ــــ ولكن ساورني *الشك بالفعل* . . . . ففكرت في الذهاب لمراقبتها عند خروجها من المقهى . وذهبت بالفعل إلى هناك . ثم شعرت بأنني لا أستطيع عمل ذلك . فمن الممكن أن تراني بيتي وتغضب مني . لأنها ستدرك على الفور أني كنت أراقبها " .

" وماذا فعلت ؟ " .

ذهبت إلى سانت ليوناردز . وصلت هناك قبل الثامنة . وأخذت أراقب الحافلات ــــ لأراها في إحداها . . . . ولكن لم أجد لها أى أثر . . . . " .

" ماذا فعلت بعد ذلك ؟ " .

" لقد ــــ لقد جن جنوني . فقد كان لدى قناعة تامة بأنها مع رجل ما . وفكرت أنه قد يكون أخذها بسيارته إلى هاستينجز . ذهبت إلى هناك ــــ بحثت عنها في

الفنـادق ، والمطـاعم ، وانتظـرت أمـام الـسينما ـــــ وذهبت إلى رصيف البحر . وكل هذا كـان حماقـة . لأنهـا حتى لو كانت هناك فلن أتمكن من العثور عليهـا ، وعلـى أى حال ، هناك كثير من الأماكن التى كان من الممكـن أن يأخذها إليها غير هاستينجز " .

توقف عن الكـلام . وعلـى الـرغم مـن أن نبرتـه ظلـت دقيقة ، لاحظت مسحة من الحزن والغضب المحير الـذى تملكه أثناء حديثه .

" فى النهاية فقدت الأمل ـــــ وعدت إلى بيتي " .

" ماذا كان التوقيت ساعتها ؟ " .

" لا أعـرف . مـشيت . مـن المؤكـد أن ذلـك كـان فـى منتصف الليل أو بعده عندما عدت إلى المنزل " .

" وبعد ذلك ـــــ " .

فُتحَ باب المطبخ وقال المفتش كيلسى : " أنتم هنا " .

اندفع المفتش كروم ، وصوب نظره إلى بوارو وأخرى إلى الغريبين .

قال بوارو هو يقدمهما :

" هذه الآنسة ميجان برنارد والسيد دونالد فريزر " .

وأردف قائلاً :

" وهذا المفتش كروم من لندن " .

ثم استدار إلى المفتش وقال :

" أثنـاء مواصـلتك للتحقيقـات فـى الطـابق العلـوي ، أجريت حوارًا مع الآنسة برنـارد والـسيد دونالـد فريـزر ، فى محاولة للوصول إلى شيء يلقى الضوء على الموضوع " .

قال المفـتش كـروم وكـل تفكـيره متجـه نحـو الوافـدين الجدد " حقًا ؟ " .

عـاد بـوارو إلى البهـو . وقـال المفـتش كيلـسى أثنـاء عبوره :

" هل توصلت لشيء ؟ " .

ولكن صديقه شتت انتباهه فلم ينتظر جوابًا لسؤاله .

انضممت إلى بوارو فى البهو .

سألت : " هل لفت انتباهك شيء . يا بوارو ؟ " .

" فقط نبـل الخُلُـق المـذهل الـذى يتمتـع بـه القاتـل ، ياهاستينجز " .

لم أجرؤ على القول إنه لم يكن لـدى أدنـى فكـرة عمـا يعنيه .

الفصل ١٣

المؤتمر

مؤتمرات !

يبدو أن ذكرياتي عن قضية " إيه بي سي "مرتبطة بالمؤتمرات .

مؤتمرات في سكوتلانديارد ، وفي مسكن بوارو . ومؤتمرات رسمية ، ومؤتمرات غير رسمية .

عُقِد هذا المؤتمر بالذات من أجل اتخاذ قرار بنشر الوقائع المتعلقة بالرسائل المجهولة في الصحف أو عدم نشرها .

فقد جذبت حادثة اغتيال بيكسهيل كثيرًا من الاهتمام أكثر من حادثة أندوفر .

وذلك بالطبع ، لأن بها كثيرًا من عناصر الشهرة والذيوع . بداية فالضحية كانت شابة وعلى قدر من الجمال . أضف إلى ذلك ، وقعت الحادثة على أحد الشواطئ المشهورة .

تم تسجيل كل تفاصيل الجريمة وكانت تنشر يوميًا مع تعديل بسيط في صياغتها ، وأتى دور دليل القطارات الأبجدي ليأخذ حظه من الاهتمام . كان أفضل الافتراضات هو أن الدليل قد اشتراه القاتل من المنطقة وأنه

دليل له قيمته لتحديد هوية القاتل . وكان يوضح أيضًا أنه قد أتى لهذا المكان بالقطار وكان ينوى المغادرة إلى لندن .

ولم تظهر أى تفاصيل عن دليل القطارات فى التحقيقات البسيطة فى حادثة القتل التى وقعت بأندوفر ، ولذلك يبدو فى الوقت الحاضر أن هناك ترابطًا بسيطًا بين الجريمتين أمام الرأى العام .

قال المفوض المساعد : " لابد أن نستقر على سياسة واحدة . فما يهم هو أن نعرف ما الوسيلة التى تؤدى إلى أفضل النتائج ؟ هل ننشر هذه الوقائع أمام الجميع ــــ طلبًا لتعاونهم معنا ــــ فسيكون تعاون ملايين الأفراد من الشعب ، بحثًا عن مجنون ــــ " .

قاطعه الدكتور تومسون قائلاً : " ولكنه لن يبدو كمجنون " .

أردف المفوض المساعد : "ــــ ومراقبة مبيعات دليل القطارات الأبجدى ــــ إلى آخره . وعلى النقيض من ذلك ، أرى أن لدينا ميزة العمل فى الخفاء ــــ ولا نجعل رجلنا المقصود يعرف ماذا نستعد له ، ولكنه يعى *تمامًا أننا نعرف ما يفعله* فقد جذب الانتباه إلى نفسه عن طريق رسائله بشكل مقصود . ما رأيك فى هذا يا كرومر ؟ " .

" هذا ما أفكر فيه ، سيدى . إذا نشرت الموضوع ، فسوف تدخل معه فى مباراة . وهذا ما يريده ــــ دعاية ــــ وشهرة . وهذا ما يسعى إليه . هذا صحيح ،

ألـيس كـذلك يـا دكتـور ؟ فهـو يريـد أن يلفـت إليـه الأنظار " .

أومأ تومسون برأسه .

قال المفوض المساعد باهتمام :

" إذن فأنتم ترون تفويـت هـذه الفرصـة عليـه . وذلـك بحرمانه من الشهرة التى يتوق إليهـا . مـا رأيـك يـا سيد بوارو ؟ " .

لم يتكلم بوارو لدقيقة . وعندما بدأ الحديث كان يختار كلماته بدقة متناهية . وقال :

" صـعب علـى سيد ليونيـل ، حيـث أننـى الطـرف المقـصود بالرسـالة . وقـد أرسـل هـذا التحـدى إلى . وإذا قلت : " فلنبق هذا الحقيقـة فـى طـى الكتمـان ـــــ ولا ننشرها فى الصحف ، ألن يظن أننى أقول ذلك بدافع مـن غـرورى الشخـصى ؟ وأننـى أخـاف علـى سمعتـى ؟ أمـر صعب ! فالحديث علنًا ـــــ وأن نقول كل شىء ـــــ له مميزاتـه . فهـو علـى الأقـل، تحـذير . . . . مـن ناحيـة أخرى، فإنى على قناعة مثل المفتش كرومر أن *هـذا هـو مـا يسعى إليه القاتل* " .

قال المفوض المساعد وهو يحك ذقنـه ويتجـه بنظـره إلى الطبيـب تومـسون : " همـم ! لـنفترض أننـا حرمنـا هـذا المجنون من إشباع رغبة الشهرة التى يـسعى وراءهـا . مـا الذى يمكن أن يقوم به ؟ " .

قال الطبيب على الفور : " يرتكب جريمة أخرى . ليجبرك على ذلك" .

" وإذا أذعنا الخبر فى العناوين الرئيسية للصحف . ماذا سيكون رد فعله فى هذه الحالة ؟ " .

" نفس إجابة السؤال السابق . لأنك من ناحية تشبع جنون العظمة لديه ، *ومن الناحية الأخرى تكبحه* . ولذلك فالنتيجة واحدة . ارتكاب جريمة أخرى " .

" ما رأيك ، يا سيد بوارو ؟ " .

" أتفق مع الطبيب تومسون فى الرأي " .

" موقف محرج ـــــ أليس كذلك ؟ فى ظنك كم سيكون عدد الجرائم التى ينوى هذا المجنون ارتكابها ؟ " .

نظر الطبيب تومسون إلى بوارو وقال بمرح :

" بعدد حروف الأبجدية من " إيه إلى زد " .

ثم استطرد الحديث : " بالطبع لن يصل لذلك . ولا قريبًا من ذلك . لأنه سيكون قد قبض عليه قبل ذلك . وسيكون تعامله مع الحرف " إكس " شيقاً للغاية " . ثم شعر بالذنب وتراجع عن هذا التخمين المضحك . " ولكنكم ستقبضون عليه قبل ذلك . لنقل عند حرف " جى " أو " إتش " .

ضرب المفوض المساعد المنضدة بقبضة يده وقال :

" ياإلهى . أتريد أن تقول إنه سيرتكب خمس جرائم أخرى ؟ " .

قال المفتش كروم : " كن واثقًا ، لن يصل الأمر إلى هذا الحد " .

كان يتكلم بثقة .

سأله بوارو : " ما الحرف الذى سيصل إليه فى ظنك أيها المفتش ؟ " .

كان هناك نبرة من السخرية الخفيفة فى صوته . وأعتقد أن كروم كان ينظر إليه بمسحة من الكره ممزوجة بكبريائه الهادئة المعتادة .

" ربما نقبض عليه المرة القادمة، يا سيد بوارو . وعلى كل حال أود أن أؤكد لكم أننا سنقبض عليه قبل وصوله لحرف " إف " .

ثم استدار إلى المفوض المساعد .

" أعتقد أننى قد فهمت الناحية النفسية لهذه الحالة بوضوح كبير . وسيصوب كلامى الطبيب تومسون إن كنت مخطئًا . أعتقد أن كل مرة يتم فيها هذا المجرم جريمته بنجاح ، تزداد ثقته مائة فى المائة . فكل مرة يشعر فيها بأنه ذكى وبأننا لا نستطيع القبض عليه يصبح مفرط الثقة فى نفسه ، ومن ثم يصبح مهملاً . فهو يبالغ فى ذكائه مقارنة بغباء الآخرين . فعن قريب لن يهتم بأن يأخذ الحذر تمامًا . هذا صحيح، أليس كذلك ، سيادة الطبيب ؟ " .

أومأ تومسون برأسه .

" تكون الحالة هكذا عادة . وبعيدًا عن المقاييس الطبية لا يمكن تفسير الأمر أفضل من ذلك . أنت تعرف شيئاً عن هذه الأشياء يا سيد بوارو ، ألا تتفق معى ؟ " .

أعتقد أن كروم لم يعجبه اهتمام تومسون ببوارو . لأنه كان يعتبر أنه هو فقط ولا أحد غيره هو الخبير بهذا الموضوع .

قال بوارو موافقًا : " إن الأمر كما قال المفتش كرومر " .

تكلم الطبيب بصوت منخفض " جنون العظمة " .

استدار بوارو إلى كروم .

" هل هناك أى حقائق مادية مهمة فى قضية بيكسهيل ؟ " .

" لا يوجد شىء محدد . نادل فى مقهى سبلنديد فى إيستبورن تعرف على صورة الفتاة القتيلة بأنها صورة لامرأة شابة كانت تتناول طعام العشاء هناك مساء يوم الرابع والعشرين بصحبة رجل فى منتصف العمر يرتدى نظارة . وتم التعرف عليها فى فندق ريفى على الطريق يسمى سكارلت رانر فى منتصف الطريق بين بيكسهيل ولندن . وقالوا إنها كانت هناك فى حوالى الساعة التاسعة مساء يوم الرابع والعشرين بصحبة رجل كان يبدو أنه ضابط بحرى . ولم يكن أى منهما على صواب ، ولكنّ ما يقوله كل منهما أمر محتمل . وبالطبع كان هناك العديد

من الروايات الأخرى ولكنها عديمة النفع . ولم نستطع أن نعثر لهذا المجرم على أثر " .

قال المفوض المساعد : " حسنًا ، يبدو أنك تقوم بكل ما يمكن عمله يا كروم " . ثم وجه حديثه إلى بوارو قائلاً : " ماذا تقول يا سيد بوارو ؟ هل ترى أى مفتاح آخر يمكن أن يساعدنا أثناء التحقيقات ؟ " .

قال بوارو ببطء :

" يبدو لى أن هناك دليلاً فى غاية الأهمية ـــ وهو اكتشاف الدافع الذى أدى إلى ارتكاب الجريمة " .

" أليس ذلك واضحًا تمامًا . عقدة الحروف الأبجدية . أليس ذلك ما أطلقت عليه أيها الطبيب ؟ " .

قال بوارو : " نعم ، هناك عقدة الحروف الأبجدية . ولكن *لماذا عقدة* الحروف الأبجدية بالذات ؟ فالرجل المجنون لديه دائمًا مبرر قوي جدًا للجرائم التى يرتكبها " .

قال كروم : " نعم ، نعم سيد بوارو . وهذا ما حدث مع ستونمان فى عام ١٩٢٩ . فقد انتهى به الأمر إلى أن يقتل أى شخص سبب له أقل درجة من الضيق " .

استدار له بوارو .

" هو كذلك تمامًا . ولكن إذا كنت رجلاً عظيمًا ومهمًا بدرجة كافية ، فمن الضرورى أن تتجنب المضايقات البسيطة . فإذا استقرت ذبابة على جبهتك مرات ومرات ، تضايقك بوخزاتها ، فماذا تفعل ؟ تحاول أن

تقتـل الذبابـة . ولـن يكـون لـديك أى هـواجس بـشأنها . فأنت لك أهمية والذبابة ليس لها أى أهمية . فأنت تقتـل الذبابة وتنتهي المضايقة . ويبدو لك أن سلوكك فى منتهـى الحكمـة ولـه مـا يـبرره . وسـبب آخـر لقتـل الذبابـة هـو اهتمامـك بالنظافـة بدرجـة كـبيرة . فـستكون الذبابـة هنـا مصدر خطر محتمل علـى المجتمـع ـــــ ولابـد أن تبعـد الذبابة . وهكذا يعمل تفكير المجرم المخبول عقليًا . ولكـن فكـر فـي هـذه القـضية ـــــ إذا كـان الـضحايا قـد تم اختيارهم حسب الترتيـب الأبجـدي ، إذن فهـم لم يقتلـوا لأنهم يمثلون مصدر ضيق شخـصى للقاتـل . وسـيكون مـن الصعب أن يجمع بين الاثنين .

قال الطبيب تومسون : " هذه نقطة . أتذكر حالة حكم فيها على زوج سيدة بالإعدام . وبدأت السيدة بقتـل أفـراد لجنة المحلفين واحدًا تلو الآخر . لقد مر وقت طويل قبـل ربط الجرائم ببعضها . كانت تبدو هـذه الجـرائم عـشوائية تمامًا . ولكن كما يقول السيد بوارو ، فلا يوجـد مثـل هـذا المجرم الذى يرتكب جرائمه بشكل *عشوائى* . فهو إمـا أن يبعد الناس الذين يقفون فى طريقه ، أو يقتل بسبب *قناعة* ما . فهو يتخلص من رجال الشرطة ، ورجـال الـدين ، أو البغايا لاعتقاده الراسخ بأنه *لابد* من قتلهم . وفـى رأيـى لا ينطبق هذا أيضًا على حالتنا . فالسيدة آشر وبيتـى برنـارد لا يمكن الربط بينهما كأفراد من طبقة واحدة . وبـالطبع ، من الممكن أن يكون هناك عقدة الجنس . فكلتا الـضحيتين

أنثى . ويمكننا أن نجزم بهذا بشكل أفضل ، بكل تأكيد ، بعد الجريمة القادمة ــــ " .

قال السيد ليونيل بغضب : " بالله عليك ، يا تومسون ، لا تتحدث هكذا باستخفاف عن الجريمة القادمة . لأننا سنفعل ما بوسعنا لمنع وقوع جريمة أخري " .

آثر الطبيب تومسون السلام ، وزفر بشيء من العنف . وكأنه يقول بهذا الصوت : " افعلوا ماتريدون ، إذا لم تواجهوا الحقائق ـــــ " .

استدار المفوض المساعد إلى بوارو .

" إنى أفهم ما ترمى إليه ، ولكنى لست متأكدًا بعد " .

قال بوارو : " أسائل نفسي ، ماذا يدور فى خلد المجرم ؟ فهو يقتل ، كما يبدو من رسائله ، من أجل المتعة . هل يمكن أن يكون ذلك صحيحًا حقًا ؟ وحتى لو كان هذا صحيحًا ، فعلى أى أساس يختار ضحاياه إذا استبعدنا مبدأ الترتيب الأبجدى ؟ إذا كان يقتل من أجل أن يسلى نفسه فقط ، ما كان ليعلن هذه الحقيقة حتى يقتل دون أن يكتشفه أحد . ولكن لا ، فهو ، كما نتفق جميعًا ، يسعى إلى جذب اهتمام الرأى العام ــــ لتأكيد شخصيته . فما الكيفية التى تعرضت بها شخصيته للقهر حتى يستطيع المرء أن يربط بين الضحيتين اللتين اختارهما حتى الآن ؟ وهناك اقتراح أخير : هل دافعه هو

الكره الشخصى المباشر *لى* ، أنا هيركيول بوارو ؟ وهل يتحدانى علنًا لأننى (دون أن أدري) قد تفوقت عليه فى شيء ما أثناء عملى ؟ أو هل عداوه هذا غير شخصى ــــ وموجه ضد شخص *أجنبى* . وإذا كان كذلك ، فما الذى أدى إلى هذا للمرة الثانية ؟ ما الضرر الذى وقع عليه على يد شخص أجنبى ؟ " .

قال الطبيب تومسون : " كل هذه الأسئلة موحية جدًا " .

نظف كروم حلقه قائلاً :

" أحقًا ؟ وليس لها إجابة فى الوقت الحاضر" .

قال بوارو وهو ينظر إليه مباشرة : " مع ذلك ، يا صديقي ، *إنه هناك ، فى هذه الأسئلة ، يكمن الحل* " . إذا وصلنا إلى السبب الصحيح ــــ والذى ، ربما ، يكون شيئاً فى منتهى الغرابة بالنسبة لنا ــــ ولكن منطقيًا بالنسبة له ــــ ، فإننا قد نعرف من ستكون الضحية التالية " .

هزّ كروم رأسه .

" إنه يختارهم بشكل عشوائى ــــ هذا رأيي " .

قال بوارو : " هذا القاتل نبيل الخلق " .

" ما هذا الذى قلت ؟ " .

" قلت ــــ القاتل نبيل الخلق ! لأنه كان سيتم القبض على فرانز آشر لمقتل زوجته ــــ وعلى دونالد فريزر لمقتل بيتى برنارد ــــ لولا تحذيرات رسائل هذا

القاتل الأبجدى . فهل هو طيب القلب لدرجة أنه لا يتحمل أن يعانى الآخرون بسبب شىء لم يقترفوه ؟ " .

قال الطبيب تومسون : " أعرف أشياء تحدث أغرب من هذا . فلقد عرفت رجالاً قاموا بقتل ست ضحايا لأن إحدى ضحاياهم لم يمت على الفور وعانى من الألم . مع ذلك ، لا أظن أن هذا هو مبرر الشخص الذى نحن بصدده . فهو يريد أن يحصل من خلال هذه الجرائم على المجد والشهرة " .

قال المفوض المساعد : " لم نصل إلى أى قرار بشأن موضوع النشر " .

قال كروم : " إذا سمحت لى باقتراح، سيدى . لماذا لا ننتظر حتى تسلم الرسالة القادمة ؟ ونقوم بنشرها عند ذلك ـــ فى طبعات خاصة ، إلخ . سوف يسبب ذلك ذعرًا فى المدينة المقصودة ، ولكنه سيجعل كل من يبدأ اسمه بحرف سى فى منتهى الحيطة والحذر ، وكذلك سيدفع ذلك المجرم الغامض إلى بذل كل ما فى وسعه ، وسيكون مصممًا على النجاح . وهنا سنقبض عليه " .

ولكن كم نجهل ما يخفيه لنا المستقبل .

الفصل ١٤

الرسالة الثالثة

مازلت أذكر جيدًا وصول الرسالة الثالثة .

أود القول إنه تم اتخاذ كل التدابير اللازمة حتى لا يكون هناك أى تأخير غير ضرورى عندما يستأنف القاتل الأبجدى حملته . فقد كان هناك رقيب شاب من سكوتلانديارد مرابط أمام المنزل وعند عدم تواجدى وبوارو كانت مهمته فتح أى شىء يصل حتى يتمكن من الاتصال بالمقر الرئيسى دون إضاعة للوقت .

مع تتابع الأيام زاد قلق الجميع . وأصبح المفتش كرومر متحفظًا وأكثر تعاليًا فى سلوكه حيث تلاشى الأمل فى الأدلة التى كان يعول عليها كثيرًا . وكذلك ثبت عدم جدوى الوصف غير الواضح لرجال قيل إنه تمت مشاهدتهم مع بيتى برنارد . وكذلك السيارات التى تمت مراقبتها فى المنطقة المجاورة لبيكسهيل تم تبرير وجود البعض منها ، والبعض الآخر لم يمكن تعقبه . وسبب التحقيق فى مشتريات دليل القطارات الأبجدى كثيرًا من المشاكل لأناس ليس لهم أى ذنب .

أما بالنسبة لنا ، فقد كانت تدق قلوبنا من الخوف عند سماع دقات رجل البريد المألوفة على الباب . على

الأقل كان هذا شعورى ، وأعتقد أن هذا كان ما يشعر به بوارو أيضًا .

كان يشعر ، بكل تأكيد ، بحزن بالغ بسبب هذه القضية . ورفض الذهاب إلى لندن ، وفضل أن يبقى فى الموقع لحدوث طارئ ما . وفى هذه الأيام الكئيبة ، حتى شارب بوارو قد تدلى من الإهمال لأول مرة .

وصلت رسالة القاتل الأبجدى الثالثة يوم جمعة . حيث وصل البريد المسائى فى الساعة العاشرة تقريبًا .

عندما سمعنا الخطوات المألوفة لرجل البريد وصوت دقاته على الباب ، نهضت واتجهت إلى صندوق البريد مباشرة . كان هناك أربع أو خمس رسائل ، حسبما أذكر . كانت آخر رسالة نظرت إليها معنونة بحروف مطبوعة .

صحت قائلاً : " بوارو " ثم تلاشى صوتى ...

" هل وصل ؟ افتحه بسرعة ، يا هاستنجز ، بسرعة . فنحن نحتاج لكل لحظة . لابد أن نضع خططنا " .

مزقت الخطاب وأنا أفتحه (لم يوبخنى بوارو هذه المرة بسبب عدم النظام) ، ثم أخرجت الرسالة المكتوبة .

قال بوارو : " اقرأها " .

قرأت بصوت عالٍ .

السيد بوارو المسكين ، ـــــ أنت لست قديرًا فى هذه الأمور الإجرامية البسيطة كما كنت تعتبر نفسك ، أليس

كذلك ؟ ربما ولت أيام شبابك ؟ دعنا نر إذا كان بمقدورك أن تقوم بشيء أفضل هذه المرة . وستكون مهمة سهلة هذه المرة . موعدنا تشرستون في الثلاثين من هذا الشهر . لتفعل شيئًا يا بوارو ! لقد أصابني الملل في أن أعمل ما أريد ، كما تعلم !

أتمنى لك تحقيقًا موفقًا . المخلص لك

إيه . بي . سي

قلت وأنا أقفز لأنظر في نسخة دليل القطارات الأبجدي التي لدينا : " تشرستون ، لنر أين يكون هذا المكان " .

قاطعني بوارو بصوت حاد : " هاستنجز ، متى كتبت هذه الرسالة ؟ هل يوجد عليها تاريخ ؟ " .

تفحصت الرسالة التي في يدي .

وقلت : " لقد كتبت في يوم السابع والعشرين " .

" هل ما سمعته صحيح يا هاستنجز ؟ هل حدد يوم الثلاثين موعدًا للجريمة ؟ " .

" هذا صحيح . دعني أر ، إنه ــــــــ " .

" يا إلهي ، ألا تدرك يا هاستنجز أن اليوم هو الثلاثون من الشهر " .

وأشارت يده إلى الروزنامة الموجودة على الحائط .

ونظرت في الجريدة اليومية لكي أتأكد من التاريخ .

تلعثمت وأنا أقول : " ولكن لماذا ـــ كيف ـــ " .

التقط بوارو المظروف الممزق من على الأرض .

كنت قد لمحت شيئاً غريبًا عن العنوان المكتوب ولكنى كنت متلهفًا لمعرفة محتويات الرسالة لدرجة أننى لم أعط ذلك غير اهتمام عابر .

كان بوارو فى ذلك الوقت يعيش فى وايتهيفن مانشنز . وكتب العنوان كالآتي: *السيد هيركيول بوارو ، وايتهورس مانشنز* . وكان قد كتب على أحد أركان المظروف بسرعة : *" إن لم يكن غير معروف فى وايتهورس مانشنز ، I . C . E ، ولا فى وايتهورس كورت ـــ جرب وايتهيفن مانشنز "* .

قال بوارو بصوت منخفض: " يا إلهى ! هل ساعدت الصدفة هذا المجنون فى هذا أيضًا ؟ بسرعة ـــ بسرعة ـــ لابد علينا أن نتصل بسكوتلانديارد " .

بعد دقيقة أو دقيقتين كنا نتحدث إلى كروم عبر الهاتف . وهذه المرة لم يرد المفتش الهادئ بـ " أوه ، حقًا ؟ " ولكن انفلتت من بين شفتيه كلمة نابية . وسمع ما كان علينا إبلاغه ، ثم أنهى المكالمة حتى يتمكن من الاتصال بتشرستون بأسرع ما يمكن .

قال بوارو بصوت منخفض : " لقد فات الأوان " .

قلت له مجادلاً على الرغم من أنه لم يكن لدى أمل كبير : " لا يمكنك التأكد من ذلك " .

ألقى بوارو نظرة إلى الساعة .

" العاشرة وعشرون دقيقة . وأمامنا ساعة وأربعون دقيقة . هل من الممكن أن يتمهل " إيه . بى . سى " لوقت أطول ؟ " .

فتحت دليل القطارات الذى أنزلته من على الرف قبل ذلك .

قرأت " تشرستون، ديفون على بعد ٢٠٤ ٣/٤ ميل من باينتون . عدد السكان ٦٥٦ نسمة . تبدو مكانًا صغيرًا إلى حد ما . ومن المؤكد أننا سنلحظ رجلنا المقصود هناك " .

قال بوارو بصوت منخفض: " مع ذلك ، ستكون روح أخرى قد أزهقت ، ما القطارات المتجهة إلى هناك ؟ أعتقد أن القطار سيكون أسرع من السيارة " .

" هناك قطار يغادر فى منتصف الليل ــــ عربة نوم حتى نيوتون أبوت ــــ ويصل هناك الساعة السادسة وثمانى دقائق صباحًا ، ثم إلى تشرستون فى السابعة والربع " .

" أيتحرك من باينتون ؟ " .

" نعم، من باينتون " .

" سوف نستقل هذا القطار ، ياهاستنجز " .

" من الصعب أن تصلنا أخبار قبل بدء الرحلة " .

" إذا تلقينا أخبارًا سيئة الليلة أو فى صباح الغد ، فلن يحدث ذلك فارقًا كبيرًا " .

" معك حق فى ذلك " .

قمت بوضع بعض الأشياء فى حقيبة أثناء قيام بوارو بالاتصال بسكوتلانديارد للمرة الثانية .

بعد عدة دقائق عاد بوارو إلى الحجرة وسأل :

" ما هذا الذى تفعله ؟ " .

كنت أحزم لك حقيبتك . ظننت أن ذلك سيوفر علينا بعض الوقت" .

" أنت منفعل جدًا ، يا هاستنجز . وهذا يؤثر على يديك وتفكيرك . هل هذه طريقة تطوى بها معطفًا ؟ ولتنظر إلى ما فعلت بملابس نومى . إذا انكسرت زجاجة غسول الشعر ماذا سيحدث لهم ؟ " .

قلت بصوت عال : " يا إلهى ، بوارو ، إنها مسألة حياة أو موت . لا يهم ماذا يحدث لملابسنا ؟ " .

" ليس لديك أى إحساس بالنظام، يا هاستنجز . فنحن لن نلحق بقطار قبل موعد تحركه ، إتلاف ملابسنا لن يكون له أى نفع يذكر فى منع جريمة ما " .

ثم أخذ حقيبة ملابسه من يدى بعنف ، وبدأ يحزم أمتعته بيده .

ثم شرح لى بوارو أننا سنأخذ الرسالة والمظروف معنا إلى باينتون . وسيقوم شخص من سكوتلانديارد بمقابلتنا هناك .

وعند وصولنا إلى الرصيف كان كروم أول شخص رأيناه هناك .

قام كروم بالرد على نظرة بوارو المتسائلة .

" لم تصل أى أخبار بعد . وكل الرجال تحت أيدينا في المراقبة . وكل الأشخاص الذين تبدأ أسماؤهم بحرف سى يتم تحذيرهم هاتفيًا بقدر الإمكان . مازال أمامنا فرصة . أين الرسالة ؟ " .

قام بوارو بإعطائه الرسالة .

تفحص كروم الرسالة ، وهو يسب ويلعن بصوت منخفض .

" أقسم أن النجوم فى مداراتها تساعد هذا الشخص . وهذا من سوء حظنا " .

قلت مقترحًا : " ألا تظن أنه قام بذلك عمدًا ؟ " .

هزّ كروم رأسه .

" لا ، فلديه قواعده ـــ قواعد مجنونة ـــ ويلتزم بها . إنه يعطي تحذيرًا . ويقصد ذلك . وهنا تظهر كبرياؤه . أراهن أن هذا الشخص كان يتناول مشروب وايتهورس أثناء كتابة الرسالة .

قال بوارو مدفوعًا بالإعجاب رغمًا عنه : " لقد كان يكتب والزجاجة أمامه " .

قال كروم : " هذا ما قام به بالفعل ، وكلنا يقوم بذلك بين الحين والآخر ، فقام بكتابة ما تحت عينه بشكل لا شعورى . حيث بدأ بكتابة كلمة وايت ثم كتب بعدها هورس بدلاً من أن يكتب هيفن ... " .

ثم اكتشفنا أن المفتش أيضًا كان مسافرًا بالقطار .

" حتى ولو كان حظنا رائعًا ولم يحدث أى شيء ، فإننا رغم ذلك يجب أن نذهب إلى تشرستون فالقاتل هناك ، أو قد ذهب إلى هناك اليوم . وتركت أحد رجالى على الهاتف هنا حتى آخر لحظة لربما تصل أخبارٍ " .

عندما بدأ القطار فى مغادرة المحطة رأينا رجلاً يجرى على الرصيف . ووصل إلى شباك المفتش وأخبره بشيء .

عندما تحرك القطار خارج المحطة أسرعت أنا وبوارو عبر ردهة القطار وقرعنا باب حجرة عربة نوم المفتش .

سأل بوارو : " لقد وصلتك أخبار ـــ أليس كذلك ؟ " .

قال كروم بهدوء :

" أخبار سيئة كما هو متوقع . لقد عُثِرَ على السيد كارمايكل كلارك وقد هشمت رأسه " . وعلى الرغم من أن اسم السيد كارمايكل كلارك لم يكن معروفًا لدى الجميع ، إلا أنه كان شخصًا رفيع المقام . فقد كان فى زمانه إخصائيًا شهيرًا فى أمراض الحنجرة . ثم تقاعد من مهنته ميسور الحال ، واستطاع أن يشغل نفسه فى واحدة من أهم هواياته الرئيسية فى الحياة ـــ وهى جمع مصنوعات الخزف الصينى والبورسلين . وبعد سنوات قليلة ، ورث ثروة كبيرة من أحد أعمامه ، ومن ثم استطاع أن يمارس هوايته لأقصى حد ، وأصبح الآن صاحب واحدة من أشهر مجموعات الفن الصينى . وكان متزوجًا ولكن لم ينجب أى أطفال ، وكان يعيش فى منزل

بناه لنفسه بالقرب من ساحل ديفون ، وكان يأتى إلى لندن فى مناسبات قليلة فقط عندما تكون هناك عملية بيع مهمة مثلاً .

لم يتطلب الأمر كثيرًا من التفكير ، إن موته الذى جاء بعد موت بيتى برنارد الشابة الجميلة ، سيكون خبرًا مثيرًا للصحافة لسنوات قادمة . وحقيقة وقوع ذلك فى شهر أغسطس وأن الصحافة تتلهف على أخبار ستزيد الأمر سوءًا .

قال بوارو : " حسناً ، من الممكن أن تحقق عملية الدعاية ما فشلت الجهود السرية أن تقوم به ، حيث ستبحث البلاد كلها حالياً عن المجرم " إيه . بى . سى " .

قلت : " لسوء الحظ ، إن هذا هو ما يسعى إليه " .

" هذا صحيح . ولكن ربما يؤدى ذلك إلى دماره ، حيث من الممكن أن يصبح مهملاً ، لفرحه بنجاحه ... وهذا ما آمله ـــــ أن ينتشى بذكائه الشخصى " .

قلت متعجبًا لفكرة طرأت فى ذهنى فجأة : " كم هو أمر غريب يا بوارو ، ألا تعرف أن هذه هى الجريمة الأولى من نوعها التى نعمل بها معًا ؟ حيث كانت كل جرائم القتل ـــــ كانت عمليات قتل شخصية ، إذا جاز التعبير " .

" أنت على صواب تمامًا ، يا صديقى . كانت مسؤليتنا العمل من *الداخل* . فلقد كان تاريخ *الضحية* هو

أهم شيء . وكانت النقاط الرئيسة هي : من الذى استفاد من الموت ؟ ما الفرص التى دفعت المحيطين بـه لارتكاب الجريمة ؟ لقد كانت دائمًا " *جريمة شخصية* " . ولكن فى حالتنا هذه ، لأول مرة فى عملنا المشترك ، تتم الجريمة بدم بارد بدون دوافع شخصية . قتل من *الخارج* " .

أخذتنى رجفة .

قلت : " أمر فى غاية الفظاعة ... " .

" نعم . لقد شعرت من البداية، عندما قرأت الرسالة الأولى ، أن هناك خطأ ما ـــــ يحدث ... " .

قام بوارو بإشارة تدل على الضيق . " يجب على المرء ألا يطلق العنان لتوتره ... *فهذه ليست أسوأ من أى جريمة عادية* ... " .

قلت له : " بل هى كذلك . . . هى كذلك بالفعل . . . " .

" هل القضاء على حياة أحد أو مجموعة من الغرباء أسوأ من القضاء على حياة قريب منك وعزيز عليك ـــــ شخص يؤمن بك ويثق بك ؟ " .

قلت : " بل هى أسوأ لأنها تعبر عن *الجنون* ... " .

" لا ، يا هاستنجز . ليس أسوأ . هى فقط أكثر *صعوبة* " .

" كلا ، كلا ، أنا لا أتفق معك . إنها أكثر رعبًا بدرجة متناهية " .

قال هيركيول بوارو باهتمام :

" يجب أن يسهل اكتشافها لأن من قام بهـا مجنـون . فالجريمة التى يقوم بها شخص عاقل وحكـيم تكـون أكثـر تعقيدًا بكثير . فى هذه القضية إذا استطاع الواحد منا فقط أن يـضع يـده علـى *الفكـرة* ... فـأمر الترتيـب الأبجـدى هذا ، به تناقضات . إذا استطعت أن أصـل *للفكـرة* مـرة ـــ عندئذٍ سيصبح كل شىء واضحًا وبسيطًا .. " .

ثم تنهد وهز رأسه .

" هـذه الجـرائم يجـب أن تتوقـف . فعـن قريـب ، عـن قريـب ، سأصـل إلى الحقيقـة . . . اذهـب ، يـا هاستنجز ، وخذ قسطًا من النـوم . فأمامنـا الكـثير لنفعلـه غدًا " .

الفصل ١٥

السيد كارمايكل كلارك

تقع تشرستون بين بريكسهام من ناحية وباينتون وتوركواى من الناحية الأخري ، وتشغل موقعًا فى منتصف الطريق حول منحنى تور باى . منذ عشر سنوات كانت فقط عبارة عن ملاعب للجولف ، وكانت تنحدر من تحت هذا الملعب أرض خضراء ممتدة داخل الريف تصل إلى البحر وكان هناك بيت أو بيتان ريفيان كانا الدليل الوحيد على عمران المنطقة . ولكن فى السنوات الأخيرة حدثت طفرة كبيرة فى عمليات البناء بين تشرستون وباينتون وأصبحت المنطقة الساحلية مملوءة بالبيوت الصغيرة والبيوت ذات الطابق الواحد ، تم تعبيد طرق جديدة ، إلخ .

وقام السيد كارمايكل كلارك بشراء أرض تبلغ مساحتها فدانين تطل على البحر مباشرة . وكان البيت الذى شيده ذا تصميم حديث ـــ فى شكل مستطيل أبيض وكان يجذب العين . لم يكن المنزل كبيرًا إذا تم فصله عن المعرضين اللذين كانا يحويان مجموعته من الخزف والصينى .

وصلنا إلى هناك حوالى اساعة الثامنة صباحًا . حيث قام رجل شرطة محلى بمقابلتنا على المحطة وبيَّن لنا الوضع الحالى .

يبدو أن السيد كارمايكل كلارك، كان معتادًا على أن يذهب فى نزهة على الأقدام بعد تناوله لطعام العشاء كل مساء. وعندما اتصلت الشرطة ــ فى وقت ما بعد الحادية عشرة ــ تم التأكد أنه لم يعد . وحيث إن نزهته قد أتخذت نفس المسار ، فلم يمض وقت طويل حتى عثرت فرق البحث على جثته . وكانت الوفاة نتيجة لضربة شديدة على مؤخرة الرأس باستخدام أداة ثقيلة . *وكان قد وضع دليل القطارات الأبجدى فى وضع مقلوب على جثة القتيل* .

وصلنا إلى كومسايد (وهو اسم المنزل) فى الثامنة تقريبًا . فتح لنا الباب رئيس خدم توضح يداه المرتعشتان ووجهه المضطرب حجم المأساة التى ألمت به .

قال ضابط الشرطة المحلى : " صباح الخير ، دفريل " .

" صباح الخير ، يا سيد ويلز " .

" هؤلاء هم الرجال الذين قد أتوا من لندن ، يا دفريل " .

قادنا إلى حجرة طعام طويلة كان قد وضع فيها طعام الإفطار " تفضلوا من هنا . يا سادة ، سأذهب لإحضار السيد فرانكلين " .

بعد دقيقة أو دقيقتين دخل الحجرة رجل ذو شعر أشقر ووجه لفحته أشعة الشمس .

كان هذا هو فرانكلين كلارك ، الأخ الوحيد للقتيل.

كان يتمتع بطبع الرجل الثابت والقدير الذى تعود على مواجهة المواقف الصعبة .

" صباح الخير ، يا سادة " .

عرف المفتش ويلز الموجودين ببعضهم البعض .

" هذا هو المفتش كروم من قسم المخابرات المركزية. والسيد هيركيول بوارو و ــــ النقيب هايتر " .

صححت ما قاله ببرود " هاستنجز " .

قام السيد فرانكلين كلارك بمصافحة كل منا بالدور وكانت كل مصافحة مصحوبة بنظرة ثاقبة .

قال : " اسمحوا لى أن أقدم لكم الإفطار ، ويمكن أن نناقش الموقف أثناء تناول الطعام " .

لم يرتفع أى صوت برفض الدعوة وفى الحال كنا نتناول البيض الممتاز واللحم والشاى .

قال فرانكلين كلارك : " بخصوص الموضوع ، قام المفتش ويلز بإعطائى فكرة عامة عن موقف الأمس ـــــ ولكنى أقول إن ذلك يبدو من أسوأ القصص التى سمعتها فى حياتى كلها. هل على أن أصدق حقًا ، أيها المفتش كروم ، أن أخى كان ضحية لمجرم مجنون ، وأن هذه هى الجريمة الثالثة التى تقع ، *وفى كل حالة يوضع دليل قطارات أبجدى بجانب الجثة ؟* " .

" هذا هو الوضع الحقيقي ، يا سيد كلارك " .

" ولكن ما السبب ؟ ما الفائدة التى تعود عليه من وراء جريمة كهذه ـــ حتى فى أكثر الخيالات مرضًا ؟ " .

أومأ بوارو برأسه بالموافقة .

وقال : " لقد دخلت إلى الموضوع مباشرة ، يا سيد فرانكلين " .

قال كروم : " ليس من المفيد البحث عن الدافع فى هذه المرحلة ، يا سيد كلارك ، فهذا شأن يختص به طبيب نفسى ـــ مع ذلك يمكننى القول بأنى لدى خبرة معينة فى الجنون الإجرامى وأن الدوافع تكون غير مناسبة تمامًا فى العادة . حيث يكون هناك رغبة فى تأكيد شخصية المرء ، ولفت أنظار الرأى العام ـــ أى أن يصبح شخصًا ذا شأن بدلاً من كونه شخصًا معدوم الهوية " .

" هل هذا صحيح ، يا سيد بوارو ؟ " .

كان كلارك يبدو مرتابًا . واهتمامه بالرجل الأكبر سنًا لم يلق قبولاً حسنًا من جانب المفتش كروم ، الذى اكفهر وجهه .

أجاب صديقى : " صحيح تمامًا " .

قال السيد كلارك باهتمام : " على أى حال لا يمكن لرجل كهذا أن يبقى فى الخفاء لفترة طويلة " .

" هل تظن ذلك ؟ آه ، ولكنهم يكونون ماكرين ـــ *هؤلاء الناس* ! وعليك أن تتذكر أن *هذا النوع عادة تظهر عليه علامات عدم الأهمية* ـــ فهو ينتمى إلى فئة من الأشخاص

لا يأبـه بهـم النـاس ، ويتجـاهلونهم ، بـل ويـسخرون منهم ! " .

أقحم كروم نفسه في الحوار وقال: " هل من الممكن أن يتفضل السيد كلارك بإعطائي بعض الحقائق ؟ " .

أجابه السيد كلارك : " بكل تأكيد " .

" أخـوك ، كمـا أظـن ، كـان فـى حالتـه الـصحية والمعنوية المعتادة بالأمس أليس كذلك ؟ ألم يتلق أى رسائل غير متوقعة ؟ ألم يضايقه شيء ؟ " .

" لا ، وأود القـول بإنـه كـان هادئـًا وفـى حالتـه الطبيعية " .

" لم يكن قلقًا أو مضطرباً بأى حال " .

" معذرة ، أيهـا المفـتش ، أنـا لم أقـل ذلـك ، فـالقلق والاضطراب كانت الحالة الطبيعية لأخى المسكين " .

" وما سبب ذلك ؟ " .

" ربما لا تعرف أن زوجة أخي، الـسيدة كـلارك، فـى حالـة صـحية متـدهورة للغايـة . لا أخفـى عليـك أنهـا ، تعانى من حالة سرطان لا شفاء لها ، ولن تـستطيع البقـاء على قيد الحياة لفترة طويلة . ولقد أثر مرضـها سـلبًا علـى تفكير أخي بدرجة كـبيرة . وأنـا شخـصيًا قـد عـدت مـن الشرق منذ فترة وجيزة وصدمت من هذا التغيير الـذى طـرأ عليه " .

قاطعها بوارو بسؤال قائلاً : " إذا افترضـنا ، يـا سـيد كـلارك ، أنـه قـد عثـر عليـه مقتـولاً عنـد سـفح الجـرف

الصخرى إثر طلق نارى ـــ أو أطلق عليه الرصاص ووضع المسدس بجانبه . ما أول شيء يتبادر إلى ذهنك ؟ " .

قال كلارك : " لكى أصدقك القول ، كنت سأستنتج أنها عملية انتحار " .

قال بوارو : " بالضبط ! " .

" ما هذا ؟ " .

" حقيقة تعيد نفسها. لا أهمية لها " .

قال كروم : " على أى حال فهذه *ليست* عملية انتحار . والآن ، يا سيد كلارك ، أعتقد أنه كان من عادة أخيك الذهاب للنزهة كل مساء ؟ " .

" هذا صحيح تمامًا . كان دائمًا يقوم بذلك " .

" كل مساء ؟ " .

" نعم ، إذا لم يكن هناك مطر " .

" وهل يعلم كل من فى المنزل بهذه العادة ؟ " .

" بالطبع " .

" وماذا عمن هم بالخارج ؟ " .

" أنا لا أفهم جيدًا ما الذى تعنيه بالخارج . هل تقصد ما إذا كان يعرف البستانى بذلك أم لا . أنا لا أعرف حقيقة " .

" وماذا عن الناس فى القرية ؟ " .

" للحديث بدقة ، ليس لدينا قرية . فكل الموجود مكتب بريد ، ومنازل صغيرة فى تشرستون فيريز ـــ ولكن لا توجد قرية أو متاجر " .

" ولذا أعتقد أن أى غريب يتسكع فى المكان سيتم ملاحظته بكل سهولة ؟ " .

" على العكس . فخلال شهر أغسطس تعج هذا البقعة من العالم بحشود من الغرباء . فهم يتوافدون إلى هنا يوميًا من بريكسهام وتوركواى وباينتون فى السيارات والحافلات ومنهم من يأتى سيرًا على الأقدام . فـ برود ساندز (وأشار بيده) هذا الشاطئ أمامكم ، هو شاطئ مشهور وكذلك إلبرى كوف ـــ وهى بقعة تتميز بجمالها ويأتى الناس إلى هناك للتنزه . أتمنى ألا يأتى أحد! فلا يمكنك تخيل جمال وهدوء هذا المكان خلال شهر يونيو وبداية يوليو " .

" إذن تعتقد أنه من الصعب تمييز أى غريب هنا ؟ " .

" إلا إذا كان يبدو ـــ عليه الجنون " .

قال كروم بثقة : " هذا الرجل ليس مجنونًا ، هل تفهم ما أرمى إليه يا سيد كلارك ؟ من المؤكد أن هذا الرجل كان يتجسس على المنطقة مسبقًا وعلم أن من عادة أخيك أن يأخذ نزهة مسائية . وأريد أن أعرف شيئاً ، ألم يأت أى شخص غريب ويسأل عن السيد كارمايكل أمس ؟ " .

" لم أعلم بشىء كهذا ـــ لنسأل دفريل " .

دق الجرس ووجه السؤال إلى رئيس الخدم .

" لا يا سيدى ، لم يأت أحد لزيارة السيد كارمايكل . ولم ألحظ أى شخص بجوار المنزل أيضًا . وكذلك الخادمات، فقد سألتهن عن ذلك " .

انتظر رئيس الخدم لحظة ، ثم قال : " هل تأمر بشيء آخر ، يا سيدى ؟ " .

" لا ، يا دفريل ، يمكنك الانصراف " .

تراجع رئيس الخدم للخلف، ثم تراجع للخلف عند مدخل الباب حتى يفسح الطريق لامرأة شابة .

نهض فرانكلين من مجلسه عند دخولها .

" هذه الآنسة جراى ، ياسادة . سكرتيرة أخى " .

لفت انتباهى على الفور ملامحها الاسكندنافية غير العادية . فقد كان لون شعرها أصفر باهتًا ـ وعيونها رمادية فاتحة لامعة ـــــ ولون البشرة المتورد الشفاف الذى يسود بين أهل النرويج والسويد. كان يبدو أنها تبلغ من العمر سبعة وعشرين عامًا وتبدو على قدر عالٍ من الكفاءة يماثل ما تتمتع به من جمال وأناقة .

قالت وهى تجلس : " هل أستطيع أن أساعدكم بأى وسيلة ؟ " .

أحضر لها كلارك فنجانًا من القهوة ، لكنها رفضت تناول أى طعام .

قال كروم : " هل كنت تتعاملين مع مراسلات السيد كارمايكل ؟ " .

" نعم ، كلها " .

١٥ الفصل الخامس عشر

" ألم يتسلم رسالة أو رسائل عليها توقيع " إيه . بى . سى ؟ " .

هزت رأسها : " إيه . بى . سى ؟ لا ، أنا على يقين أنه لم يتلق ذلك " .

" ألم يذكر أنه رأى شخصًا ما يتسكع أثناء نزهاته المسائية فى الفترة الأخيرة ؟ " .

" لا ، لم يتحدث عن أى شيء من هذا النوع " .

" وأنت ، ألم تلحظى أى غرباء ؟ " .

" لم يكونوا يتسكعون بالضبط . بالطبع ، هناك الكثير من الناس وهم ما يمكنك أن تطلق عليهم *المتنزهين* فى هذا الوقت من العام . فأحيانًا يقابل المرء أناسًا يتنزهون وتتجه أنظارهم دون هدف محدد إلى ملعب الجولف أو الطرق المؤدية إلى البحر . وبنفس الطريقة ، كل من يراه الفرد فى هذا التوقيت من العام يكون غريبًا " .

أومأ بوارو باهتمام .

طلب المفتش كروم أن يأخذوه إلى مكان نزهة السيد كارمايكل كل مساء . قاد فرانكلين كلارك الطريق عبر النافذة الفرنسية وكان بصحبتنا الآنسة جراي .

كنت أنا وهى خلف الآخرين قليلاً .

قلت : " من المؤكد أنها كانت صدمة شديدة عليكم جميعًا " .

" إنه أمر لا يصدق . كنت قد أويت إلى الفراش عندما اتصل رجال الشرطة . وسمعت أصواتًا بالطابق السفلى

وفى النهاية خرجت وسألت عن الأمر . كان دفريل والسيد كلارك قد انطلقا وهما يحملان المصابيح بحثًا عنه " .

" ما الوقت الذى اعتاد أن يعود فيه السيد كارمايكل من نزهته ؟ " .

" فى العاشرة إلا الربع تقريبًا ، اعتاد أن يدخل من الباب الجانبى ، ثم يتجه أحيانًا إلى النوم مباشرة ، وأحيانًا أخرى كان يتجه إلى المعرض ، حيث توجد مجموعته من الخزف والصينى . ولهذا السبب ، لو لم تتصل الشرطة ، لما شعروا بغيابه حتى يذهبوا لإيقاظه فى هذا الصباح " .

" من المؤكد أنها كانت صدمة قاسية على زوجته ، أليس كذلك ؟ " .

" السيدة كلارك موضوعة تحت تأثير المورفين أغلب الوقت . وأعتقد أنها فى حالة لاوعى شديدة لدرجة أنها لا تفهم ما يدور حولها " .

وصلنا بعد ذلك إلى بوابة حديقة تؤدى إلى ملاعب الجولف . بعد أن عبرنا ركنًا منها ، مررنا فوق سلالم تؤدى إلى ممر منحدر ملتو .

قال فرانكلين كلارك : " هذا يؤدى إلى إلبورى كوف . ولكن منذ عامين قاموا بإنشاء طريق جديد يقود من الطريق العام إلى برود ساندز ثم إلى إلبورى ، ومن ثم فهذا الطريق مهجور من الناحية العملية .

مشينا فى الطريق . وفى نهايته كان هناك طريق يشق مرجاً من أعشاب العليق والسرخس حتى يصل إلى البحر. وفجأة وصلنا إلى تلة مرتفعة تكسوها الحشائش وتطل على البحر ، وكذلك شاطئ من الصخور البيضاء اللامعة . وكان حولنا من كل اتجاه أشجار دائمة الخضرة حتى البحر . لقد كانت بقعة ساحرة ـــ اللون الأبيض ، واللون الأخضر الداكن ، والأزرق الضارب للخضرة .

قلت متعجبًا : " ياله من مكان جميل ! " .

استدار إلى كلارك بتلهف .

" أليس كذلك ؟ لماذا يسافر الناس للخارج إلى الريفييرا وعندهم هذا الجمال ! لقد طفت العالم فى شبابي ، وللحق ، لم أر أبدًا مكانًا بمثل هذا الجمال " .

ثم بعد ذلك ، وكأنه قد أحس بنوع من الخجل من نبرته المتحمسة ، قال كلارك بنبرة عملية :

" هذا كان المكان الذى يتنزه فيه أخى كل مساء . كان يصل إلى هنا ، ثم يعود من الطريق، ويستدير يميناً بدلاً من اليسار ، ويمر على المزرعة ثم عبر الحقول ومنها إلى المنزل " .

واصلنا المسير فى طريقنا حتى وصلنا إلى نقطة بالقرب من حاجز ، فى منتصف الحقل ، وهو المكان الذى عُثِر على جثته فيه .

أومأ كروم وقال : " بكل سهولة . وقف الرجل هنا فى الظـلام . ولم يلحـظ أخـوك شـيئاً حتـى هـوت الـضربة عليه " .

ارتجت الفتاة التى تسير بجانبى برجفة سريعة .

قال فرانكلين كلارك :

" تماسكى ، ثورا . إنه أمر فى غاية الوحشية ، ولكـن لا فائدة من الهروب من الواقع " .

ثورا جراى ـــــ اسم مناسب لها .

عدنا إلى المنزل الذى نقلت إليه الجثة بعد تصويرها .

وأثناء صعودنا السلم خرج الطبيب مـن الحجـرة وبيـده حقيبة سوداء .

قال كلارك مستفسرًا : " هل تريد إخبارنا بـشىء أيهـا الطبيب ؟ " .

هز الطبيب رأسه بالنفى .

قـال : " حالـة بـسيطة جـدًا . وسـأترك الفنيـات للتحقيق . على أى حال ، فهـو لم يتـألم . حيـث إن مـن المؤكد أن المنية وافته بسرعة .

مشى الطبيب بعيدًا . " على أن أتجـه للـداخل لرؤيـة السيدة كلارك " .

خرجت ممرضـة مـن حجـرة فـى نهايـة الممر وتبعهـا الطبيب .

دخلنا الحجرة التى خرج منها الطبيب .

خرجت مرة أخرى بسرعة . وكانت ثورا جراى واقفة على السلم .

كان هناك نظرة خوف غريبة على وجهها .

توقفت وقلت : " الآنسة جراى ـــ هل هناك ما يسوء ؟ " .

نظرت إلى وقالت : " كنت أفكر في الحرف " دى " " .

نظرت إليها بطريقة غبية : " فى الحرف " دى " ؟ " .

" نعم . الجريمة القادمة . لابد من عمل شىء . لابد من وضع حد لذلك " .

خرج كلارك من الحجرة التى ورائي.

وقال : " مالذى يجب أن يوضع له حد ، يا ثورا ؟ " .

" هذه الجرائم المخيفة " .

ضغط كلارك على فكيه بعنف وقال : " نعم ، أردت الحديث إلى السيد بوارو ... هل كروم هذا ذو نفع ؟ قال هذه الكلمات بطريقة غير متوقعة .

أجبت بأنه يفترض أنه ضابط فى منتهى الذكاء .

ولم يكن صوتى مشوبًا بالحماس المطلوب .

قال كلارك : " إن طريقته فى التعامل عدوانية بغيضة . يبدو وكأنه يعرف كل شىء ـــ ولكن *ماذا* يعرف ؟ لا يعرف شيئاً على الإطلاق حسبما أرى " .

ثم صمت لدقيقة أو دقيقتين . وقال :

" فى رأيى أن السيد بوارو هو الرجل المناسب . فلدى خطة. ولكن سنتحدث عنها فى وقت لاحق " .

سار عبر الممر وطرق على نفس الباب الذى دخل منه الطبيب.

ترددت لحظة . حيث كانت الفتاة تنظر أمامها بتركيز .

" ما الذى تفكرين فيه ، يا آنسة جراى ؟ " .

حولت نظرها إلىّ .

قالت : " أتساءل *أين هو الآن* ... أعنى القاتل . فلم يمض سوى اثنتى عشرة ساعة منذ وقوع الجريمة ... آه ! ألا يوجد عراف قدير يمكن أن يخبرنا بمكانه الآن وما الذى يقوم به ... ؟ " .

بادرتها الحديث قائلاً : " الشرطة جادة فى البحث ــ " .

أنهت كلماتى العادية هذه المناقشة . واستعادت ثورا رباطة جأشها .

قالت : " نعم ، هذا صحيح " .

ثم هبطت السلالم . ووقفت هناك لدقيقة أخرى أقلب كلماتها فى ذهني.

" إيه . بى . سى " ...

ترى *أين هو الآن* ... ؟

الفصل ١٦

غير مقتبس من رواية النقيب هاستنجز الشخصية

خرج السيد ألكساندر بونابرت كاست مع بقية الجماهير من سينما توركواى بالاديوم ، حيث كان يشاهد ويستمع إلى الفيلم العاطفى جدًا ، Not a Sparrow ...

طُرفت عيناه عندما خرج فى شمس الظهيرة الساطعة ، ثم أخذ ينظر حوله مثل كلب ضال ، وهو الأمر الذى كان يُعّد إحدى سماته .

قال لنفسه بصوت منخفض: " إنها فكرة ... " .

مر عليه الغلمان الذين يبيعون الصحف وهم يصيحون :

" *آخر الأخبار ... القاتل المجنون فى تشرستون* ... " .

كانوا يحملون ملصقات مكتوبًا عليها :

آخر خبر ... جريمة قتل فى تشرستون .

تحسس السيد كاست جيبه ، ووجد عملة معدنية ، ثم قام بشراء جريدة . لم يفتح الجريدة على الفور .

وبعد أن دخل حديقة برنسس جاردنز ، اتجه إلى مظلة تواجه ميناء توركواي . ثم جلس وفتح الجريدة .

كان هناك عناوين رئيسية كبيرة :

مقتل السيد كارمايكل كلارك .

مأساة مروعة فى تشرستون .
عمل قاتل مجنون .

وكتب تحت هذه العناوين :

منذ شهر فقط اهتزت انجلترا وأصيب الجميع بالحيرة لمقتل فتاة شابة ، تدعى إليزابيث برنارد ، فى بيكسهيل. ويذكر أن دليل القطارات الأبجدى قد برز فى هذه القضية. وتم العثور أيضًا على دليل القطارات الأبجدى بجانب جثة السيد كارمايكل كلارك، وتميل الشرطة للاعتقاد بأن كلتا الجريمتين قد ارتكبهما شخص واحد. فهل من الممكن أن قاتلاً مجنونًا ينتقل من قتل شخص إلى آخر على منتجعاتنا الساحلية ؟ ...

قال شاب يجلس بجوار السيد كاست ويرتدى سروالاً صوفيًا وقميصًا أزرق :

" عمل بغيض ـــ أليس كذلك ؟ " .

قفز السيد كاست .

قال : " نعم ، جدًا ـــ جدًا " .

لاحظ الشاب أن يديه كانتا ترتعشان لدرجة أنه لم يستطع أن يمسك بالجريدة جيدًا .

قال الشاب من قبيل المزاح : " لا يمكنك أن تتعرف أبدًا على هؤلاء المجانين . فهم لا يظهرون كحمقى على الدوام ، كما تعلم ، ففى الغالب يبدون كأشخاص عاديين مثلى ومثلك . . . " .

قال السيد كاست : " أعتقد أنهم كذلك " .

" هذه حقيقة . أحيانًا تكون الحرب هى التى سببت لهم هذا الجنون ـــ ولم يعودوا إلى صوابهم من ساعتها " .

" أنا ـــ أعتقد أنك على صواب " .

قال الشاب: " أنا لا أحب الحروب " .

هاجمه رفيقه قائلاً : " وأنا لا أحب الطاعون ومرض النوم ولا المجاعات ولا السرطان .... لكن تحدث هذه الأمراض مع ذلك ! " .

قال الشاب بثقة : " الحروب يمكن منعها " .

ضحك السيد كاست . وظل يضحك لبعض الوقت .

اندهش الشاب وقال فى نفسه : " يبدو أنه معتوه قليلاً " .

ثم قال بصوت عال : " معذرة ، سيدى ، يبدو أنك شاركت فى الحرب " .

قال السيد كاست : " لقد كنت فى الحرب ، وقد تركتنى مشوشًا . لم يعد تفكيرى لحالته بعدها . إنه أمر مؤلم ، كما تعلم . مؤلم بشدة " .

قال الشاب بحرج : " آسف على ذلك ، سيدى " .

قال السيد كاست : " أحيانًا أكاد لا أعرف ماذا أفعل ... " .

قال الشاب : " أحقًا ؟ حسنًا ، على أن أنصرف " . وانصرف الشاب بسرعة . فهو يعلم ما يكون عليه حال الناس عندما يبدأون فى التحدث عن صحتهم.

ظل السيد كاست جالسًا ومعه الجريدة .

قرأ وأعاد القراءة . . .

كان الناس يمرون ذهابًا وإيابًا أمامه .

وكان معظمهم يتحدث عن حادث القتل . . . .

" أمر مخيف . . . هل تعتقد أن لذلك علاقة بالصينيين ؟ ألم تكن النادلة تعمل فى المقهى الصينى . . . ؟ " .

" فى الواقع على ملاعب الجولف . . . " .

" سمعت أنه كان على الشاطئ . . . " .

" ـــ ولكن ، عزيزى ، قد تناولنا الشاى فى إلبرى *أمس فقط* . . . " .

" ـ الشرطة متأكدة أنهم سيقبضون عليه . . . " .

" ـ يقولون إنه ربما يتم القبض عليه فى أى لحظة الآن . . . " .

" ـــ هناك احتمال كبير أنه فى توركواى . . . والمرأة الأخرى التى قد قتلت والتى تسمى . . . " .

طوى السيد كاست الجريدة بكل دقة ووضعها على المقعد . ثم نهض ومشى ببطء صوب المدينة .

مرت عليه فتيات ، منهن من يرتدين الملابس البيضاء والحمراء والزرقاء ، وفى فساتين الصيف ، الجونلات والسراويل القصيرة . كن يضحكن ويقهقهن . وكانت أعينهن تتابع الرجال الذين يمرون عليهن .

لم تتوقف أعينهن للحظة على السيد كاست . . . . . .

جلس على منضدة صغيرة وطلب شاياً وقشدة ديفونشاير . . .

الفصل ١٧

عدم إحراز أى تقدم

بعد قتل السيد كارمايكل كلارك قفز لغز " إيه . بى . سى " أعلى درجات الشهرة .

فلم يكن فى الصحف شيء غيره . وتم التبليغ عن جميع أنواع الأدلة التى اكتشفت . وأُعْلِن عن حالات قبض وشيكة . وكانت هناك صور لكل شخص أو مكان له صلة بعيدة بعملية القتل . وكانت هناك مقابلات مع أى شخص يريد إجراء مقابلة . بل وطرحت أسئلة عن ذلك فى البرلمان .

وتم ربط حادث قتل أندوفر بهذين الحادثين.

وكان رأى سكوتلانديارد أن النشر هو أفضل فرصة للقبض على القاتل . حيث تحول شعب بريطانيا العظمى إلى جيش من المخبرين الهواة .

وقد كان لجريدة دايلى فليكر تأثير كبير لاستخدامها تعليق :

ربما يكون فى مدينتك !

وكان بوارو ، بكل تأكيد ، بين كل هذه الأشياء . فقد نشر الرسائل التى وصلته وتم عمل نسخ منها . وقد تمت الإساءة إليه بالجملة لعدم منعه هذه الجرائم وتم الدفاع عنه بحجة أنه على وشك تحديد القاتل .

وأزعجة الصحفيون بصورة لا تتوقف طلباً لإجراء حوار.

ما قاله السيد بوارو اليوم .

كانت هذه الجملة تتبع عادة بنصف عمود من التعليقات السخيفة.

السيد بوارو له وجهة نظر خطيرة فى الموقف .

السيد بوارو على وشك حل اللغز .

النقيب هاستنجز ، الصديق الحميم للسيد بوارو ، أخبر مراسلنا الخاص ...

كنت أصرخ : " بوارو ، أرجوك صدقني . لم أقل أى شيء من هذا النوع " .

كان صديقى يرد بكل عطف :

" أعلم ذلك ، ياهاستنجز ـــ أعلم ذلك . هناك فجوة مذهلة بين ما يقال وما يُكْتَب . وهناك طرق لتحويل الجمل لتعطى عكس المعنى الأصلى تمامًا " .

" أتمنى ألا تعتقد بأننى قلت ـــ " .

قاطعنى قائلاً : " ولكن لا تقلق نفسك . كل هذا لا أهمية له. وحتى هذه الخرافات ربما تساعدنا " .

" كيف ؟ " .

قال بوارو بجدية : " حسنًا ، إذا قرأ رجلنا المعتوه ما يفترض أننى صرحت به لجريدة دايلى بليج اليوم ، سيفقد كل احترامه لى كخصم له ! " .

من المحتمل أنني أعطى انطباعًا بأنه لا يوجد شيء عملي يتم فى التحقيقات . ولكن الحقيقة هى العكس تمامًا ، فسكوتلانديارد والشرطة المحلية تعملان بشكل دءوب على متابعة أصغر الأدلة .

ولقد تم عمل استجواب دقيق لمرتادى الفنادق وأصحابها ، ومن يديرون الغرف المستأجرة للسكن مؤقتًا والنُزُل ــ وكل أولئك الذين هم فى محيط الجرائم .

وتم التحقيق فى كل تفاصيل مئات القصص التى حكاها أشخاص يتمتعون بخيال خصب " رأوا رجلا غريبًا يدور بعينيه " ، " أو لاحظوا رجلاً يبدو الشر على وجهه وهو ينسل خلسة " . ولم تهمل أى معلومة ، حتى أكثرها تفاهة . ولقد كان هناك جولة دءوبة من الأسئلة والتحقيقات مع ركاب القطارات والحافلات والترام ، والحمالين فى السكك الحديدية ، وصرافى التذاكر ، وفى أكشاك الكتب ، ومع البائعين فى المكتبات .

وفى النهاية تم احتجاز واستجواب عدد كبير من الناس حتى يعطوا ردًا مقنعًا للشرطة فيما يتعلق بتحركاتهم فى الليلة المشئومة .

ولم تكن المحصلة النهائية خالية تمامًا . فلقد وضع فى الاعتبار بعض الجمل وتم تدوينها لقيمتها المحتملة ، ولكن بدون دليل إضافى لن تؤدى إلى شىء .

وإذا كان كروم ورجاله لا يكلون ، فقد بدا لى أن بوارو كان فاتر الهمة . وكنا نتجادل من حين لآخر .

قال لى : " ولكن ماذا تريدنى أن أفعل ، يا صديقى ؟ إن الشرطة تقوم بالتحقيقات الروتينية أفضل منى . دائمًا ـــ دائمًا تريدنى أن أجرى من مكان لآخر مثل كلب صيد " .

" ذلك أفضل من جلوسك فى المنزل مثل ـــ مثل ـــ " .

" مثل رجل عاقل ! إن سر قوتى ، يا هاستنجز ، فى ذهنى ، وليس فى أقدامى ! فأنا غارق فى التفكير ، طيلة الوقت الذى أبدو لك فيه كسولاً " .

صرخت : " تفكير ؟ هل هذا وقت تفكير ؟ " .

" نعم ، ولألف مرة نعم " .

" ولكن ما الذى سيعود عليك من التفكير ؟ فأنت تعرف وقائع الجرائم الثلاث عن ظهر قلب " .

" إننى لا أفكر فى الوقائع ـــ ولكنى أفكر فى طريقة تفكير القاتل " .

" طريقة تفكير رجل مجنون ! " .

" بالتمام . ولذلك لن يتم التوصل إليها فى دقيقة . *عندما أعرف شكل المجرم ، سأتمكن من اكتشاف شخصيته* . وطيلة الوقت تزداد معلوماتى . فبعد جريمة أندوفر ، ما الذى عرفناه عن القاتل ؟ تقريبًا لا شىء . وماذا حدث بعد حادثة بيكسهيل ؟ زادت معلوماتنا قليلاً وبعد جريمة تشرستون ؟ زادت أكثر . لقد بدأت أرى ، ليس ما تود رؤيته ـــ معالم *الوجه والهيئة* ـــ ولكن

معالم طريقة *تفكيره* . ذهن يتحرك ويعمل فى اتجاهات معينة ومحددة . وبعد الجريمة القادمة ـــــ " .

" بوارو ! " .

نظر إلى صديقى بكل هدوء : " بالطبع ، يا هاستنجز ، أعتقد أنه ستكون هناك جريمة أخرى . فكثير من الأشياء تعتمد على *الحظ* . وحتى الآن يحالف الحظ مجرمنا المجهول . وهذه المرة ربما يعانده الحظ . ولكن على أى حال ، بعد جريمة أخرى ، سنعرف الكثير بكل تأكيد. فالجريمة تكشف الكثير بصورة هائلة . حاول أن تغير من طرقك كما تشاء ، وأذواقك ، وعاداتك ، وطريقة تفكيرك ، ومع ذلك تتضح شخصيتك من خلال أفعالك . هناك مؤشرات محيرة ـــــ أحيانًا يبدو وكأن هناك عقليتين تعملان ـــــ ولكن قريبًا ستوضح الصورة نفسها ، *وسأعرف* " .

" من يكون ؟ " .

" لا ، ياهاستنجز ، لن أعرف اسمه وعنوانه ! ولكنى سأعرف *أى نوع من الرجال هو* . . . " .

" وبعد ذلك ؟ " .

" *وبعد ذلك ، أذهب إلى الصيد* " .

بدت على علامات الحيرة ، وواصل بوارو الحديث :

" أنت تعلم يا هاستنجز أن الصياد المحنك يعرف تمامًا ما نوع الطُعم المناسب الذى يقدمه للسمك . وأنا سأقدم له نوعية الطعم المطلوبة " .

" ثم ماذا بعد ذلك ؟ " .

" بعد ذلك ؟ بعد ذلك ؟ أنت تفهم مثل كروم المتعالى الذى ليس على لسانه سوى كلمة ، " أحقًا ؟ " ، حسناً ، وبعد ذلك سيبتلع الطعم والسنارة ، ونجر الخيط . . . " .

" وفى أثناء هذا الوقت يموت الناس فى كل اتجاه " .

" ثلاثة من الناس . إنه لا شىء ـــ ففى كل أسبوع تقع ١٢٠ حالة وفاة على الطريق " .

" هذا أمر مختلف تمامًا " .

" إن الأمر واحد بالنسبة لأولئك الذين يموتون . ولكن بالنسبة للآخرين ، أى الأقارب ، والأصدقاء ـــ نعم ، هناك فرق ، ولكن يوجد شىء يسعدنى فى هذه الحالة " .

" هيا أسمعنا أى شىء مبهج بأى وسيلة كانت " .

" لا فائدة من سخريتك هذه . يسعدنى أنه لا يوجد شبهة ذنب تقع على أى شخص برىء " .

" أليس ذلك أسوأ ؟ " .

" كلا ، كلا ، ولألف مرة كلا ! فليس هناك أسوأ من أن تعيش فى جو من الشك ـــ وترى العيون تراقبك ، ويتحول الحب الذى يملؤها إلى خوف ـــ ليس هناك شىء أسوأ من أن ترتاب فى أحبائك والمقربين إليك . . . إنه جو خانق ـــ وسام . لا ، إننا حتى لا نستطيع

إلصاق تهمة تعكير صفو حياة شخص برىء بالمجرم الأبجدى " .

قلت بحرقة : " أنا أشعر بأنك عن قريب سوف تدافع عن هذا المجرم ! " .

" ولِمَ لا ؟ فلربما يعتقد أن لديه الحق تمامًا . ومن الممكن أن ينتهى بنا المطاف أن نتعاطف معه فى وجهة نظره " .

" أحقاً ، بوارو ؟ " .

" للأسف ! لقد سببت لك صدمة . أولاً بسبب كسلى — وبعد ذلك بآرائى " .

هززت رأسى دون أن أجيب .

قال بوارو بعد دقيقة أو دقيقتين : " مع ذلك ، لدى مشروع واحد سيدخل السرور إلى قلبك — حيث إنه يتميز بالنشاط وليس السلبية . وسينطوى أيضًا على كثير من إجراء الحوارات دون إعمال الفكر من الناحية العملية " .

لم تعجبنى تمامًا نبرته فى الحديث .

سألت بحرص : " ماهو ؟ " .

" استخلاص الحقائق من أصدقاء وأقارب وخدم الضحايا عن كل ما يعرفون " .

" هل تشك فى أنهم يكتمون أشياء ؟ " .

" ليس بشكل مقصود . ولكن قولك كل شىء تعرفه يقتضى *اختيار* ما تقول . فإذا طلبت منك أن تروى تفاصيل

أمس ، ربما تجيب : " استيقظت فى التاسعة ، وتناولت إفطارى فى التاسعة والنصف ، تناولت بيضًا ولحمًا وقهوة ، وبعد ذلك ذهبت إلى النادى إلخ " . ولن تذكر تفاصيل مثل : " كسرت ظفرى واضطررت لقصه . وطلبت ماءً للحلاقة . وسكبت بعضًا من القهوة على المفرش. ونظفت قبعتى بالفرشاة ثم ارتديتها ، فالمرء لا يمكن أن يقول *كل شىء* . ولذلك فهو يتخير ما يقول . وعندما تكون هناك جريمة، يتخير الناس قول ما يرونه مهمًا . ولكنهم فى أحيان كثيرة يفكرون بطريقة خاطئة ! " .

" وكيف يستطيع المرء أن يصل إلى الحقائق الصحيحة ؟ " .

" ببساطة كما قلت منذ برهة ، عن طريق الحوار . عن طريق الكلام ! ومناقشة حدث ما ، أو الحديث عن شخص معين ، أو يوم معين ، مرات ومرات ، وستظهر تفاصيل أكثر " .

" أى نوع من التفاصيل ؟ " .

" أنا لا أعرف ذلك بالطبع ، وربما لا أريد اكتشاف ذلك ! ولكن قد مر وقت كافٍ حتى الآن دون أن نحصل على أى فائدة من الأشياء العادية . وهذا يعارض كل القوانين الرياضية ، ففى ثلاث حالات قتل لا توجد حقيقة واحدة أو جملة لها صلة بالقضية . فلربما يكون هناك دليل فى واقعة تافهة ، أو تعليق تافه ! أعترف

بأننا كمن يبحث عن إبرة فى كومة قش ـــ ولكن فى كومة القش توجد الأبرة ـــ وهذا ما لدى قناعة به ! " .

كان الأمر يبدو لى غامضًا ومبهمًا لدرجة كبيرة .

" أنت لا تستطيع أن تفهم ذلك ؟ إن ذكاءك لا يفوق ذكاء خادمة صغيرة " .

ثم قذف إلى خطابًا . كان مكتوبًا بخط منمق مائل .

" سيدى العزيز ـــ أرجو أن تغفر لى جرأتى فى الكتابة إليك . فلقد فكرت كثيرًا منذ وقوع هذين الحادثين مثل الذى وقع لخالتي . يبدو كأننا جميعًا فى مركب واحد . ولقد رأيت صورة السيدة الشابة فى الجريدة ، أعنى أخت الفتاة التى قُتِلَت فى بيكسهيل . وأخذتنى الجرأة فى أن أكتب إليها وأخبرها بأننى قادمة إلى لندن لأبحث عن مكان وطلبت منها إذا كان يمكننى زيارتها هى ووالدتها ، وكما قلت إن عقلين فى التفكير ربما يكونان أفضل من واحد بمفرده ، وأخبرتها بأننى لن أطلب منها الكثير ، وأننى فقط أريد أن أكتشف من يكون هذا الشيطان اللعين ، وربما نصل إلى ذلك بطريقة أفضل إذا قلنا ما نعرفه ، فربما نتوصل إلى شىء من ذلك .

ردت السيدة بأسلوب لطيف ، وقالت إنها تعمل فى مكتب وتعيش فى فندق صغير ، ولكنها اقترحت على بأن أكتب إليك وقالت إنها كانت تفكر فى نفس الشىء ، وقالت بإننا نمر بنفس المحنة ولابد أن نتكاتف جميعًا .

ولهذا أكتب إليك ، سيدى ، لأخبرك بأننى قادمة إلى لندن وهذا هو عنوانى .

" أتمنى ألا أكون قد أزعجتكم ، وتفضلوا بقبول فائق الاحترام " .

" مارى درور "

ثم التقط خطابًا آخر .

قال : " اقرأ هذا " .

كان سطرًا كتبه فرانكلين كلارك ، يقول إنه قادم إلى لندن ، وأنه سيأتى لمقابلة بوارو فى اليوم التالى إذا لم يسبب ذلك أى مضايقة .

قال بوارو : " لا تدع اليأس يتسرب إليك ، يا صديقى ، فالعمل على وشك أن يبدأ " .

الفصل ١٨

بوارو يلقى خطابًا

وصل فرانكلين كلارك فى الساعة الثالثة من مساء اليوم التالى ودخل مباشرة فى الموضوع دون التطرق فـى الحـديث بعيدًا عن الموضوع .

قال : " سيد بوارو ، أنا لست راضيًا " .

" ولِمَ لا ، ياسيد كلارك ؟ " .

" ليس لدى أدنى شك فى أن كروم ضابط كفء جدًا ، ولكنه بصراحه ، يثير ضيقى اعتقاده الدائم هذا بأنـه خـير من يعـرف الأمـور ! ولقـد ألمحـت بـشيء ممـا أفكـر فيـه لصديقك عندما كان فـى تـشرستون ، ولكـن كـان علـى أن أسـوى شـئون أخـى ولم يكـن لـدى وقـت حتـى الآن . وأقترح ، يـا سـيد بـوارو ، أننـا لا يجـب أن نتباطـأ فـى العمل ـــــ " .

" هذا ما يقوله هاستنجز دائمًا ! " .

تابع السيد كلارك : " ـــــ ولكـن نمـضى قـدمًا . وعلينا أن نستعد للجريمة القادمة " .

قـال بـوارو : " إذن فأنـت تعتقـد أن هنـاك جريمـة قادمة ؟ " .

أجابه السيد كلارك : " ألا تظن ذلك ؟ " .

" بكل تأكيد " .

" إذن . يجب أن نضع خطة لعملنا " .

" أخبرنى بفكرتك بالضبط " .

" أقترح ، يا سيد بوارو أن نُكوِّن فريقًا من نوع خاص ـ يعمل تحت قيادتك ـ ويتآلف من أقارب وأصدقاء الذين قتلوا " .

قال بوارو : " *فكرة رائعة !* " .

قال السيد كلارك : " يسعدنى موافقتك عليها . لأنه عن طريق التفكير معًا يمكننا الوصول لشىء ما . أضف إلى ذلك ، عندما يأتى التحذير القادم ، ربما يستطيع أحدنا عن طريق وجوده فى مكان الحادث ـ لا أقول إن ذلك محتمل ـ أن يتعرف على شخص ما رآه قرب مسرح الجريمة السابقة " .

" أفهم فكرتك ، وأؤيدها ، ولكن عليك أن تضع فى حسبانك ، يا سيد كلارك ، أن أقارب وأصدقاء الضحايا الآخرين من الصعب أن يتواجدوا فى الحيز الذى تعيش فيه . فكلهم موظفون ، وعلى الرغم من أنه يمكنهم أخذ إجازة قصيرة ـ " .

قاطع فرانكلين الحديث قائلاً : " هذا صحيح . وأنا الشخص الوحيد الذى يسمح مركزى بسداد الفاتورة . ليس لأننى ميسور الحال ولكن أخى مات وخلف ثروة وسيئول ذلك إلىّ فى النهاية . أقترح ، كما قلت ، أن نكون جيشًا خاصًا ، وسيتم دفع رواتب خدمات أفراده بنفس المبالغ

التى يتقاضونها فى أعمالهم المعتادة ، مع إضافة النفقات الأخرى ، بكل تأكيد " .

" مَنْ فى اعتقادك سيكون قوام هذا الجيش ؟ " .

" لقد اخترتهم بالفعل . فى الواقع ، قمت بمراسلة الآنسة ميجان برنارد ، لأن هذه هى فكرتها إلى حد ما . وأقترح بأن يدخل فى هذا الفريق أنا ، والآنسة برنارد ، والسيد دونالد فريزر ، خطيب الفتاة القتيلة . وهناك ابنة أخت المرأة التى قتلت فى أندوفر ــــ وتعرف الآنسة برنارد عنوانها . ولا أعتقد أن زوج هذه السيدة سيكون له أى فائدة لنا ــــ فقد سمعت أنه ثمل على الدوام . وأعتقد أن عائلة برنارد ــــ الأب والأم ــــ كبار فى السن ولا يستطيعون المشاركة فى حملة نشطة كهذه " .

" ألا يوجد أى شخص آخر ؟ " .

" آه ، نعم ــــ الآنسة جراىٍ " .

احمر وجهه من الخجل قليلاً وهو ينطق الاسم .

" أوه ! الآنسة جراى ؟ " .

لا يوجد شخص فى العالم يستطيع مضاهاة بوارو فى إضفاء السخرية على زوج من الكلمات . وفجأة بدا فرانكلين كلارك وكأنه عاد فى عمره خمسة وثلاثين عامًا إلى الوراء ، وأصبح مثل تلميذ خجول .

" نعم ، فكما تعلم ، كانت الآنسة جراى مع أخى لما يزيد على عامين . ولديها دراية بالريف والناس المحيطين وكل شىء . وأنا كنت على سفر لمدة عام والنصف " .

أشفق بوارو عليه وحول دفة الحوار .

" لقد كنت فى الشرق ؟ فى الصين أظن ؟ " .

" نعم . لقد كنت فى رحلة لشراء بعض الأشياء بالنيابة عن أخى " .

" من المؤكد أن ذلك كان ممتعًا للغاية . حسنًا ، ياسيد كلارك ، إنى أوافق بشدة على فكرتك . ولقد أخبرت هاستنجز أمس فقط بأنه لا بد من وجود *تقارب* بين الأشخاص المعنيين بهذه القضية . فمن الضرورى أن نجمع ذكريات الماضى ، وأن نقارن بين الملاحظات ــ وفى النهاية نتحدث عن الأمر ـ ونتحدث ــــ ونتحدث ــــ ونتحدث مرة أخرى . فمن الممكن أن يظهر مفتاح اللغز من خلال عبارة بسيطة " .

بعد أيام قليلة اجتمعت " الفرقة الخاصة " فى مسكن بوارو .

وأثناء جلوسهم فى دائرة وهم ينظرون بطاعة تجاه بوارو ، الذى اتخذ مكانه فى مقدمة المنضدة ، وكأنه رئيس مجلس إدارة ، وأنا نفسى ، أخذت أراقبهم واحدًا بواحد لكى أتاكد من ، أو أغير انطباعاتى عنهم .

كان منظر الفتيات الثلاث مبهرًا ، حيث الجمال الأشقر الرائع لـ " ثورا جراى " ، ولون ميجان برنارد الداكن وجمود وجهها الذى تشبه قسماته الهنود الحمر ، ومارى درور بأناقة ملبسها مرتدية معطفًا أسود وجونلة بوجهها الجميل الذى تظهر عليه علامات الذكاء . كان

هناك تناقض بين الرجلين ، حيث كان فرانكلين كلارك ضخمًا ، برونزى اللون وكثير الكلام ، أما دونالد فريزر كان متحفظاً وهادئاً .

لم يستطع بوارو أن يقاوم هذه المناسبة ولذلك ألقى خطابًا موجزًا .

" السيدات والسادة ، تعلمون جميعًا سبب وجودنا هنا . إن الشرطة تبذل كل جهد ممكن لتعقب المجرم . وأنا ، أيضًا ، أقوم بذلك ، ولكن بطريقتى المختلفة . ولكن يبدو لى أن تعاون من لهم صلة شخصية بالموضوع ـــ وكذلك ، يمكن القول ، من لهم معرفة شخصية بالضحايا ـــ يمكن أن يحقق نتائج لا يصل إليها التحقيق الخارجى .

" أمامنا الآن ثلاث حالات قتل ـــ سيدة عجوز ، وفتاة شابة ورجل عجوز . وهناك شىء واحد يربط بين هؤلاء جميعًا ـــ وهو حقيقة *أن نفس الشخص هو الذى قتلهم جميعًا* . وهذا يعنى أن المجرم كان *متواجدًا فى ثلاثة أماكن* مختلفة ، وبالضرورة رآه عدد كبير من الناس . ومن البديهى أنه رجل مجنون فى مرحلة متأخرة من الجنون . ومن المؤكد أن مظهره وسلوكه لا يوحيان بهذه الحقيقة . وهذا الشخص ـ على الرغم من أننى أقول هو ـ لابد أن نضع فى الحسبان أن يكون رجلاً أو امرأة ـــ يمتلك كل الوسائل الشيطانية الماكرة للجنون . فلقد نجح

حتى الآن فى محو كل أثر له . ولدى الشرطة أدلة غامضة ولكنهم لا يستطيعون التصرف بناء عليها .

" ومع ذلك لابد من توافر الأدلة الثابتة وليست الغامضة . دعونا نتحدث عن نقطة محددة ـــــ فهذا القاتل لم يصل إلى بيكسهيل فى منتصف الليل وبسهولة وجد على الشاطئ فتاة يبدأ اسمها بحرف " بى " ـــــ " هل يجب أن نتحدث فى ذلك ؟ " .

كان المتحدث هو دونالد فريزر ـــــ خرجت الكلمات من فمه بصعوبة بسبب الألم الداخلى الذى يشعر به .

قال بوارو : " من الضرورى أن نبحث فى كل شىء ، سيدى ، فلم تأت إلى هنا لتخاف على مشاعرك بتجنبك الخوض فى التفاصيل ، ولكن إذا لزم الأمر فلتهن هذه المشاعر بأن تحقق فى الأمر بكل استفاضة . فكما ذكرت ، لم يكن *الحظ* هو الذى وفر ضحية للمجرم الأبجدى متمثلة فى بيتى برنارد . ولكن من المؤكد أنه كان هناك اختيار مقصود من جانب القاتل ـــــ ومن ثم سبق إصرار وتعمد . وهذا معناه أنه من المؤكد أنه قد قام باستطلاع المكان مسبقًا ، وكان قد جهز نفسه ببعض الحقائق مثل اختيار أنسب وقت لارتكاب الجريمة فى أندوفر ـ ومسرح الجريمة فى بيكسهيل ـ وعادات السيد كارمايكل كلارك فى تشرستون . وأنا ، من ناحيتى ، أرفض تصديق أنه لا توجد أية علامة ـــــ أو إشارة بسيطة ـــــ يمكن أن تساعد على كشف هويته " .

" وأعتقد أن واحدًا منكم ــــــ أو من المكن جميعكم ــــ *يعرف شيئاً عنه ولا يدرى أنه يعرف ذلك* " .

" عاجلاً أم آجلاً ، بسبب اتحادكم مع بعضكم البعض ، سيظهر شيء للنور ، وسيكون له أهمية بشكل لم يتخيله أحد . إن الأمر يشبة لعبة المكعبات ــــ فكل منكم يملك *قطعة يبدو أنه لا معنى لها بمفردها ، ولكنها عندما تتآلف مع غيرها تصبح جزءًا مهمًا فى الصورة ككل* " .

قالت ميجان برنارد : " كلام ! " .

نظر إليها السيد بوارو باستغراب قائلاً : " ماذا ؟ " .

قالت : " إن ماقلته . هو مجرد كلام . ولا يعنى أى شيء " .

كانت تتكلم بنوع من الحدة والغضب الشديدين وهو ما كنت قد قرنته بشخصيتها من قبل .

قال بوارو : " إن الكلمات ، آنستى ، هى رداء الأفكار" .

قالت مارى درور : " أعتقد أن الإدراك هو ما ينقصنى بالفعل . فعندما يدرس المرء الأشياء بعناية يتضح له الطريق . فأحيانًا يتشكل فكرك دون أن تدرى كيف حدث ذلك . فالكلام يؤدى إلى كثير من الأشياء بطريقة أو بأخرى " .

قال فرانكلين كلارك : " إذا كان المثل السائد يقول : " خير الكلام ما قل ودل " ، فإن ما نحتاج إليه هنا هو عكس ذلك تمامًا " .

" ما رأيك يا سيد فريزر ؟ " .

" أشك فى إمكانية التطبيق العملى لما تقوله ياسيد بوارو" .

قال كلارك : " مارأيك ، يا ثورا ؟ " .

" أعتقد أن مبدأ مناقشة الأشياء هو مبدأ سليم على الدوام " .

قال بوارو : " أقترح أن يسترجع كل واحد منكم ذكرياته للوقت السابق لعملية القتل . ولنبدأ بالسيد كلارك " .

قال السيد كلارك : " أمهلنى قليلاً ، فى صباح اليوم الذى قتل فيه كار ذهبت إلى الإبحار . واصطدت ثمانى سمكات ماكريل . كان الجو رائعًا هناك على الخليج . ثم عدت لتناول طعام الغداء فى المنزل . أذكر أنى تناولت يخنى أيرلنديًا . ونمت فى الأرجوحة . وتناولت الشاى . ثم بعد ذلك كتبت بعض الخطابات ، ولكن فاتنى موعد البريد ، فاضطررت لأن أتجه إلى باينتون لإرسالها . ثم بعد ذلك تناولت العشاء ـــ ولا أشعر بخجل لأن أذكر أننى أعدت قراءة أحد أعمال الكاتب إى . نسبيت والتى تعودت على قراءتها أيام الطفولة . وبعد ذلك سمعت رنين الهاتف ـــ " .

" هذا يكفى ، والآن تذكر يا سيد كلارك ، ألم تقابل أحدًا فى طريقك إلى البحر فى الصباح ؟ " .

" كثير من الناس " .

" هل تذكر شيئاً عن هؤلاء الناس ؟ " .

" لا أذكر أى شيء الآن " .

" متأكد ؟ " .

" أمهلني قليلاً ـــ أتذكر امرأة بدينة بشكل ملحوظ ـــ كانت ترتدى فستانًا مخططًا من الحرير وتساءلت لماذا ترتدى ذلك ـــ كان معها ولدان . . . . . وكان هناك شابان على الشاطئ ومعهما كلب صيد ويقذفان له الحجارة ـــ ورأيت أيضًا فتاة ذات شعر أصفر تصرخ وهى تغوص فى الماء ـــ شىء رائع أن تعود الذكريات ـــ مثل صورة تتشكل" .

" ما تقوله جيد . وماذا حدث فى بقية النهار ـــ فى الحديقة ـــ وذهابك إلى مكتب البريد ـــ " .

" كان البستانى يروى . . . . . عندما ذهبت إلى مكتب البريد كنت على وشك الاصطدام بسائق دراجة ـــ ورأيت امرأة سخيفة وهى ترتجف وتصرخ فى صديق لها . هذا كل ما أذكره " .

استدار بوارو إلى ثورا جراى .

" وماذا عنك آنسة جراى ؟ " .

أجابت ثورا بصوت واضح وواثق :

" تفقدت المراسلات مع السيد مايكل فى الصباح - ورأيت مديرة المنزل . وقمت بكتابة الخطابات انشغلت ببعض أعمال التريكو فى المساء . من الصعب على أن أتذكر . فقد كان يومًا عاديًا تمامًا . وأويت إلى الفراش مبكرًا " .

ما أثار دهشتى ، أن بوارو لم يسألها أكثر من ذلك .

وقال : " الآنسة برنارد ـــــ هل يمكنك تذكر آخر مرة رأيت فيها أختك ؟ " .

" كان ذلك قبل أربعة عشر يومًا تقريبًا من وفاتها . حيث عدت إلى المنزل لقضاء يومى السبت والأحد . كان الطقس رائعًا . وذهبنا إلى حمام السباحة " .

" فيما كنتما تتحدثان معظم الوقت ؟ " .

قالت ميجان : " صارحتها برأيى فى سلوكها " .

" وماذا أيضًا ؟ وما الذى تحدثت فيه معك ؟ " .

قطبت الفتاة جبينها فى محاولة لاستعادة الذكريات .

" تحدثت عن حاجتها إلى المال ـ وعن قبعة وفستانين صيفيين كانت قد اشترتهما من فترة قليلة . وتحدثت قليلاً عن علاقتها مع دونالد . . . . . وقالت أيضًا إنها تكره ميلى هيجلى ـــــ الفتاة التى كانت تعمل فى المقهى ـــــ وضحكنا على السيدة مريون التى كانت تدير المقهى . . . . . . ولا أذكر شيئاً آخر . . . . . . " .

" ألم تحدثك عن رجل ما ـــــ معذرة ، يا سيد فريزر ـــــ كانت تتقابل معه ؟ " .

قالت ميجان بجفاء : " ما كانت لتخبرنى بذلك " .

استدار بوارو إلى الرجل ذى الشعر الأحمر والفك العريض .

" السيد فريزر ـــــ أود أن تعود بفكرك إلى الماضى . كنت قد أخبرتنى بأنك ذهبت إلى المقهى فى هذه الليلة المشئومة . كانت نيتك فى البداية أن تنتظر هناك وتراقب

بيتى عند خروجها . هل يمكنك أن تتذكر أى شخص لاحظته أثناء انتظارك هناك ؟ " .

" كان هناك عدد كبير من الناس يسيرون أمامى . ولا أتذكر أحدًا منهم " .

" معذرة ، ولكن هل حاول أن تتذكر ؟ فمهما يكن العقل مشغولاً ، تلحظ العين بشكل تلقائى ـــــ بطريقة ليس فيها ذكاء ولكن بدقة . . . . " .

كرر الشاب بعناد . " لا أذكر أحدًا " .

" تنهد بوارو ووجه الحديث إلى مارى درور :

" أعتقد أنك كنت تتلقين خطابات من خالتك ؟ " .

" نعم ، سيدى " .

" متى وصلك آخر خطاب منها ؟ " .

فكرت مارى لدقيقة .

" كان ذلك قبل مقتلها بيومين ، سيدى " .

" ماذا كان مضمون هذا الخطاب ؟ "

قالت : " لقد عاد الشيطان وقد طردته بعد أن وبخته بشدة ـــــ وقالت إنها تتنظر منى زيارة يوم الأربعاء ـــــ وهو يوم عطلتى ـــــ وقالت إننا سنذهب إلى السينما . حيث كان ذلك يوم عيد ميلادى ، سيدى " .

شىء ما ـــــ ربما التفكير فى هذا الاحتفال البسيط جعل الدموع تقفز فجأة إلى عينى مارى . وتنهدت وهى تقاوم البكاء . ثم اعتذرت عن ذلك .

" لابـد أن تـسامحنى ، سـيدى . لا أريـد أن أكـون سخيفة . فالبكاء لن يفيد . فقط تذكرتها ـــ وأنا ـــ ونحـن نتطلـع إلى وقـت متعتنـا . فهـذا يـؤلمنى أحيانًـا ، سيدى " .

قال فرانكلين كلارك : " أعلم ما تشعرين به بالضبط ، إنهـا دائمًـا الأشـياء البـسيطة التـى تـشعر الفـرد منـا بالحزن ـــ شىء سعيد وطبيعـى . مازلـت أذكـر منظـر سيدة قد دهست بسيارة . كانت قد اشترت حذاءً جديدًا . رأيتها وهى مسجاة هناك ـــ بجانبها علبة بهـا حـذاء صغير ذو كعب عال ـــ هذا الموقف أصابنى بصدمة ـــ فقد كان منظر هذه الأشياء محزنًا للغاية" .

قالت ميجان بدفء ولهفة مفاجئة :

" هذا صحيح ـــ صحيح للغاية . حدث نفس الشىء بعد وفاة بيتى . لأن أمى كانت قد اشـترت زوجًـا جديـدًا من الجوارب كهدية لها ـــ اشترته فى نفس اليوم الذى وقعت فيه الجريمة . مسكينة أمى ، كانت منهارة تمامًا . رأيتها وهـى تبكـى وهـو فـى يـدها . وظلـت تقـول : لقـد اشتريته من أجل بيتى ـــ وهى لن تراه أبدًا " .

ارتعـد صـوتها قلـيلاً . ومالـت للأمـام ، ثـم اتجهـت بنظرها صوب فرانكلين مباشرة . فقد كـان بينهمـا تعـاطف مفاجئ ـــ أخوة فى الألم " .

قال : " أعلم ، أعلم تمامًـا ، أن هـذه الأشـياء تـسبب عذابًا عند تذكرها " .

أخذ دونالد فريزر يتململ فى جلسته .

غيرت ثورا جراى مجرى الحوار .

سألت : " ألن نقوم بعمل خطط ـــ للمستقبل ؟ " .

عاد فرانكلين إلى طريقته المعهودة . " بالطبع . فأنا أعتقد ذلك عندما يحين الوقت المناسب ـــ أقصد ، عندما يصل الخطاب الرابع ـــ يجب أن نوحد الجهود . وحتى ذلك الحين ، يمكن أن نجرب حظنا كلٌ على حدة . ولا أعرف إذا كان لدى السيد بوارو أى نقاط يرى أنها ستفيد التحقيق " .

قال بوارو : " من الممكن أن أقدم بعض الاقتراحات " .

" حسنًا ، وأنا سأدونها " أخرج قلمًا ومفكرة : " تفضل ياسيد بوارو . ما مقترحاتك ؟ " .

" أعتقد أنه من الممكن أن النادلة ، ميلى هيجلى ، ربما تعرف شيئًا مهمًا " .

كتب فرانكلين كلارك " أ ـــ ميلى هيجلى " .

" وأقترح طريقتين للتعامل مع ذلك . أنت ، أيتها الآنسة برنارد من الممكن أن تجربى الطريقة العدوانية " .

قالت ميجان بجفاء : " هل هذا لأنك تظن أن ذلك يناسب سلوكى ؟ " .

" اختلقى شجارًا مع الفتاة ـــ قولى إنك كنت تعرفين أنها لم تحب أختك ـــ وأن أختك قالت لك كل شيء *عنها* . إذا لم أكن مخطئاً ، سيثير ذلك وابلاً من

الاتهامات المضادة . وستخبرك برأيها فى أختك ! وربما تظهر حقيقة مفيدة فى ذلك" .

" وما الطريقة الأخرى ؟ " .

" أيمكننى أن أقترح ، يا سيد فريزر ، أنه يجب عليك أن تبدى علامات الاهتمام بهذه الفتاة ؟ " .

قال فريزر : " هل هذا ضرورى ؟ " .

" لا ، ليس من الضرورى . فهذا يعد فقط اتجاهًا محتملاً للبحث " .

قال فرانكلين كلارك : " هل يمكن أن أقوم بالمحاولة بدلاً منه ، فلدى خبرة طويلة فى هذا المجال ، سيد بوارو . دعنى أر ما يمكن أن أقوم به مع هذه الفتاة " .

قالت ثورا جراى بشكل حاد جدًا : " إن لديك دورًا يجب عليك القيام به " .

طأطأ فرانكلين رأسه قليلاً .

وقال : " نعم ، لدى بالفعل " .

قال بوارو : " مع ذلك ، أعتقد لا يوجد شىء تقومان به هناك فى الوقت الحالى ، والآنسة جراى هى أكثر من تناسب ـ " .

قاطعته ثورا قائلة :

" ولكن يجب أن تعلم ، يا سيد بوارو ، أنى قد تركت ديفون للأبد " .

" أحقًا ؟ لم أعرف ذلك " .

قال فرانكلين : " بكل عطف وافقت الآنسة جراى على البقاء معى لمساعدتى فى ترتيب الأشياء . ولكنها فضلت أن تعمل فى لندن " .

نظر بوارو إلى كل منهما بنظرات حادة .

وسأل : " كيف حال السيدة كلارك ؟ " .

كنت أتأمل فى لون وجنتى ثورا الباهت ولم أنتبه تقريبًا إلى رد كلارك .

" سيئ للغاية . بالمناسبة ، يا سيد بوارو ، أتساءل ما إذا كان من الممكن أن تتجه إلى ديفون لزيارتها ، فلقد عبرت عن رغبتها فى مقابلتك وذلك قبل مغادرتى . من المؤكد أنها لا تستطيع أن ترى أحدًا لمدة تصل إلى يومين ، ولكن إذا أردت المغامرة للقيام بذلك ـــــ فإنه سيكون على نفقتى ، بالطبع " .

" بكل تأكيد ، يا سيد كلارك ، ما رأيك فى بعد الغد ؟ " .

" عظيمٍ . سأخبر المرضة بهذا وستقوم بتوفيق جرعة المخدر طبقًا لذلك " .

توجه بوارو إلى مارى : " أما بالنسبة لك ، يا عزيزتى ، فبإمكانك إنجاز عمل رائع فى أندوفر . حاولى مع الأطفال " .

" الأطفال ؟ " .

" نعم . فالأطفال لا يتحدثون بسهولة مع الغرباء . ولكنك معروفة فى الشارع الذى كانت تعيش فيه خالتك .

وكان كثير من هؤلاء الأطفال يلعبون . ولربما يكونون قد لاحظوا من دخل وخرج من متجر خالتك " .

سأل كلارك : " وما دورى أنا والآنسة جراى . إن لم يكن على الذهاب إلى بيكسهيل " .

قالت ثورا جراى : " ما العلامة البريدية الموجودة على الخطاب الثالث ، يا سيد بوارو ؟ " .

" علامة بوتنى ، يا آنسة " .

قالت باهتمام : " إس . دبليو . ١٥ بوتنى ، صحيح هكذا ، أليس كذلك ؟ " .

قال بوارو : " من الغريب أن الصحف قد كتبت ذلك بشكل دقيق " .

قالت ثورا : " هذا يبدو مؤشرًا أن إيه بى سى من أحد سكان لندن " .

" ظاهريًا ، نعم " .

قال كلارك : " يجب أن نستطيع استدراجه ، ما رأيك ، سيد بوارو ، فى أن أنشر إعلانًا ـــــ شىء مثل هذه السطور : إيه بى سى ، عاجل ، هيركيول بوارو يقتفى أثرك ، وأريد مائة جنيه مقابل صمتى . إمضاء ، " إكس . واى . زد " ليس هناك شىء أكثر وقاحة من ذلك ـــــ ولكنك تفهم المغزى . ربما يستدرجه ذلك " .

قال بوارو : " نعم ـــــ هذا احتمال قائم " .

قال كلارك : " ربما يدفعه ذلك لمحاولة إطلاق النار على " .

قالت ثورا جراى بشكل حاد : " أعتقد أن ذلك أمر خطير وسخيف " .

قال كلارك : " ما رأيك فى ذلك ، سيد بوارو ؟ " .

" ليس هناك ضرر فى المحاولة . وأنا شخصيًا أعتقد أن إيه . بى . سى أمكر من أن يرد على ذلك " ثم ابتسم قليلاً وأردف : " أرى ، ياسيد كلارك ـــــ إذا سمحت لى أن أقول ذلك دون أن أقصد أى أهانة ـــــ بأنك مازلت تتمتع بروح طفل " .

ظهرت بعض علامات الخجل على فرانكلين كلارك .

ثم قال وهو ينظر إلى مفكرته : " حسنًا ، ها قد بدأنا

أ ـــــ الآنسة برنارد وميلى هيجلى .
ب ـــــ السيد فريزر والآنسة هيجلى .
ج ـــــ الأطفال فى أندوفر .
د ـــــ الإعلان .

لا أشعر بأن أيًا من هذا له أى فائدة ، ولكنه شىء نقوم به أثناء انتظارنا " .

ثم نهض وبعد دقائق انتهى الاجتماع .

الفصل ١٩

عن طريق السويد

عاد بوارو إلى مقعده وجلس يدندن بأغنية قصيرة .

قال بصوت منخفض : " لسوء الحظ كانت ذكية " .

" من ؟ " .

" ميجان برنارد . الآنسة ميجان برنارد . فهي التي قالت بغضب " مجرد كلام " . حيث أدركت على الفور أن ما أقوله ليس له معنى على الإطلاق . ولكنّ الباقين قد خُدِعوا " .

" أعتقد أنه كان يبدو كلامًا مقبولاً " .

" مقبولاً ، نعم . كان ذلك ما أحسته " .

" ألم تكن تعنى ما قلته ، فى ذلك الوقت ؟ " .

" إن ما قلته كان يمكن اختزاله فى جملة واحدة قصيرة . ولكننى كررت كلامى بشكل ارتجالى دون أن يلحظ أحد ذلك ما عدا الآنسة ميجان " .

" ولكن ما السبب وراء ذلك ؟ " .

" حسنًا ــــ لكى يكون هناك استمرارية ! حتى أعطى كل واحد منكم انطباعًا أن هناك عملاً يجب القيام به ! لكى نبدأ ــــ ما نسميه ــــ الحوارات ! " .

" ألا تعتقد أن أيًا من هذه الاتجاهات سيؤدى إلى شيء ؟ " .

" من الممكن " .

ثم أخذ يقهقه .

قال بوارو : " فى وسط الحزن تولد الكوميديا . أليس كذلك ؟ " .

" ماذا تقصد ؟ " .

" إنها الدراما الإنسانية ، يا هاستنجز ! فكر قليلاً . فلدينا هنا ثلاثة أصناف من البشر جمعتهم مأساة مشتركة . وستبدأ على الفور دراما أخرى ــــ كل يلعب فيها دورًا . ألا تذكر أول قضية لى فى إنجلترا ؟ كان ذلك منذ سنوات . جمعت بين شخصين أحبا بعضهما البعض ــــ وذلك من خلال القبض على أحدهما بتهمة القتل ! لم يكن هناك شيء آخر يمكن أن يجمع بين قلبيهما أكبر من ذلك ! فى غمرة الموت ، ياهاستنجز نواصل الحياة . . . ولقد لاحظت أن القتل هو أكبر صانع للزيجات " .

صرخت وأنا أشعر بصدمة أخلاقية : " إنى على يقين يا بوارو بأنهم لا يفكرون فى شيء سوى ــــ " .

" آه! يا عزيزى . وماذا عنك أنت شخصيًا ؟ " .

" أنا ؟ " .

" نعم ، ألم تعد عندما انصرفوا وأنت تدندن بأغنية ؟ " .

" من الممكن أن يفعل الواحد منا ذلك دون وعى " .

" بالتأكيد ، ولكن هذه الأغنية كشفت لى ما يدور فى فكرك " .

" أحقاً ؟ " .

" نعم . أن تدندن بأغنية هو شىء فى منتهى الخطورة ، فهو يكشف ما يدور فى عقلك الباطن . والأغنية التى كنت تغنيها ترجع ، حسب ظنى ، إلى أيام الحرب .

غنى بوارو بصوت مرتفع فظيع :

لبعض الوقت أحب السمراء ،
ولبعض الوقت أحب الشقراء (التى أتت من الجنة
عن طريق السويد) .

" مالذى يوضح أكثر من ذلك ؟ " ولكنى أعتقد أن *الشقراء تهمك أكثر من السمراء* ! " .

صحت ، وقد أحمر وجهى قليلاً من الخجل : " هذا سخف ، بوارو " .

" هذا أمر طبيعى . ألم تلحظ مدى تعاطف فرانكلين كلارك المفاجئ مع الآنسة ميجان ؟ " وكيف كان ينحنى للأمام وينظر إليها ؟ وألم تلحظ أيضًا مدى ضيق الآنسة ثورا جراى بسبب ذلك ؟ وكذلك السيد دونالد فريزر ، فهو — " .

قلت : " بوارو ، إن تفكيرك عاطفى بشكل مزمن " .

" هذا آخر شيء يمكن أن يصل إليه تفكيرى . ولكنك أنت العاطفى ، يا هاستنجز " .

كنت على وشك الدخول فى جدال شديد معه على هذه النقطة ، ولكن فتح الباب فى هذه اللحظة .

ولدهشتى كان الشخص الذى دخل هو ثورا جراى .

قالت بهدوء : " لتغفر لى عودتى مرة أخرى ، ولكن هناك شيئًا أردت أن أخبرك إياه ، يا سيد بوارو " .

" بكل تأكيد ، يا آنسة . هلا تفضلت بالجلوس ! " .

جلست ثم ترددت لدقيقة وكأنها تتخير الكلمات .

" الأمر كالآتى يا سيد بوارو . أفهمك كلارك مشكورًا منذ برهة بأننى غادرت كومسايد بمحض إرادتى . فهو شخص فى غاية العطف والإخلاص . ولكن فى الحقيقة ، يختلف الأمر عن ذلك تمامًا . فقد كنت على أتم الاستعداد للبقاء ـــ طالما أن هناك أى كمية من العمل يجب القيام بها بخصوص المجموعات الفنية الخاصة بالفقيد . ولقد كانت رغبة السيدة كلارك هى السبب فى أن أترك المكان ! ولكن من الممكن أن نلتمس لها العذر . فهى سيدة مريضة جدًا ، وعقلها مشوش إلى حد ما بسبب العقاقير التى تتناولها . وهو ما يجعلها شكاكة وواهمة . ومن ثم أضمرت لى كراهية لا مبرر لها وأصرت على مغادرتى للمنزل " .

لم يكن بوسعى إلا إبداء إعجابى بشجاعة الفتاة . فلم تحاول أن تخفى الحقائق ، كما يمكن أن ينجرف آخرون

لعمل ذلك ، ولكنها دخلت فى صميم الموضوع بصراحة تثير الإعجاب . قد امتلأت إعجابًا بها وتعاطفًا معها .

قلت : " من الرائع أن تأتى وتخبرينا بذلك " .

قالت بابتسامة خفيفة : " من الأفضل قول الصدق ، لأننى لا أريد أن أحتمى وراء شهامة السيد كلارك . فهو رجل فى منتهى الشهامة " .

كانت الكلمات ممزوجة بشعور دافئ . فمن الواضح أنها معجبة بـ " فرانكلين " بدرجة كبيرة .

قال بوارو : " لقد كنت فى منتهى الصراحة ، يا آنسة " .

قالت ثورا بأسى : " إن ذلك يمثل صدمة كبيرة لى ، فلم يكن لدى أدنى فكرة بأن السيدة كلارك تكرهنى بشدة . فى الواقع ، كنت أظن دائمًا أنها معجبة بى " ، ثم شاحت بوجهها "من يعش كثيرًا ، يتعلم أكثر " .

ثم نهضت .

قالت : " هذا كل ما جئت لقوله . إلى اللقاء " .

اصطحبتها حتى الطابق السفلى .

قلت عندما رجعت إلى حجرتى : " أسمى ذلك روحًا رياضية منها ، هذه الفتاة تتميز بالجرأة " .

" وبُعد النظر " .

" ماذا تعنى ــــــ بـ " بُعد النظر " ؟ " .

" أعنى أن لديها القدرة على النظر إلى المستقبل " .

نظرت إليه بنوع من الشك .

قلت : " إنها بنت جميلة حقًا " .

" وترتدى ملابس جميلة . هذا الفستان الرقيق والياقة من فرو الثعلب الفضى ـــ آخر صيحات الموضة ! " .

" أنت متخصص فى ملابس النساء ، يا بوارو ، فأنا لا ألحظ ما يرتديه الناس " .

" لابد أن تنضم لنادى الموضة " .

كنت على وشك أن أرد عليه بسخط ، إلا أنه قال مغيرًا الموضوع بشكل مفاجئ :

" ألا تعلم ، ياهاستنجز ، بأننى لا أستطيع أن أخلص نفسى من الإحساس ، بأننا بالفعل قد قلنا شيئاً مهمًا ، أثناء حواراتنا هذا المساء . إحساس غريب ـــ لا أستطيع أن أحدد بالضبط ما هو . . . . . مجرد إحساس مر بخاطرى . . . *وهذا يذكرنى بشىء قد سمعته أو رأيته أو لاحظته من قبل* . . . " .

" أكان هذا الشىء فى تشرستون ؟ " .

" لا ـــ لم يكن ذلك فى تشرستون . . . قبل ذلك . . . لا يهم ، فعما قريب سأتذكره . . . " .

نظر إلى ، وضحك (ربما لم أكن ألاحظه عن كثب) ثم بدأ يدندن مرة أخرى .

" هى ملاك ، هكذا أم لا ؟ جاءت من الجنة ، عن طريق السويد . . . " .

قلت : " بوارو ، عليك اللعنة ! " .

الفصل ٢٠

السيدة كلارك

كان يخيم جو من الحزن الراسخ العميق على كومسايد عندما رأيناه للمرة الثانية . من الممكن أن يكون ذلك بسبب الطقس من ناحية ـــــ حيث كان يمثل يومًا رطبًا فى شهر سبتمبر وتخيم عليه مسحة من جو الخريف فى الهواء ، ومن ناحية أخرى ، بلا شك ، بسبب حالة شبه الإغلاق للمنزل . كانت حجرات الطابق السفلى مغلقة ونوافذها موصدة ، وكانت الحجرة التى تم اصطحابنا إليها رطبة ولا هواء فيها .

خرجت إلينا ممرضة من المستشفى يبدو عليها الكفاءة وهى تعدل من وضع أكمامها .

قالت بسرعة : " السيد بوارو ؟ أنا الممرضة كابستيك . وصلنى خطاب من السيد كلارك يخبرنى فيه بقدومكم " .

سأل بوارو عن صحة السيدة كلارك .

" ليست سيئة على الإطلاق ، إذا وضعنا كل شىء فى الاعتبار " .

ظننت أن عبارة " وضعنا كل شىء فى الاعتبار " تعنى أنها تحت حكم الإعدام .

" لا يستطيع المرء أن يأمل فى تحسن كبير ، بالطبع ، ولكن علاجًا جديدًا قد جعل الأمور أكثر سهولة عليها . والطبيب لوجان مسرور جدًا بحالتها " .

" ولكنه أليس صحيحًا أنها لن تشفى من المرض ؟ " .

قالت المرضة كابستيك بدهشة من هذا الكلام الصريح : " لا نستطيع فى الحقيقة *قول* ذلك " .

" أعتقد أن موت زوجها كان بمثابة صدمة شديدة عليها " .

" إذا كنت تفهم ما أعنى ، يا سيد بوارو ، لم تكن الصدمة عليها بقدر ما كان سيشعر به شخص فى كامل قواه الصحية والعقلية . الأشياء تبدو *مشوشة* للسيدة كلارك فى هذه الحالة " .

" معذرةً للسؤال ، هل كانت متعلقة بزوجها بشدة وكان متعلقًا بها ؟ " .

" نعم ، لقد كانا زوجين ينعمان بالسعادة . فقد كان يشعر بالقلق عليها والضيق من أجلها ، هذا المسكين . فكما تعلم ، يكون الأمر أكثر قسوة على الطبيب . ولم يستطيعوا أن يعلقوا أنفسهم بآمال كاذبة . أخشى أن يكون ذلك قد أثر على فكره فى البداية " .

" فى البداية ؟ وليس بعد ذلك ؟ " .

" يعتاد المرء على الأشياء ، أليس كذلك ؟ وبعد ذلك أصبح لدى السيد كارمايكل مجموعته الفنية . فالهواية هى أفضل سلوى للإنسان . ثم تعود على حضور المزادات

من حين لآخر ، ثم انشغل هو والآنسة جراى فى إعادة ترتيب وفهرسة المتحف بنظام جديد " .

" نعم ـــ الآنسة جراى . لقد تركت المكان ، أليس كذلك ؟ " .

" نعم ـ ولكم أأسف لذلك ــــ ولكن النساء يتوهمن أشياء أحيانًا عندما لا يتمتعن بكامل صحتهن وقواهن . ولا فائدة من الجدال معهن . من الأفضل أن تستسلم . وكانت السيدة جراى متفهمة لهذا الأمر " .

" هل كانت السيدة كلارك تكرهها دائمًا ؟ " .

" لا ، لم يكن كرهًا بمعنى الكلمة . ففى الواقع ، أعتقد أنها كانت تحبها فى بداية الأمر " . غيرت مجرى الحديث وقالت : " تفضل الآن ، لن أبقيك طويلاً فى هذا الحديث عن الآخرين ، سوف تتساءل مريضتى عما حل بنا " .

قادتنا إلى الطابق العلوى إلى حجرة فى الطابق الأول . والتى كانت حجرة نوم وتم تحويلها إلى حجرة جلوس ذات منظر مبهج .

كانت السيدة كلارك جالسة على كرسى ذى ذراعين كبير بالقرب من النافذة . كانت نحيفة للغاية ، وكان على وجهها سمات الكآبة والإجهاد التى تلازم شخصًا عانى من الألم كثيرًا . وكانت نظرتها حالمة شاردة قليلاً ، ولاحظت أن إنسان عينيها كان مجرد نقطتين صغيرتين .

قالت الممرضة كابستيك بصوتها المرتفع المرح : " هذا هو السيد بوارو الذى طلبت مقابلته " .

قالت السيدة بصوت غير واضح : " نعم ، السيد بوارو " .

مدت السيدة يديها .

" وهذا صديقى ، هاستنجز ، يا سيدة كلارك " .

" تشرفنا بكما . شعور طيب منكما أن تأتيا إلى هنا " .

جلسنا حيث بينت لنا إشارتها غير الواضحة . ثم سادت حالة من الصمت . يبدو أن السيدة كلارك دخلت فى حلم .

بسرعة وبمجهود بسيط عادت الى صوابها .

" لقد كان الأمر يتعلق بـ " كار " ، أليس كذلك ؟ موت كار . نعم " .

تنهدت ، وهى لا تزال فى حالة شاردة ، وهزت رأسها .

" لم نكن نتصور أن الأمور ستكون على هذه الصورة . . كنت متيقنة بأننى سأكون أول من يرحل . . . فكرت لدقيقة أو دقيقتين . لقد كان كار قويًا جدًا ـــ ورائعًا بالنسبة لسنه . فلم يداهمه مرض أبدًا . وكان قد قارب على الستين من عمره ـــ ولكنه كان يبدو وكأنه فى الخمسين . . . نعم ، كان قويًا جدًا . . . " .

عادت إلى أحلامها مرة أخرى . لم يقل بوارو شيئاً لمعرفته بآثار بعض العقاقير وكيف أنها تجعل من يتعاطاها لا يشعر بمرور الزمن .

قالت السيدة كلارك فجأة :

" نعم ـــــ كان شعورًا طيبًا أن تأتيا إلى هنا . لقد أخبرت فرانكلين بذلك . وقال إنه لن ينسى أن يخبرك . أتمنى ألا يكون فرانكلين قد تصرف بسذاجة . . . فهو ينخدع بسرعة ، على الرغم من أنه طاف العالم كثيرًا . فالرجال هكذا . . . فهم يظلون أطفالاً . . . وفرانكلين على الأخص " .

قال بوارو : " إن له طبيعة متهورة " .

" نعم ـــ نعم . . . ولكنه شهم جدًا . إن الرجال يتسمون بالسذاجة . حتى كار ـــ " ثم ضعف صوتها .

هزت رأسها بصورة تدل على الضجر الشديد .

" كل شيء قاتم جدًا . . . وجسدى مصدر للإزعاج ، يا سيد بوارو ، وخصوصًا عندما يتملك منى الألم . لا أحس بشيء آخر ـــ سواء تمكن الألم منى أم لم يتمكن ـــ لم يعد هناك ما يهم " .

" أعرف ، ياسيدة كلارك . فهذا من أحد مآسى هذه الحياة " .

" يجعلنى ذلك أبدو فى منتهى الغباء . لا أستطيع حتى أن أتذكر ما كنت أود أن أخبرك به " .

" هل كان ذلك بخصوص موت زوجك ؟ " .

" موت كار ؟ نعم ، ممكـن . . . المجنـون ، المخلـوق المسكين ـــــ أقصد هذا القاتل . إنهـا الـضوضاء والـسرعة التى يتـسم بهـا العـصر الحـالى ـــــ لا يـستطيع النـاس تحمل ذلك . وإنى لأشفق على المجانين ـــــ مـن المؤكـد أن هناك مسًا برءوسهم . وبعد ذلك ، عنـدما يـتم حبـسهم ـــــ من المؤكد أن ذلك أمر عصيب علـيهم . ولكـن مـاذا يستطيع المرء أن يفعل أكثـر مـن ذلـك ؟ إذا كـانوا يقتلـون الناس . . . " ، ثم هزّت رأسها ـــــ وتألمت قليلاً .

قالت : هل ألقيتم القبض عليه ؟ " .

" لا ، ليس بعد " .

" مـن المؤكـد أنـه كـان يحـوم حـول المكـان فـى ذلـك اليوم " .

" لقد كانت هناك أعداد غفيرة من الغرباء فى المكـان ، ياسيدة كلارك . فهذا هو موسم الإجازات " .

" نعـم ـــــ لقـد نـسيت . . . ولكـنهم ينزلـون إلى الشاطئ ، ولا يأتون قريبًا من المنزل " .

" ولم يـأت أى شـخص غريـب إلى المنـزل فـى ذلـك اليوم " .

سألت السيدة كلارك بقوة مفاجئة " من قال هذا ؟ " .

يبدو أن بوارو قد أصابه الذهول قليلاً .

قال : " الخدم ، والآنسة جراى " .

قالت السيدة كلارك بوضوح :

" هذه البنت كاذبة ! " .

قفزت من على مقعدى ونظر إلى بوارو . واصلت السيدة كلارك الحديث ، بحماسة أكثر الآن .

" أنا لا أحب هذه الفتاة . لم أحبها أبدًا . كان كار يقدرها جدًا . اعتاد كار أن يهتم بها لأنها يتيمة ووحيدة فى هذا العالم . ما العيب فى أن يكون الإنسان يتيمًا ؟ أحيانًا يكون اليتم نعمة لا يشعر بها الإنسان . فمن الممكن أن يكون لك أب لا نفع فيه وأم لا تمتع بالحنان ـــــ عندها سيكون لديك ما تشكو منه . كان يقول إنها جريئة جدًا ومجدة فى عملها . وأنا بكل جرأة أقول إنها كانت تقوم بعملها على أكمل وجه ! ولكن لا أعرف من أين جاءت بكل هذه الجرأة " .

هنا تدخلت المرضة كابستيك وقالت : " والآن يجب ألا تجهدى نفسك ، يا عزيزتى ، فنحن لا نريد أن يحل بك الإجهاد " .

" طلبت منها أن تحزم حقائبها على الفور! ووصلت الجرأة بـ " فرانكلين " لأن يقترح بأنها ربما تكون مصدر راحة لى . راحة لى ، يااللعجب ! كلما رحلت أسرع كان ذلك أفضل ـــــ هذا ما قلته ! فأنا لا أريده أن يختلط بها . فهو ساذج ! متهور ! وقلت : " سأعطيها مرتب ثلاثة أشهر ، ولكن لابد أن تخرج من هنا . فأنا لا أريدها فى المنزل ليوم آخر . إحدى مميزات أن تكون مريضًا ـــــ أن الرجال لا يتجادلون معك . فقام بتنفيذ ما قلت

وانصرفت . ولكنها رحلت كشهيدة ، حسب توقعى ـــــ مع مزيد من الجمال والجرأه ! " .

قالت المرضة : " والآن ، عزيزتى ، يجب ألا تضايقى نفسك . فهذا خطر عليك " .

أشاحت السيدة كلارك بيديها نحو المرضة كابستيك .

" لقد كنت ساذجة فيما يتعلق بها مثلك مثل أى شخص آخر " .

" آه ! سيدتى كلارك ، لا يجب أن تقولى ذلك . كنت أعتقد فعلاً أن الآنسة جراى فتاة لطيفة جدًا ـــــ وتبدو رومانسية ، مثل أبطال الروايات " .

قالت السيدة كلارك : " لقد نفد صبرى منكم جميعًا " .

" حسنًا ، عزيزتى ، فهى قد رحلت . رحلت بعيدًا " .

هزت السيدة كلارك رأسها بضعف وضجر ولكنها لم تجب .

قال بوارو :

" لماذا قلت إن الآنسة جراى كاذبة ؟ " .

" لأنها كذلك . فقد أخبرتك بأنه لم يأت غرباء إلى المنزل ، أليس كذلك ؟ " .

" هذا صحيح " .

" حسنًا جدًا . لقد رأيتها ـــ بعينى هاتين ـــ من هذه الشرفة ـــ وهي تتحدث إلى رجل غريب تمامًا أمام مدخل الباب " .

" متى كان ذلك ؟ " .

" فى صباح اليوم الذى مات فيه كار ـــ فى الساعة الحادية عشرة تقريبًا " .

" ماذا كان شكل هذا الرجل ؟ " .

" رجل عادى . ليس به شيء مميز " .

" هل كان رجلاً محترمًا ـــ أم تاجرًا ؟ " .

" لم يكن تاجرًا . نوع وضيع من الرجال . لا أستطيع أن أتذكر " .

عصفت هزة من الألم بوجهها .

قالت السيدة كلارك : " من فضلكم ـــ عليكم أن تنصرفوا الآن ـــ فأنا متعبة قليلاً ـــ أيتها المرضة " .

أطعنا الأمر وهممنا بالانصراف .

قلت لـ " بوارو " أثناء رحلة العودة إلى لندن : " هذه قصة غريبة ، عن الآنسة جراى وهذا الرجل الغريب " .

" ألم تر ، يا هاستنجز ؟ فكما أخبرتكم تمامًا : *بأن هناك دائمًا شيئاً لا بد من الوصول إليه* " .

" لماذا كذبت الفتاة فى ذلك وقالت إنها لم تر أحدًا ؟ " .

" يمكن أن أفكر فى سبعة أسباب مختلفة ـــ أحدها سبب بسيط للغاية " .

سألت : " هل هذا تهكم ؟ " .

" ربما يكون كذلك ، دعوة لاستخدام ذكائك . ولكن لسنا فى حاجة لأن نقلق أنفسنا . فأفضل إجابة لهذا السؤال هو توجيه السؤال لها " .

" افترض أنها أخبرتنا بكذبة أخرى " .

" سيكون ذلك ممتعًا فعلاً ـــــ وموحيًا جدًا " .

" من السخافة أن نظن أن هذه الفتاة قد دخلت فى حلف مع رجل مجنون " .

" تمامًا ـــــــ ولذلك فأنا لا أفترض ذلك " .

فكرت لبعض الدقائق .

ثم قلت فى النهاية بتنهيدة :

" فتاة جلب عليها جمالها الكثير من المشاكل " .

" مطلقاً . استبعد هذه الفكرة من ذهنك " .

قلت بإصرار : " هذا صحيح ، لأن الجميع ضدها لسبب بسيط وهو أنها جميلة " .

" أنت تتحدث بحماقة ، ياصديقى . فمن كان ضدها فى كومسايد ؟ السيد كارمايكل ؟ أم فرانكلين ؟ أم الممرضة كابستيك ؟ " .

" كانت السيدة كلارك تضمر لها العداء " .

" ياصديقى ، يمتلئ قلبك بمشاعر الخير تجاه الفتيات الجميلات . وأنا أتعاطف مع السيدات المريضات كبار السن . فمن الممكن أن تكون السيدة كلارك ثاقبة الفكر ـــ وأن زوجها ، والسيد فرانكلين كلارك والممرضة كابستيك

مصابون بالعمى مثل الخفافيش ـــ مثلك أيها النقيب هاستنجز " .

" أنت تضمر الكراهية لهذه الفتاة ، يا بوارو " .

لدهشتي لمعت عيناه فجأة .

" من الممكن أنني أرغب في إشباع خيالك الرومانسي ، يا هاستنجز . فأنت دائمًا الفارس المخلص ـــ والمستعد لإنقاذ الفتيات من الخطر ـــ الفتيات الجميلات " .

قلت وأنا لا أستطيع أن أمنع نفسي من الضحك .

" كم أنت مضحك ، يا بوارو " .

" هكذا ، لا يمكن أن يكون المرء حزينًا طوال الوقت " . فأنا أشغل نفسي أكثر وأكثر بالتطورات البشرية التي تنتج عن هذه المآسي . وبين أيدينا هناك ثلاث مسرحيات للحياة الأسرية . أولاً هناك أندوفر ـــ والحياة المأساوية للسيدة آشر ، وكفاحها ، ومساعدتها لزوجها الألماني ، واخلاص ابنة أختها لها . هذه بمفردها كفيلة بأن تكون موضوع قصة . وبعد ذلك لديك بيكسهيل ـــ الأب والأم السعيدان المتساهلان والفتاتان المختلفتان عن بعضهما تمامًا ـــ إحداهما حمقاء جميلة طائشة وميجان القوية الواثقة بذكائها الواضح وولعها الشديد بالحقيقة . والشخصية الأخرى ـــ هذا الشاب الاسكتلندي المتحفظ وغيرته وحبه الشديد للفتاة القتيلة . وأخيرًا لديك أفراد عائلة تشرستون ـــ زوجة تحتضر ،

وزوج منهمك فى مجموعته ، ولكن مع حنان وتعاطف تجاه الفتاة الجميلة التى تساعده بكل حماس ، ثم الأخ الأصغر القوى ، الجذاب ، الممتع ، وهذا السحر الذى يحيط به بسبب سفرياته الطويلة .

" وعليك أن تدرك ، ياهاستنجز ، أنه من خلال السير الطبيعى للأحداث *ما كانت هذه المسرحيات الثلاث المتباعدة لتلتقى أبدًا* . لأنها كانت ستواصل مسارها غير متأثرة ببعضها البعض . يا هاستنجز ـــ أنا لا أكف أبدًا عن الانبهار بتغير وتداخل مسارات الحياة " .

كانت إجابتى الوحيدة : " لقد وصلنا إلى باينتون " .

لقد شعرت بأن الوقت قد حان لإنهاء هذه المحادثة الخيالية .

عندما وصلنا إلى وايتهيفن مانشنز تم إبلاغنا بأنه يوجد شخص ينتظر مقابلة بوارو . توقعت أن يكون هذا الشخص هو فرانكلين ، أو من المحتمل جاب ، ولكن ما أدهشنى أن هذا الشخص لم يكن غير دونالد فريزر .

كان يبدو عليه الخجل الشديد وكان تردده ملحوظًا عن أى وقت مضى .

لم يلح بوارو عليه بأن يدخل إلى صلب الموضوع مباشرة ، ولكن اقترح عليه تناول بعض الشطائر وقدح من القهوة .

ولحين وصول هذه الأشياء تملك بـوارو زمـام الحـوار ، موضحًا المكان الذى ذهبنا إليه وتحدث بعطف وشفقة عـن المرأة المريضة .

ولم يعط بوارو الحوار صفة شخصية حتـى انتهينـا مـن تناول الشطائر واحتساء القهوة .

" أنـت قـادم مـن بيكـسهيل ، يـا سـيد فريـزر ألـيس كذلك ؟ " .

" نعم " .

" هل حققت أى نجاح مع ميلى هيجلى ؟ " .

كرر فريـزر الاسـم متعجبًـا : " ميلـى هيجلـى ؟ ميلـى هيجلى ؟ ، نعـم ، هـذه الفتـاة ! لا ، لم أفعـل أى شـىء هناك حتى الآن . إنه ـــــ " .

ثم توقف عـن الكـلام . وأخـذ يفـرك يـديها ببعـضهما بطريقة عصبية .

ثم انفجر قائلاً : " لا أعرف لماذا أتيت إليك " .

قال بوارو : " أنا أعرف " .

" لا يمكن . كيف علمت ذلك ؟ " .

لقد أتيـت إلىّ لأن لـديك شـيئاً تريـد أن تخـبر شخـصًا به . ولقد كنت على صواب تمامًا . فلقد اخترت الـشخص المناسب . تكلم ! " .

كان للثقة التى تكلم بها بوارو تأثير . حيث نظـر إليـه فريزر بطاعة غريبة تعبر عن الامتنان .

قال فريزر : " هل تعتقد ذلك ؟ " .

" لا أعتقد فقط ، بل إنى متيقن من ذلك " .

" هل تعلم شيئًا عن الأحلام ، يا سيد بوارو ؟ " .

كان ذلك آخر شيء أتوقع أن يتحدث عنه .

ولكن بوارو لم يبد مندهشًا على الإطلاق .

أجاب بوارو : " نعم أعلم ، لقد كنت تحلم ـــ ؟ " .

" نعم . أعتقد أنك ستقول إنه من الطبيعى أن ـــ أن أحلم بـ ـــ . ولكنه ليس حلمًا عاديًا ... " .

" حقًا ؟ " .

" لقد رأيت هذا الحلم ثلاث ليال متواصلة ، سيدى . أظن أننى على حافة الجنون ... " .

" أخبرنى ـــ " .

كان وجه الرجل غاضبًا . وعيناه تجحظان من رأسه . فى الواقع كان يبدو كالمجنون .

" نفس الشيء دائمًا . كنت على الشاطئ . أبحث عن بيتى . كانت تائهة ـــ تائهة فقط ، أتفهمنى . وكان على أن أجدها . وأن أعطيها حزامها . كنت أحمله فى يدى . وبعد ذلك ـــ " .

" ماذا ؟ " .

" تغير الحلم ... فلم أعد أبحث . حيث كانت هناك أمامى ـــ جالسة على الشاطئ . ولم تلحظ وصولى ـــ إنه ـــ أوه ، لا أستطيع ـــ " .

" أكمل " .

كان صوت بوارو آمرًا ـــ وصارمًا .

" جئت من خلفها ـــ لم تسمعنى . . . ووضعت الحزام حول رقبتها وجذبت ـــ أه ـــ وجذبت . . . " .

كان الألم الواضح فى صوته مخيفًا . . . فأمسكت بذراع الكرسى الذى أجلس عليه . . . حيث كان يبدو الأمر وكأنه حقيقة .

" كانت تختنق . . . ثم ماتت . . . لقد خنقتها ـــ ثم بعد ذلك سقط رأسها للوراء ورأيت وجهها . . . لقد كانت ميجان ـــ وليست بيتى ! " .

ثم اتكأ للخلف شاحب الوجه مرتعشًا . وصب بوارو كوبًا آخر من القهوة وناوله إياه .

" ما تفسير هذا الحلم ، يا سيد بوارو ؟ ولماذا يأتينى ؟ كل ليلة . . . ؟ " .

أمره بوارو : " اشرب القهوة " .

نفذ الشاب الأمر ثم سأل بصوت أهدأ :

" ما معنى ذلك ؟ أنا ـــ أنا لم أقتلها ، أليس كذلك ؟ " .

لا أعرف بما أجابه بوارو ، لأنه فى نفس هذه اللحظة سمعت دقات رجل البريد وغادرت الحجرة بشكل تلقائى .

قضى ما أخرجته من صندوق البريد على كل اهتمامى باعترافات دونالد فريزر غير العادية .

وأسرعت عائدًا إلى حجرة الجلوس .

ثم صحت قائلاً : " لقد وصلت يا بوارو . الرسالة الرابعة " .

قفز من مكانه ، ثم خطف الرسالة منى ، ثم التقط فتاحة الخطابات وفتحها . ثم فردها على المنضدة .

قرأناها نحن الثلاثة معًا .

حتى الآن لم تحقق أى نجاح ؟ يا للعار ! يا للعار ! ماذا تفعل أنت وماذا تفعل الشرطة ؟ أليس ذلك أمرًا مضحكًا ؟ وإلى أين سنذهب المرة القادمة حبيبى ؟

المسكين بوارو . لكم أشعر بالأسى عليك .

إذا لم تنجح فى البداية ، فعليك أن تحاول مرات ، ومرات ، ومرات .

فما زال أمامنا طريق طويل سنقطعه .

تيبرارى ؟ لا ــــ فهذه ستأتى بعد فترة . عندما نصل إلى حرف " تى " .

حادثنا البسيط القادم سيقع فى دونكاستر فى الحادى عشر من سبتمبر .

إلى اللقاء

" إيه . بى . سى "

الفصل ٢١

وصف القاتل

أعتقد أن ما كان يطلق عليه بوارو العنصر الإنسانى قد بدأ فى التلاشى من الصورة مرة أخرى فى هذا التوقيت . وكأن العقل لم يعد يتحمل هذا الرعب الخالص ، ومن ثم فقد كان هناك فاصل من الاهتمامات الإنسانية العادية .

فلقد كان يشعر الجميع باستحالة القيام بشىء حتى يصل الخطاب الرابع ليكشف لنا موقع الجريمة الخاصة بحرف " دى " . ولقد أدى جو الانتظار إلى تخفيف التوتر .

ولكن الآن ، وبعد أن أصبحت أمامنا هذه الحروف المطبوعة الساخرة على ورق أبيض مقوى ، فقد بدأ البحث مرة أخرى .

وصل المفتش كروم من سكوتلانديارد ، وأثناء تواجده هناك ، دخل كل من فرانكلين كلارك وميجان برنارد .

أوضحت الفتاة أنها ، هى أيضًا ، قد أتت من بيكسهيل .

" أود أن أطلب شيئاً من السيد فرانكلين " .

يبدو أنها كانت حريصة جدًا على تبرير وتوضيح ذلك . لاحظت هذه الحقيقة دون أن أعطيها قدرًا كبيرًا من الأهمية .

فقد شغل موضوع الخطاب ذهني عن التفكير في أي شيء آخر .

ولم يكن كروم ، حسب تصوري ، سعيدًا بهؤلاء المشاركين في هذه المسرحية . فأصبح يتعامل بشكل رسمي محايد .

" سآخذ هذا الخطاب معي ، يا سيد بوارو . إذا أردت أن تأخذ نسخة منه ـــــ " .

" لا ، لا ، ليس هناك ضرورة لذلك" .

سأل كلارك : " ما خططك أيها المفتش ؟ " .

" خطط شاملة جدًا ، يا سيد كلارك " .

قال كلارك : " هذه المرة علينا أن نضع أيدينا عليه ، وأريد أن أخبرك بأننا قد كونا فرقة خاصة بنا للتعامل مع الأمر ، حلفًا للأطراف المهتمة بالموضوع " .

قال كروم بطريقته المعهودة :

" أحقًا ؟ " .

" أعتقد أنك لا تهتم كثيرًا بالهواة ، أيها المفتش " .

" لأنه لا تتوفر أمامكم نفس الإمكانات ، أليس كذلك يا سيد كلارك ؟ " .

" إن لدينا مبررًا شخصيًا للقيام بشيء ـــــ وهذا شيء مهم " .

" أحقًا ؟ " .

" أتصور أن مهمتك لن تكن سهلة جدًا ، أيها المفتش . في الحقيقة ، أتصور أن " إيه . بى . سى " . قد تفوق عليك مرة أخري " .

لاحظت أن كروم من الممكن استدراجه أحيانًا للدخول فى الحوار عندما تعجز السبل الأخرى عن ذلك .

قال كروم : " أتصور أنه لن يكون أمام الجماهير شيء ينتقدوننا عليه هذه المرة ، ولقد أعطانا هذا الأحمق تحذيرًا كافيًا . فيوم الحادى عشر هو الأربعاء من الأسبوع القادم . وهذا يعطينا سعة من الوقت للقيام بحملة من الدعاية فى الصحافة . وستكون دونكاستر قد أخذت حذرها تمامًا . وكل شخص يبدأ اسمه بحرف" دى " سيكون فى منتهى الحيطة والحذر ـــــ وهذا شيء رائع للغاية . وكذلك سيتم إرسال قوات الشرطة إلى المدينة على نطاق واسع . فقد تم تنسيق هذا بموافقة كل رؤساء شرطة إنجلترا . ومن ثم ستخرج كل دونكاستر ، شرطة ومواطنين ، للقبض على رجل واحد ـــــ وبقليل من التوفيق ، سنقبض عليه ! " .

قال كلارك بهدوء :

" من السهل ملاحظة أنك لا تهتم بالرياضة ، أيها المفتش" .

دقق كروم النظر فيه .

قال : " ماذا تقصد بذلك ، يا سيد كلارك ؟ " .

" ألا تعرف أن *الأربعاء القادم هو موعد إقامة سباق سانت ليجر فى دونكاستر؟* " .

أسقط فى يد المفتش . ولم يستطع حتى لو أن ينطق عبارته المعتادة " أحقًا ذلك ؟ " ، وبدلاً من ذلك قال :

" هذا صحيح . نعم ، هذا سيزيد الأمر صعوبة ... " .

إن " إيه . بى . سى " هذا ليس مغفلاً ، حتى لو كان مجنونًا " .

صمت الجميع لمدة دقيقة أو دقيقتين لاستيعاب الموقف . الجماهير الموجودة على مضمار السباق ، والجمهور الإنجليزى المحب للرياضة ـــ والتعقيدات التى لا تنتهى .

قال بوارو بصوت منخفض :

" هذه عبقرية . كل هؤلاء الناس هناك ، تخيلوا هذا " .

قال كلارك : " فى اعتقادى ، أن القتل سيحدث على مضمار السباق ـــ من المحتمل أثناء تقدم سباق ليجر " .

فى هذه اللحظة استمتعت غرائزه الرياضية وقتيًا بهذه الفكرة . . .

نهض المفتش كروم ، وأخذ معه الخطاب . وقال : " سباق سانت ليجر هو أحد التعقيدات ، وهذا من سوء حظنا " .

ثم هم بالخروج . وسمعنا جلبة فى الردهة . وبعد ذلك بدقيقة دخلت ثورا جراى . وقالت بتلهف :

" أخبرنى المفتش بوصول خطاب آخر . أين ستحدث هذه المرة ؟ " .

كان الجو يمطر بالخارج . وكانت ثورا ترتدى معطفًا أسود وجونلة معطف من الفراء . وكان على جانب رأسها ذات الشعر الذهبى قبعة سوداء صغيرة .

كانت توجه كلامها إلى فرانكلين كلارك وذهبت نحوه ، ثم وضعت يدها على ذراعه ، وانتظرت منه الجواب .

أجابها قائلاً : " دونكاستر ــــ فى يوم سباق سانت ليجر " .

جلسنا للتشاور . غنى عن القول أننا عزمنا على الحضور ، ولكن لقاء السباق قد أربك كل الخطط التى وضعناها بكل عناية من قبل .

وتملكنى الشعور بالإحباط . فماذا يمكن أن تفعل فرقة صغيرة مؤلفة من ستة أشخاص ، مهما كانت قوة اهتمامهم الشخصى بالموضوع ؟ حيث ستكون هناك أعداد لا حصر لها من قوات الشرطة ، عيونهم مفتوحة وفى منتهى اليقظة ، يراقبون كل الأماكن المحتملة . فما الذى سيضيفه ست أزواج من العيون ؟

مع ذلك ، وكأنه كان يرد على ما يدور فى ذهنى ، رفع بوارو صوته . كان يتكلم وكأنه مُعَلِم أو رجل دين .

قال : " أبنائى ، لا يجب أن تفرق قوتنا . ولابد علينا أن نواجه هذا الموقف بخطة وترتيب فى أفكارنا . ولابد

أن نبحث عن الحقيقة بيننا وليس فى الخارج . ويجب أن نقول لأنفسنا ـــ كل واحد منا ـــ ماذا *أعرف* عن هذا القاتل ؟ وبهذا يمكن أن نكون صورة مركبة عن الرجل الذى نحن بصدد البحث عنه " .

تنهدت ثورا بصورة تدل على قلة الحيلة قائلة :

" نحن لا نعرف عنه شيئاً " .

" كلا ، كلا ، يا آنستى . هذا ليس صحيحًا . كل واحد منا يعرف عنه شيئاً ـ *إذا تمكنا فقط من اكتشاف هذا الشيء الذى نعرفه عنه ، وإنى على يقين بأن المعرفة موجودة* ، استطعنا الوصول إليه " .

هز كلارك رأسه وقال :

" نحن لا نعرف أى شىء عنه ـــ هل هو كبير أم صغير ، أشقر أم أسمر! فلم يسبق لأى منا رؤيته أو الحديث إليه ! ولقد ناقشنا كل الأشياء التى نعرفها مرات ومرات " .

" ليس كل ما تعرفون! على سبيل المثال الآنسة جراى قد أخبرتنا هنا بأنها لم تر أو تتحدث إلى أى غريب فى اليوم الذى قتل فيه السيد كارمايكل كلارك " .

أومأت ثورا برأسها .

" هذا صحيح تمامًا " .

" صحيح هذا ؟ لقد أخبرتنا السيدة كلارك ، يا آنسة ، بأنها رأتك من نافذة حجرتها واقفة أمام المدخل تتحدثين إلى رجل ما " .

بدت دهشة حقيقية على وجه الفتاة . بكل تأكيد لم تكن لتوصف هذه النظرة الصافية إلا بكونها حقيقية :
" أرأتنى السيدة كلارك أتحدث إلى رجل غريب ؟ " .

هزت رأسها .

" من الممكن أن تكون السيدة كلارك مخطئة . أنا لم — أوه ! " .

جاء هذا التعجب فجأة ـــ واندفع منها . وتوردت وجنتاها .

قالت : " تذكرت الآن ! يا لغبائى ! لقد نسيت ذلك تمامًا . ولكنه لم يكن أمرًا مهمًا . فلم يكن سوى البائعين الذين يتجولون لبيع الجوارب ، أحد الناس المتقاعدين من الجيش . إنه فى غاية الإلحاح . وكان على أن أتخلص منه . كنت على وشك عبور الردهة عندما أتى إلى الباب . ثم تحدث إلىّ بدلاً من أن يرن جرس الباب ولكن كان يبدو أنه رجل غير مؤذٍ تمامًا . وهذا ما جعلنى على ما أعتقد أنسى كل شىء عنه .

أخذ بوارو يتأرجح للأمام وللخلف ، ويداه معقودتان فوق رأسه . وكان يتمتم لنفسه بقوة شديدة لدرجة أنه لم يتكلم أحد ، ولكن دقق الجميع النظر فيه " .

كان يتمتم قائلاً : " جوارب . . . جوارب . . . جوارب . . . جوارب . . . إنه القاسم المشترك ـــ نعم . . . منذ ثلاثة أشهر . . . ومنذ عدة أيام . . . والآن . يا إلهى ، لقد وجدتها ! " .

انتصب فى جلسته ثم رمقنى بنظرة سريعة :

" ألا تتذكر ، يا هاستنجز ؟ أندوفر . والمتجر . عندما صعدنا إلى الطابق العلوى . فى حجرة النوم . على أحد الكراسى . كان هناك *زوج جديد من الجوارب الجديدة المصنوعة من الحرير* . والآن أدركت ما الذى أثار انتباهى منذ يومين . إنه أنت ، يا آنسة ــــ " ، ثم التفت إلى ميجان . " كنت قد ذكرت أمك التى بكت لأنها اشترت لأختك زوجًا جديدًا من الجوارب الجديدة فى اليوم الذى قتلت فيه . . . " .

ثم التفت إلينا جميعًا .

" ألا ترون ؟ إنه *نفس الموقف تكرر* ثلاث مرات . لا يمكن أن يكون ذلك من قبيل المصادفة . عندما تحدثت الآنسة كان عندى إحساس بأن ما قالته له علاقة بشىء ما . والآن علمت ما الذى يرتبط به . كلمات جارة السيدة آشر ، السيدة فولر . عن أولئك الذى يحاولون دائمًا بيع الأشياء لها ــــ وقد ذكرت الجوارب . أخبرينى ، يا آنسة ، أليس صحيحًا بأن أمك لم تشترى هذه الجوارب من متجر بل من أحد البائعين الذى جاء إلى المنزل ؟ " .

" نعم ــــ نعم ــــ قد فعلت هذا . . . تذكرت الآن . ولقد قالت شيئاً عن شعورها بالأسى على هؤلاء الناس التعساء الذين يطوفون ويحاولون تجميع طلبات شراء " .

صاح فرانكلين : " ولكن ما العلاقة ؟ فمجيء رجل يبيع الجوارب لا يثبت شيئاً " .

" سأخبرك ، يا صديقي ، لا يمكن أن يكون ذلك من قبيل الصدفة . فهناك ثلاث جرائم ــــ وفي كل مرة كان هناك رجل يبيع الجوارب ويتجسس على المكان " .

دار حول ثورا .

قال : " تحدثي ! صفي هذا الرجل " .

نظرت إليه الفتاة مشدوهة .

" لا أستطيع . . . لا أعرف كيف . . . أعتقد أنه ، كان يرتدي نظارة . . . ومعطفاً قديمًا . . . " .

" أفضل من ذلك ، يا آنسة " .

" كان ظهره منحنيًا . . . لا أعرف . فلم أنظر إليه تقريبًا . فلم يكن من نوع الرجال الذي يمكن أن تلحظه . . . " .

قال بوارو باهتمام :

" أنت على صواب ، يا آنسة . فإن سر عمليات القتل الثلاث يكمن في وصفك للقاتل ــــ لأنه دون أدنى شك كان ذلك هو القاتل ! *فلم يكن من نوع الرجال الذى تلحظه* ، نعم ــــ ليس هناك شك في ذلك . . . لقد وصفت القاتل ! " .

الفصل ٢٢

غير مقتبس من قصة النقيب هاستنجز الشخصية

جلس السيد ألكساندر بونابرت كاست بلا حراك . وبرد افطاره فى الطبق دون أن تمتد يده إليه . وكانت هناك جريدة تستند إلى إبريق الشاى ، حيث كانت هى التى يقرأها السيد كاست باهتمام بالغ .

فجأة نهض من مجلسه ، وأخذ يذرع الغرفة جيئة وذهابًا لمدة دقيقة ، ثم ارتمى على كرسى بجانب النافذة . ثم دفن رأسه بين يديه وأصدر أنينًا مكتومًا .

لم يسمع صوت الباب الذى فتح . كانت السيدة ماربرى ، صاحبة العقار ، واقفة فى مدخل الباب .

" كنت أتساءل إذا كنت ترغب فى ـ ماذا حدث ؟ هل أنت بخير ؟ " .

رفع السيد كاست رأسه من بين يديه .

" لا شىء . لا شىء على الإطلاق ، يا سيدة ماربرى . فأنا ـــــــ لا أشعر بأننى على ما يرام هذا الصباح " .

نظرت السيدة ماربرى إلى صينية الطعام .

" هكذا فهمت . فأنت لم تلمس طعام فطورك . هل يؤلمك رأسك ثانية ؟ " .

" لا . على الأقل ، نعم . . . فأنا ـــــ أنا لست في حالتى الطبيعية فقط " .

" يؤسفني ذلك . من المؤكد أنك لن تخرج اليوم في هذه الحالة " .

قفز السيد كاست من مكانه فجأة .

كلا ، كلا . يجب على أن أذهب . إنه عمل مهم . في غاية الأهمية " .

كانت يداه ترتعشان . وعندما لا حظت السيدة ماربرى اضطرابه ، حاولت تهدئته .

قالت : " حسنًا ، إذا كان يلزم عليك الذهاب ـــــ فلتذهب . هل ستذهب بعيدًا هذه المرة ؟ "

" لا . فأنا ذاهب إلي " ثم تردد لدقيقة أو دقيقتين ـــ " تشيلتنام " .

كان هناك شيء غريب فى الطريقة المترددة التى نطق بها الكلمة لدرجة أن السيدة ماربرى نظرت إليه باستغراب .

قالت بطريقة ودية : " إن تشيلتنام مكان لطيف ، لقد ذهبت إلى هناك من بريستول منذ عام . والمتاجر هناك رائعة للغاية " .

انحنت السيدة ماربرى بصعوبة ـــــ فالانحناء لا يناسب قوامها ـــــ وذلك لكى تلتقط الجريدة التى كانت ملقاة مجعدة على الأرض .

قالت وهى تنظر إلى العناوين قبل أن تضع الصحيفة مرة أخرى على المنضدة : " لا شىء غير هذا العمل الإجرامى فى صحف هذه الأيام ، وهذا يصيبنى بالذعر ، فعلاً . ولذلك لا أقرأها . فهذا يعيد إلى الأذهان سيرة جاك السفاح مرة أخري " .

تحركت شفتا السيد كاست ولكن لم يصدر صوت منهما .

قالت السيدة ماربري : " دونكاستر هى المكان الذى سينفذ فيه جريمته القادمة ، وغدًا ! أمر يجعل جسمك ينتفض خوفًا ، أليس كذلك ؟ لو كنت أعيش فى دونكاستر ويبدأ إسمى بحرف " دى " ، لكنت قد رحلت منها فى أول قطار ، وهذا ما كنت سأفعله . فما كنت لأجازف بحياتى . ماذا قلت يا سيد كاست ؟ "

" لا شىء ، يا سيدة ماربرى ـــــ لا شىء " .

" إنها السباقات وكل شىء . لا شك أنه يظن أنه سينتهز فرصته هناك . فهم يقولون إن مئات من رجال الشرطة سوف يتدفقون إلى هناك و ــــ إنك ، تبدو يا سيد كاست فى حالة سيئة فعلاً . أليس من الأفضل أن تتناول قدرًا يسيرًا من أى شىء ؟ ولا ينبغى عليك ، بالفعل ، أن تسافر اليوم " .

نهض السيد كاست .

" إنه أمر ضرورى ، يا سيدة ماربرى . فلقد تعودت دائمًا على الانضباط فى كل ـــ شئونى . لابد أن ـــــ

لابد أن أكون محل ثقة الآخرين ! عندما أتعهد بعمل شيء ، فإني أنفذه بكل دقة . فهذه هي الوسيلة الوحيدة لإحراز تقدم في ـــــ في ـــــ العمل " .

" ولكن إذا كنت مريضًا ؟ "

" أنا لست مريضًا ، يا سيدة ماربري . كل ما هنالك أني قلق بشأن ـــــ بعض الأمور الشخصية . ولم أنم جيدًا . إني على ما يرام بالفعل " .

كان أسلوبه في منتهى الحزم لدرجة أن السيدة ماربري رفعت صينية الطعام وغادرت الحجرة على مضض .

سحب السيد كاست حقيبة ملابس من تحت السرير وبدأ يحزم أمتعته : البيجامات ، وحقيبة حمام ، وياقة احتياطية ، وخف جلدي . وبعد ذلك قام بفتح أحد الدواليب ، ونقل دستة أو ما يقاربها من صناديق الكرتون العريضة بحجم عشر بوصات في سبع من أحد الأرفف إلى الحقيبة .

دقق النظر فقط في دليل القطارات الموجود على المنضدة ، ثم غادر الحجرة . والحقيبة في يده .

قام بوضع الحقيبة في الردهة ، وارتدى قبعته ومعطفه . أثناء قيامه بذلك تنهد بعمق ، بعمق شديد لدرجة أن الفتاة التي خرجت من حجرة على الجانب نظرت إليه باهتمام .

" هل هناك شيء ، يا سيد كاست ؟ " .

" لا شيء ، يا آنسة ليلي" .

" لقد كنت تتنهد بشدة ! " .

قال السيد كاست فجأة :

" هل أنت عرضة للهواجس ، يا آنسة ليلى أو للأفكار التشاؤمية ؟ " .

" لا أعرف ذلك ، بالفعل ... بالطبع تكون هناك أيام تشعر فيها بأن كل شيء لا يسير على ما يرام وهناك أيام تنصلح فيها الأمور " .

قال السيد كاست : " هذا صحيح " .

ثم تنهد مرة أخرى .

" حسنًا ، إلى اللقاء يا آنسة ليلى . وداعًا . ولقد كنت عطوفة على للغاية هنا " .

ضحكت الآنسة ليلى قائلة : " لا تقل وداعًا وكأنك لن تعود مرة أخرى " .

" لا ، لا ، بالطبع لا " .

ضحكت الفتاة وقالت : " أراك يوم الجمعة ، أين ستذهب هذه المرة ؟ للشاطئ مرة أخرى ؟ " .

" كلا ، كلا ـــــ إلى ـــــ تشيلتنام " .

" إنها مكان لطيف ، أيضًا . ولكنها ليست بجمال توركواى . من المؤكد أنها كانت فى غاية الجمال . أود أن أقضى فيها إجازتى العام القادم . على فكرة ، من المؤكد أنك كنت على مقربة من المكان الذى كانت فيه حادثة

القتل ـــــ حادثة إيه . بى . سى . فلقد وقعت عملية القتل أثناء تواجدك هناك ، أليس كذلك ؟ " .

" ن ـــــ نعم . ولكن تشيلتنام على بعد ستة أو سبعة أميال من هناك " .

" مع ذلك ، فمن المؤكد أنه كان أمرًا مثيرًا ! وربما تكون قد مررت على القاتل فى الشارع ! وربما كنت قريبًا منه جدًا ! " .

قال السيد كاست بابتسامة شاحبة لدرجة أن ليلى ماربرى لاحظت ذلك .

" نعم ، ربما ، بالطبع " .

" سيد كاست ، أنت لا تبدو على مايرام " .

" إنى على مايرام ، على مايرام تمامًا . وداعًا يا آنسة ماربري" .

أصابه الارتباك وهو يرفع قبعته ، وأمسك بالحقيبة ، وأسرع خارجًا من الباب الأمامى .

قالت ليلى ماربرى ببساطة :" يا لهذا العجوز ، يبدو لى أنه نصف معتوه " .

قال المفتش كروم لمساعده:

" قم بعمل قائمة بكل الشركات التى تصنع الجوارب وتروجها . وأريد قائمة بأسماء كل الوكلاء ـــ كما تعلم ، الأشخاص الذين يبيعون بالعمولة والذين يطوفون للبيع " .

" هل هذه قضية " إيه . بى . سى " يا سيدى ؟ " .

" نعم . إحدى أفكار السيد هيركيول بـوارو " . كانـت هناك نبرة من الازدراء في صوت المفتش " . من المحتمـل ألا يكـون هنـاك شـيء فـي ذلـك ، ولكننـا لـن نهمـل أي فرصة ، مهما كانت ضعيفة " .

" حقًا ، سيدي . فلقد حقق بوارو في أيامـه الكـثير ، ولكني أعتقد أن الجنون قد لعب برأسه قليلاً الآن " .

قـال المفـتش كـروم : " إنـه دجـال ، يتظـاهر دائمًـا . ويخـدع بعـض النـاس . لا يخـدعني أنـا بالفعـل . والآن بالنسبة للترتيبات في دونكاستر ... " .

قال توم هارتيجان لـ " ليلي ماربري " :

" رأيت ضابطك المتقاعد هذا الصباح " .

" من ؟ السيد كاست ؟ " .

" رأيت كاست . فـي يوسـتون . كـان يبـدو كدجاجـة تائهة كالعادة . أعتقد أن هذا الشخص شبه معتـوه . وفـي حاجة لشخص يهتم به . في البداية سقطت الجريـدة مـن يده وبعد ذلك سقطت منه التذكرة . قمت بالتقـاط تذكرتـه ـــــ ولم يكن لديه أدنى فكرة أنه فقدها . شكرني بطريقة مرتبكة ، وأعتقد أنه لم يعرفني " .

قالت ليلي : " لقد رآك فقط وأنت تمـر فـي الردهـة ، ولم يكن ذلك كثيرًا " .

أخذا يتراقصان في باحة الرقص .

قال توم : " ترقصين بطريقة جميلة " .

قالت ليلى وهى تقترب منه أكثر : " أكمل " .

واصلا الرقص ثانية .

ثم سألت ليلى فجأه : " هل قلت يوستون أم باينتون ؟ أقصد أين رأيت كاست العجوز ؟ " .

" فى يوستون " .

" هل أنت متأكد ؟ " .

" بالطبع إني متأكد . ماذا تعتقدين ؟ " .

" شيء مضحك . ظننت بأنك ذهبت إلى تشيلتنام عن طريق باينتون " .

" ولذا تسألين . ولكن كاست العجوز لم يكن متجهًا إلى تشيلتنام . لقد كان قاصدًا دونكاستر " .

" تشيلتنام " .

" دونكاستر . أنا أعرف ذلك ، يا حبيبتي ! فأنا قد التقطت تذكرته من على الأرض ، أليس كذلك ؟ " .

" ولكنه أخبرنى بأنه ذاهب إلى تشيلتنام . أنا متأكدة من ذلك " .

" لقد فهمت خطأً . فهو كان ذاهبًا إلى دونكاستر . بعض الناس محظوظون تمامًا . وكنت أتمنى أن أحصل على تذكرة لحضور سباق ليجر " .

" لا أعتقد أن السيد كاست قد ذهب إلى حضور السباق ، فلا يبدو من هذا النوع . آه ، يا توم ، أتمنى ألا يُقتلَ . ففى دونكاستر ستكون جريمة القتل " .

" سيكون كاست بخير . فاسمه لا يبدأ بحرف " دى " .

" كان من الممكن أن يقتل المرة السابقة . فقد كان بالقرب من تشرستون فى توركواى عندما وقعت حادثة القتل الأخيرة " .

" أكان هناك ؟ هذه مصادفة ، أليس كذلك ؟ " .

ضحك توم .

لم يكن فى بيكسهيل المرة السابقة ، أليس كذلك ؟ " .

عقدت ليلى حاجبيها .

" كان غير موجود . . . نعم ، تذكرت أنه كان غير موجود . . . لأنه نسى ثوب السباحة . حيث كانت أمى تصلحه له . وقالت : " ها قد ذهب السيد كاست بالأمس دون ثوب السباحة بعد كل هذا " ، فقلت لها : " لا يهم ثوب السباحة القديم ـــ فلقد كانت هناك تلك الجريمة المروعة . أضفت : " ماتت فتاة شنقًا فى بيكسهيل " .

" إذا كان قد أراد ثوب السباحة ، فمن المؤكد انه كان ذاهبًا إلى الشاطئ " . ـــ تجعد وجهه من الضحك " . كم تدفعين إذا ثبت أن هذا المعتوه العجوز هو القاتل بعينه ؟ " .

ضحكت ليلى وقالت : " السيد كاست المسكين ؟ إنه لا يستطيع أن يؤذى ذبابة " .

واصلا الرقص بسعادة ـــ ولم يكن فى ذهنيهما أى شىء سوى متعة الأنس ببعضهما البعض . وكان شىء يعتمل فى عقليهما الباطنين .

الفصل ٢٣

١١ سبتمبر . دونكاستر

دونكاستر !

أعتقد ، أنى سأظل أذكر يوم ١١ سبتمبر ما حييت .

بالفعل ، كلما أرى أى إشارة عن سانت ليجر يذهب تفكيرى بصورة تلقائية لا لسباق الخيول ولكن لعملية القتل .

وعندما أسترجع مشاعرى ، يكون الشيء الأكثر وضوحًا هو شعورًا مقززًا بالنقص . كنا هنا ــــ فى المكان ــــ بوارو ــــ وأنا ــــ وكلارك ، وفريزر ، وميجان برنارد ، وثورا جراى ، ومارى درور ، وفى النهاية *ما الذى استطاع أى منا القيام به* ؟

كنا نعول على أمل بائس ــــ وعلى فرصة أن نرى وجهًا أو شكلاً ـ من بين آلاف الناس ـ تم رؤيته فى مناسبة منذ شهر أو شهرين أو ثلاثة أشهر ماضية .

كانت الاحتمالات فى الحقيقة أكبر من ذلك . والشخص الوحيد فينا الذى من الممكن أن يقوم بهذا التعرف هو ثورا جراى .

ضاع بعض هدوئها تحت ضغط هذا التوتر . فسلوكها الهادئ الرزين قد تلاشى . وجلست تفرك يديها ، وهى على وشك البكاء تقريبًا ، وتتحدث إلى بوارو بارتباك .

" لم أنظر إليه بالفعل . . . لِمَ لم أفعل ؟ لكم كنت غبية . كلكم تعتمدون علي . . . وأنا سوف أخذلكم . لأننى حتى لو رأيته مرة ثانية ، من الممكن ألا أعرفه . فأنا لا أذكر وجوه الناس جيدًا " .

وعلى الرغم مما كان يقوله لى بوارو ، وبالرغم من قسوته في نقد الفتاة ، إلا أنه لم يظهر شيئاً فى هذه اللحظة إلا العطف . فقد كان سلوكه حنونًا إلى حد بعيد . وأدهشنى أن بوارو يتعاطف مع الجميلات فى المحن أكثر منى .

ربت كتفها بعطف .

" الآن ، يا صغيرتى ، لا داعى لهذه الحالة الهيستيرية . لن نصل إليه هكذا . إذا حدث ورأيت هذا الرجل ، فستعرفينه " .

" كيف تعرف هذا ؟ " .

" لأسباب عديدة ـــ منها ، لأن الأحمر يخلف الأسود " .

صحت قائلاً : " ماذا تعنى يا بوارو ؟ " .

" أنا أتحدث بلغة القمار . ففى الروليت يكون هناك طلب على اللون الأسود ـــ ولكن فى النهاية *لابد أن يظهر الأحمر* . إنها القوانين الحسابية للحظ " .

" أتعنى بأن الحظ يتغير ؟ " .

" تمامًا ، يا هاستنجز . وعندها يفتقر المقامر (أو القاتل ، ولكنه أفضل من المقامر لأنه لا يخاطر بماله ولكنه يخاطر بحياته) إلى التوقع الذكى . وبسبب فوزه يظن أنه سيستمر فى الفوز ! فهو لا يتوقف عن المقامرة فى توقيت جيد وجيوبه ممتلئة . ولذلك ففى الجريمة لا يستطيع المجرم الناجح أن يتخيل إمكانية عدم النجاح! فهو يعطى لنفسه كل الثقة للقيام بأداء ناجح ـــ ولكن أود أن أخبركم ، أصدقائى ، مهما كان إحكام التخطيط ، لن يكتب لأى جريمة النجاح دون الحظ ! " .

اعترض فرانكلين كلارك : " ألم ينجح هذا إلى حد كبير ؟ " .

لوح بوارو بيديه بإثارة .

" لا ، لا . إنها فرصة متساوية ، ولكن **لابد** أن تكون فى صالحك . فكر فى ذلك ، كان من الممكن أن يدخل شخص متجر السيدة آشر فى نفس لحظة خروج القاتل . وكان من الممكن أن يفكر هذا الشخص فى النظر وراء طاولة البيع ، ويرى جثة المرأة القتيلة ـــ وكان إما أن يضع يديه على القاتل مباشرة أو يكون لديه القدرة على إعطاء الشرطة وصفًا دقيقًا للقاتل والذى كان سيُقبَض عليه على الفور " .

أقر كلارك بذلك " نعم ، بكل تأكيد ، كان ذلك ممكنًا " .

" ما أريد الوصول إليه هو أن القاتل لابد من أن ينتهز الفرصة " .

" تمامًا . فالقاتل مثل المقامر . ومثل بقية كثير من المقامرين ، لا يعرف متى يتوقف عن القتل . فمع كل جريمة يرتكبها يزداد ثقة فى نفسه . ويعجز عن تقييم الأمور . فهو لا يقول " لقد كنت ذكيًا ومحظوظًا ! وتتعاظم ثقته فى ذكائه . . . وعندها ، أصدقائى ، تدور الكرة ، وينتهى الطلب على اللون ـــــ ويخسر كل ما يملكه .

سألت ميجان وهى تقطب حاجبيها فى عبوس " هل تعتقد أن ذلك سيحدث فى حالتنا هذه ؟ " .

" لابد أن يحدث هذا عاجلاً أم آجلاً ! فحتى الآن *الحظ يحالف المجرم* ـــــ وعاجلاً أم آجلاً لابد أن يتغير الحظ ليكون حليفنا . أعتقد أنه *تحول* بالفعل ! فدلالة الجوارب هو البداية . فالآن ، على الرغم من أن كل شىء يسير *كما يريد* ، *فسيعانده* كل شىء ! وسيبدأ ، أيضًا ، فى ارتكاب أخطاء ... " .

قال فرانكلين : " أود القول إنك تبث فينا الأمل ، فكلنا فى مسيس الحاجة إلى قليل من الراحة . حيث يتملكنى شعور كبير بالعجز منذ أن استيقظت هذا الصباح " .

قال دونالد فريزر : " يبدو لى أنه من الصعب للغاية أن نحقق شيئاً له قيمة ملموسة " .

تكلمت ميجان فجأة وبحدة : " لا تكن انهزاميًا ، يا دونالد " .

قالت مارى درور وقد أحمر وجهها قليلاً : " رأيى أنكم لا تعرفون ما قد يحدث . فهذا الشيطان موجود فى هذا المكان ، مثلنا تمامًا ـــــ ومن يعلم ، فقد نصادفه فى أى وقت ، فأنت قد تقابل الناس مصادفة بأغرب الطرق ! " .

قلت بغضب : " أتمنى لو كنا نستطيع فعل المزيد " .

" لا بد أن تعرف ، يا هاستنجز ، أن الشرطة تقوم بكل ما يمكن القيام به . فلقد تم إشراك رجال شرطة مميزين . ربما يكون أسلوب المفتش كروم مثيرًا للضيق ، ولكنه رجل شرطة قدير ، وكذلك العميد أندرسون ، رئيس الشرطة ، فهو رجل يعتمد عليه . ولقد قاموا بعمل كل التدابير الممكنة لحراسة ومراقبة المدينة ومضمار السباق . وسيكون هناك رجال شرطة فى ملابس عادية فى كل مكان . وهناك أيضًا الحملة الإعلامية . فلقد تم تحذير الجماهير جيدًا " .

هزّ دونالد فريزر رأسه . وقال بطريقة متفائلة : " أعتقد ، أنه لن يقدم على شىء ، وإلا يكون مجنونًا ! " .

قال كلارك بجفاء : " لسوء الحظ ، أنه مجنون! ما رأيك يا سيد بوارو ؟ هل سيتخلى عن هذا العمل أم سيقدم عليه ؟ " .

" فى رأيى أن قوة جنونه قد وصلت لدرجة تجبره على تنفيذ وعده ! فعدم القيام بذلك سيكون بمثابة اعتراف بالفشل ، ولن يسمح له تكبره المجنون بذلك . وهذا هو رأى الطبيب تومسون أيضًا . وأملنا أن يتم القبض عليه أثناء المحاولة " .

هزّ دونالد رأسه للمرة الثانية : " سوف يكون ماكرًا جدًا " .

نظر بوارو فى ساعته . فهمنا الإشارة . حيث اتفقنا على القيام بدورية حراسة طوال النهار ، لحراسة أكبر عدد ممكن من الشوارع فى الصباح ، ثم بعد ذلك نأخذ مواضعنا فى نقاط مختلفة على مضمار السباق .

أقول" نحن" بالطبع ، لأننى لو أصبحت بمفردى ستكون هذه المراقبة عديمة النفع تقريبًا ، حيث من الممكن أن تنعدم فرصة وقوع عينى على المجرم . مع ذلك ، وحيث إن فكرتنا كانت التفرق لتغطية أكبر مساحة ممكنة ، فقد اقترحت أن أقوم بمرافقة إحدى السيدات .

وافق بوارو ـــــ بعد أن غمز لى بعينه .

ذهبت الفتيات لإحضار قبعاتهن . وكان دونالد فريزر واقفًا بجانب النافذه يراقب ، ومن الواضح أنه كان غارقًا فى التفكير .

دقق فرانكلين كلارك نظره فيه ، ثم فهم أنه شارد الذهن لدرجة لا تجعله يسمع ما يقال ، ثم خفض صوته مخاطبًا بوارو .

" سيد بوارو . أعلم أنك قد ذهبت إلى تشرستون ، وقابلت زوجة أخى . فهل قالت ـــ أو ألمحت ـــ أقصد ـــ هل أوحت لك ـــ ؟ " .

ثم سكت من الخجل .

أجاب بوارو بوجه علته البراءة مما أثار شكوكى .

" ماذا ؟ ماذا ـــ قالت أو ألمحت أو أوحت زوجة أخيك به ؟ " .

احمر وجه فرانكلين .

" من المحتمل أنك تعتقد أن هذا ليس بالتوقيت المناسب للحديث عن أشياء شخصية ـــ " .

" *إطلاقًا* ! " .

" ولكنى أريد أن أدخل فى الموضوع مباشرة " .

" رائع " .

هذه المرة أعتقد أن كلارك بدأ يشك فى وجه بوارو الخالى من التعبير الذى يخفى وراءه الإثارة الداخلية .

" إن زوجة أخى سيدة لطيفة للغاية ـــ ولقد كنت معجبًا بها على الدوام ـــ ولكن نظرًا لإصابتها بمثل هذا المرض ـــ وتعاطيها العقاقير المخدرة وخلافه ـــ يميل الإنسان إلى توهم أشياء عن الآخرين ! " .

" نعم ! " .

لمحت غمزة بوارو بعينه هذه المرة .

ولكن فرانكلين كلارك كان منشغلاً في مهمته الدبلوماسية ، ولم يلحظ شيئاً . وقال : " إن الأمر يتعلق بـ " ثورا " ـــــ الآنسة ثورا " .

قال بوارو بصوت يدل على الدهشة البريئة : " أتتحدث عن ثورا جراى ؟ " .

" نعم ، فالسيدة كلارك لديها أفكار معينة فى ذهنها . وكما تعلم ، فـ " ثورا " ـــــ أقصد الآنسة جراى ـ فتاة على قدر من الجمال ـــــــ " .

وافقه بوارو : " نعم ـــــــ ربما " .

" والنساء ، حتى أكملهن خلقاً ، يحقدن على بعضهن البعض . بكل تأكيد كانت ثورا لا تمثل شيئاً لأخى ـــــ كان يقول دائماً إنها أفضل سكرتيرة عملت معه ـــــ وأنه معجب بها ، أيضاً . ولكن كان ذلك بشكل صريح ومباشر تماماً . أقصد أن ثورا لم تكن من الفتيات ـــــ " .

قال بوارو موافقاً إياه : " لا بالطبع " .

" ولكن زوجة أخى فهمت الأمر بأنه ـــ حسناً ـــــ بمحمل الغيرة ، على ما أعتقد . ولكنها لم تبدى شيئاً من هذا . ولكن بعد موت كار ، عندما أثيرت قضية بقاء الآنسة جراى ـــــ أصبحت فى منتهى القسوة والغضب . بالطبع ، كان ذلك بسبب المرض والمورفين وكل هذا ـــ وهذا ما تقوله الممرضة كابستيك ـــ وتقول

إنـه لا يجـب أن نلومهـا لأنهـا تـضع هـذه الأفكـار فـى ذهنها ـــــ " .

توقف عن الكلام .

" وماذا بعد ؟ " .

" ما أود أن تفهمه ، يا سيد بوارو ، أنـه لا يوجـد مـا يسوء في كل هذا على الإطلاق . فهو مجرد خيالات امـرأة مريضة . وانظر إلى هذا ، ثـم تحـسس جيبـه وأخـرج منـه خطابًا . تسلمت هذا الخطاب من أخـى عنـدما كنـت فـى شبه جزر المالاى . أود أن تقرأه لأنه يوضـح العلاقـة التـى كانت بينهما بالضبط " .

أخـذ بـوارو الخطـاب . أتـى فـرانكلين بجانبـه وأشـار بأصبعه إلى بعض مقتطفات منه وقرأها بصوت عال :

" ـــــ كل شيء هنا يسير كالمعتاد . وقد تعافت تشارلوت من الألم بصورة معقولة . كنت أتمنى أن أقول أكثر من ذلك . ربما تذكر ثورا جراى ؟ فإنها عزيزة إلى وتمثل راحة لى أكبر من أن أصفها إليك . فلولاها ما كنت لأعرف كيف أجتاز هذا الوقت العصيب . فعطفها واهتمامها لا يفتران . وتتمتع بذوق رفيع وحس عالٍ بالأشياء الجميلة وتشاركنى حبى لفن الخزف . لكم كنت محظوظًا لأن أجد فتاة مثلها . لا يمكن أن تضاهيها ابنة لكونها رفيقة عطوفة . كانت حياتها صعبة ولم تكن حياة سعيدة ، ولكنى سعيد بأنها هنا تشعر بالحب الصادق وأن لها بيتًا .

قال فرانكلين : " كمـا تـرى ، كـان هـذا شعور أخـى تجاهها . كان يعتبرهـا ابنتـه . ولكـن مـا يجعلنـى أشعر

بالظلم هو حقيقة أنه بمجرد موت أخى ، قامت زوجته بطردها من المنزل ! فالنساء شياطين بالفعل ، يا سيد بوارو " .

" تذكر أن زوجة أخيك مريضة وتقاسى من الألم " .

" أعلم ذلك . وهذا ما أذكر نفسى به دائمًا . لا يجب على الإنسان أن يحكم عليها . مع ذلك ، فكرت بأن أظهر لك هذا . فأنا لا أريد أن يكون لديك انطباع سيئ عن ثورا بسبب أى شىء قالته السيدة كلارك " .

أعاد بوارو الخطاب إليه . وقال مبتسمًا : " أود أن أؤكد لك أننى لا أسمح لنفسى بأن يتكون لدى انطباع خاطئ بناء على ما يقوله شخص . فأنا أكون أحكامى بنفسى " .

قال كلارك وهو يخفى الخطاب : " حسنًا ، إنى سعيد لأنى أطلعتك عليه على كل حال . هاهن الفتيات قد أقبلن . من الأفضل أن ننطلق " .

أثناء مغادرتنا للحجرة نادى على بوارو .

" هل عزمت على مرافقتنا ، يا هاستنجز ؟ " .

" نعم . فأنا لا أرغب فى أن أظل هنا بلا عمل" .

" هناك عمل ذهنى إلى جانب العمل البدنى ، يا هاستنجز " .

قلت : " أنت أفضل منى فى العمل الذهنى " .

" أنت على صواب بلا أى جدال ، يا هاستنجز . فهل أكون صائبًا إذا قلت إنك تنوى أن تكون مرافقًا لإحدى السيدات ؟ " .

" هذا صحيح" .

" أى منهن تريد أن تكون برفقتها ؟ " .

" أنا ـــــ لم ـــــ لم أقرر بعد " .

" فما رأيك فى الآنسة برنارد ؟ " .

قلت معترضًا : " إنها من النوع المستقل " .

" وما رأيك فى الآنسة جراى ؟ " .

" نعم ، فهى أفضل" .

" أعرف ، يا هاستنجز ، على الرغم ، من عدم صدقك الواضح ! فأنت قد عقدت عزمك من البداية على قضاء النهار مع ملاكك الأشقر ! " .

" كفاك ، يابوارو ! " .

" آسف أننى أربك خططك ، ولكن على أن أطلب منك مرافقة شخص آخر " .

" حسنًا . أنا أرى أن لديك ميلاً نحو هذه الفتاة الهولندية " .

قال بوارو : " الشخص الذى يجب عليك مرافقته هو مارى درور ـــــ وأطلب منك ألا تفارقها " .

" ولكن ، لماذا ، يا بوارو ؟ " .

" لأن اسمها ، ياعزيزى ، يحتوى على حرف " دى " ، ويجب ألا نخاطر " .

فهمت حكمة وصدق ملاحظته . فى البداية كان ذلك يبدو احتمالاً بعيدًا . ولكننى بعد ذلك أدركت أن هذا المجرم يضمر عداء جنونيًا لـ بوارو ، وربما يكون قد اطلع على كل تحركات بوارو ، وفى هذه الحالة سيكون القضاء على مارى درور الضربة الرابعة والقاضية بالنسبة له .

وعدت بأن أكون مخلصًا على قدر الثقة التى وضعت فى .

خرجت وتركت بوارو جالسًا على كرسى بجانب النافذة .

كان أمامه عجلة الروليت . أخذ يلفها أثناء خروجى من الباب وقال من ورائى :

" توقفت عند اللون الأحمر ـــــــ هذا فأل حسن ، يا هاستنجز . الحظ ، إنه يتغير ! " .

الفصل ٢٤

غير مقتبس من رواية النقيب
هاستنجز الشخصية

صدرت عن السيد ليدبيتر صيحة خافتة تنم عن الضيق لأن الشخص الجالس بجانبه وقف وتعثر أمامه بشكل أخرق ، وأسقط قبعته على الكرسى الموجود أمامه ، ثم مال لكى يستردها .

حدث كل هذا فى لحظة ذروة أحداث فيلم " Not a sparrow " " ليس عصفورًا " هذا الفيلم الملىء بالنجوم الكبار والمشاعر الفياضة والجمال والذى كان ينتظر السيد ليدبيتر مشاهدته بفارغ الصبر منذ أسبوع مضى .

وكانت البطلة ذات الشعر الذهبى ، والتى لعبت دورها كاثرين رويال (فى رأى السيد ليدبيتر أفضل ممثلة سينمائية فى العالم) قد أطلقت لتوها صرخة قوية من السخط قائلة : " أبدًا . أفضل أن أموت جوعًا . ولكن لن أموت جوعًا . تذكر هذه الكلمات : *لا يسقط عصفور ـــ* " .

حرك السيد ليدبيتر رأسه بشكل عصبى . تبًا لهؤلاء الناس ! لِمَ لا ينتظرون حتى نهاية الفيلم ... بدلاً من أن يغادروا فى هذه اللحظة المثيرة ؟

هذا أفضل لقد رحل هذا الرجل المزعج ، واستطاع السيد ليدبيتر أن يتمتع برؤية الشاشة كاملة حيث تقف كاثرين بجانب النافذة فى منزل فان سكرينر فى نيويورك .

وهى الآن تستقل القطار ــــ وبين ذراعيها طفل صغير . . . يالها من قطارات عجيبة التى يستخدمونها فى أمريكا ــــ لا تشبه القطارات الإنجليزية تمامًا .

وها هو ستيف مرة أخرى فى كوخه فى الجبال . . .

استمرت أحداث الفيلم حتى وصل إلى نهايته العاطفية شبه الدينية .

تنفس السيد ليدبيتر الصعداء عندما أضيئت الأنوار .

ثم وقف على رجليه ، وعيناه ترمشان قليلاً . لم يعتد أن يغادر السينما بسرعة . لأنه يأخذ دقيقة أو دقيقتين حتى يعود إلى الحقيقة المملة للحياة اليومية .

نظر حوله . ليس هناك كثير من الناس هذا المساء ــــ هذا أمر طبيعى . حيث ذهب الجميع لمشاهدة السباقات . والسيد ليدبيتر لم يكن تستهويه السباقات ولا لعب القمار ولا الشرب ولا التدخين . وقد وفر له ذلك طاقة أكثر ليذهب إلى السينما .

كان الجميع يسرعون نحو باب الخروج . واستعد السيد ليدبيتر لأن يهم بالخروج كالباقين . ولكن كان الشخص الجالس فى الكرسى أمامه نائمًا ــــ مسترخيًا

على كرسيه . شعر السيد ليدبيتر بالسخط لفكرة أن يستطيع شخص النوم أثناء عرض فيلم " ليس عصفورًا " .

كان هناك شخص غاضب يقول للشخص النائم المتدة رجلاه لتسدا الطريق :

" لو سمحت ، سيدى " .

وصل السيد ليدبيتر إلى باب الخروج . ثم نظر للوراء .

كان يبدو أن هناك نوعًا من الهرج والمرج . كان هناك الحاجب . . . ومجموعة قليلة من الناس ـــ من الممكن أن يكون هذا الرجل ثملاً وليس نائمًا . . .

تردد السيد ليدبيتر ثم خرج ـــ وبخروجه فاته أعظم حدث فى اليوم ـ حدث يفوق فى أهميته فوز الفرس هاف نورت فى سباق سانت ليجر بفارق ٨٥ إلى ١ .

كان الحاجب يقول :

" أعتقد أنك على صواب سيدى . . . فهو مريض . . . لماذا ـــ ما الأمر ، سيدى ؟ " .

سحب الآخر يده باستغراب وهو يتلمس بقعة حمراء لزجة .

" دم . . . " .

صدر صوت استغراب مكتوم من الحاجب . ولمحت عينيه شيئاً أصفر يطل من تحت الكرسى .

وقال " ياللهول ! ، إنه د ـــ دليل قطارات أبجدى " .

الفصل ٢٥

غير مقتبس من رواية النقيب
هاستنجز الشخصية

خرج السيد كاست من السينما ورفع بصره إلى السماء .

ليلة جميلة . . . ليلة جميلة حقاً . . .

ثم تذكر جملة قالها الشاعر براونينج : " الله في السماء . والكون في رخاء " .

كان دائمًا معجبًا بهذا الأقتباس .

ولكنّ هناك أوقاتًا ، لم يكن يشعر فيها بالأمان ...

مشى بسرعة في الشارع وهو يبتسم لنفسه عندما وصل إلى بلاك سوان حيث كان يقيم .

صعد السلم ووصل إلى حجرته ، وكانت حجرة صغيرة مكتومة ، تطل على فناء داخلي وموقف للسيارات .

عند دخوله الحجرة ذهب بهاء هذه الابتسامة سريعًا . لأنه رأى بقعة من الدم بالقرب من طرف كمه . تلمسها بتردد ـــ دم ـــ رطب أحمر . . .

وضع يده في جيبه وأخرج منه شيئاً ـــ سكينًا طويلة ورفيعة . وكان نصل السكين ، أيضًا ، لزجًا أحمر اللون . . .

جلس السيد كاست هناك لوقت طويل .

وفجأة أخذ يصوب نظره إلى كل أرجاء الحجـرة وكأنـه حيوان وقع فى الأسر .

ومرر لسانه على شفتيه برعب . . .

قال السيد كاست : " هذا ليس خطئى " .

كان يبدو وكأنه فى جدال مع شـخص آخـر ــــ مثـل تلميذ يتوسل إلى أستاذه .

مرر لسانه على شفتيه مرة أخرى . . .

ثم ، بتردد ، تحسس كم المعطف ثانية .

عبرت عيناه الحجرة نحو حوض الاغتسال .

وبعد ذلك بدقيقة واحدة كان يـصب المـاء فـى الحـوض من دلو قديم . ثم خلع المعطـف ، وغـسل الكـم ، وعـصره بعناية شديدة . . .

يــا لــه مــن أمــر مقــزز ! لقـد أصـبح الآن لـون المـاء أحمر . . .

كان هناك طرق على الباب .

وقف وتصلب مكانه دون حراك ــــ يحملق بنظره .

فتح الباب . ودخلت فتاة بدينة ــــ وبيديها إناء .

" معذرة سـيدى . لقد أحـضرت لـك المـاء الـساخن ، سيدي " .

استطاع أن يتكلم بعد ذلك .

" شكرًا . . . لقد غسلت بالماء البارد . . . " .

لمــاذا قــال ذلـك ؟ وعلــى الفـور اتجهـت عيناهــا إلى الحوض .

قال بغضب شديد : " أنا ـــ أنا قد جرحت يدى . . . " .

ساد فاصل من الصمت ـــ نعم ، فترة صمت طويلة ـ قبل أن تقول :

" صحيح ، سيدى " .

خرجت الفتاة ، وأغلقت الباب .

وقف السيد كاست مكانه وكأنه قد تحول إلى حجر .

لقد حانت لحظة ـــ أخيرًا . . .

أرهف سمعه .

هل كانت هناك أصوات ـــ وهتافات ـــ وأقدام تصعد السلم ؟

لم يسمع شيئاً سوى ضربات قلبه . . .

وبعد ذلك ، فجأة ، قفز من حالة الجمود إلى النشاط . تناول معطفه ، ومشى على أطراف أصابعه حتى وصل إلى الباب وفتحه . لم يكن هناك أى ضوضاء سوى صوت الهمهمة المألوف الصادر من المقهى . تسلل أسفل السلم . . .

لم يجد أحدًا حتى الآن . إنه الحظ . توقف أسفل السلم . أى طريق الآن ؟

اتخذ القرار ، واندفع بسرعة نحو الممر ومنه خرج من الباب المؤدى إلى الفناء .

كان هناك سائقان يقومان بأعمال السمكرة لسيارتيهما ويتحدثان عن الفائزين والخاسرين .

أسرع السيد كاست عبر الفناء ومنه إلى الشارع .

استدار حول أول ملف لليمين ثم لليسار — ثم لليمين مرة أخرى .

هل يجرؤ على المخاطرة بالذهاب إلى المحطة ؟

نعم — ستكون هناك حشود — قطارات خاصة — وإذا كان الحظ حليفه سيفلح فى القيام بذلك تمامًا . . .

فقط إذا كان الحظ حليفه . . .

الفصل ٢٦

غير مقتبس من رواية النقيب هاستجز الشخصية

كـان المفـتش كـروم يـستمع إلى أقـوال الـسيد ليـدبيتر المثيرة .

أؤكد لـك ، أيهـا المفـتش ، أن قلبـى يـضطرب عنـدما أفكر في الأمر . فمن المؤكد أنه كان يجلس بجوارى طـوال العرض بالكامل ! " .

لم يلق المفتش كروم بالاً لما يحدث لقلب السيد ليـدبيتر وقال :

" كل ما أريد أن تخبرنى به بوضوح ، هـل خـرج هـذا الرجل قبل نهاية عرض الفيلم ــــ ؟ " .

تمتم السيد ليدبيتر بطريقـة تلقائيـة : " لـيس عـصفورًا ـــ كاثرين رويال " .

لقد مرّ خارجًا وأثناء قيامه بذلك تعثر ـــــــ " .

" بل تظاهر بـأنه تعثر ، تذكرت ذلـك الآن . ثـم مـال إلى الكرسى بالأمام لكى يلتقط قبعته . فمن المؤكد أنه طعـن هذا الشخص المسكين فى هذه اللحظة " .

" ألم تسمع أى شىء ؟ صرخة ؟ أو تأوهًا ؟ " .

لم يسمع السيد ليدبيتر أى شىء سوى صوت كاثرين رويال الأجش العالى ، لكن خياله سول له سماع تأوه .

أخذ المفتش كروم هذا الكلام بمظهره السطحى وطلب منه أن يكمل روايته .

" وبعد ذلك خرج ـــــ " .

" هل تستطيع أن تصفه ؟ " .

" كان شخصًا ضخمًا جدًا . يبلغ طوله ست أقدام على الأقل . عملاقاً " .

" أشقر أم أسمر ؟ " .

" أنا ـــــ حسنًا ـــــ أنا غير متأكد تمامًا . أعتقد أنه كان أصلع ، شخصًا ذا مظهر شرير " .

سأل المفتش كروم : " لم يكن يعرج ، أليس كذلك ؟ " .

" بلى ـــــ بلى ، أعتقد أنه كان يعرج . كان أسمر جدًا ، من المحتمل أنه هجين " .

" هل كان فى كرسيه عند آخر مرة أضيئت فيها الأنوار ؟ " .

" لا . لقد دخل بعد بداية العرض " .

أومأ المفتش كروم برأسه ، وناول السيد ليدبيتر تقريرًا ليوقعه ثم تخلص منه" .

قال كروم بتشاؤم : " إنه مثل أى شاهد سيئ يمكن أن تجده ، فهو يقول كل شىء بتوجيه منك . من الواضح

تمامًا أنه ليس لديه أدنى فكرة عن شكل الشخص المطلوب . فلنحضر الحاجب مرة أخرى " .

دخل الحاجب ووقف منتصبًا بشكل عسكرى وفى قمة الانتباه وعيناه ثابتتان على المفتش أندرسون .

" والآن ، يا جامسون ، نريد أن نسمع مارأيت " .

قدم جامسون التحية .

" أمرك يا سيدى . فى نهاية العرض ، سيدى . سمعت أن هناك رجلاً مريضًا ، كان الرجل جالسًا فى صفوف الدرجة الثالثة ، وكان ممددًا على كرسيه . والتف حوله رجال آخرون . كان الرجل يبدو فى حالة سيئة . قام أحد الرجال بوضع يده على معطف الرجل المريض ولفت نظرى . إلى الدم ، يا سيدى . كان واضحًا أن الرجل قد فارق الحياة ـــــ إثر طعنه ، سيدى . ثم لفت انتباهى دليل القطارات الأبجدى ، تحت الكرسى ، سيدى . ولرغبتى فى التصرف الصحيح ، لم ألمس شيئًا ، بل أبلغت الشرطة على الفور بوقوع جريمة " .

" رائع ، يا جامسون ، لقد أحسنت التصرف " .

" شكرًا ، سيدى " .

" هل لاحظت شخصًا يغادر صفوف الدرجة الثالثة قبل ذلك بخمس دقائق ؟ " .

" غادر كثيرون ، سيدى " .

" هل تستطيع وصفهم ؟ " .

" أخشى أنى أستطيع ذلك ، سيدى . كان أحدهم السيد جيفرى بارنل . وكان هناك شخص شاب ، سام باكر ، بصحبة سيدة شابة . ولم ألحظ أى شخص آخر " .

" يا للأسف . هذا يكفى ، يا جامسون " .

" أمرك سيدى " .

قدم الحاجب التحية وانصرف .

قال المفتش أندرسون : " لقد حصلنا على التفاصيل الطبية ، من الأفضل أن نحضر الشخص الذى وجده بعد ذلك " .

دخل شرطى وقدم التحية .

"السيد هيركيول بوارو ، وشخص آخر ، سيدى " .

تجهم وجه كروم .

وقال : " حسنًا ، أعتقد أنه من الأفضل أن تدخلهما " .

الفصل ٢٧

حادثة قتل دونكاستر

بسبب دخولي إثر بوارو ، التقطت أذناي آخر الكلمات في تعليق المفتش كروم .

كان يبدو القلق والاكتئاب عليه هو ورئيس الشرطة .

قدم العميد أندرسون التحية بإيماءة برأسه .

أعتقد أنه خمن أن تعليق كروم قد وصل إلى مسامعنا .

وقال بأدب : " يسعدني حضورك ، يا سيد بوارو ، ها نحن نمر بتجربة أليمة أخرى ، كما ترى " .

" جريمة قتل أخرى أبجدية ؟ " .

" نعم . هذا العمل المتهور اللعين . مال رجل وطعن شخصًا من الخلف " .

" القتل طعنًا هذه المرة ؟ " .

" نعم ، فهو ينوع من طرقه قليلاً ، أليس كذلك ؟ الضرب على الرأس ، والخنق ، والآن قد استخدم سكينًا . يا له من شيطان متعدد المهارات . هذه هي التقارير الطبية إذا كان لك رغبة في أن تلقى نظرة عليها " .

ثم دفع ورقة إلى بوارو .

وأضاف قائلاً : " ولقد عثر على دليل قطارات أبجدى على الأرض بين قدمى القتيل " .

سأل بوارو : " هل تم التعرف على هوية القتيل ؟ " .

" نعم . ولقد أخطأ مجرمنا لأول مرة ــــ إذا كان يرضينا ذلك . القتيل رجل يدعى إيرلسفيلد ــــ جورج إيرلسفيلد . وكان يعمل حلاقًا " .

قال بوارو معلقًا : " غريب " .

قال العميد : " من المحتمل أنه قد تخطى حرفًا " .

هزّ صديقى رأسه بارتياب .

سأل كروم : " هل من الممكن أن ندخل الشاهد التالى ؟ فهو قلق ويريد العودة لمنزله ؟ " .

" نعم ، نعم ــــ هيا نكمل " .

أدُخِل رجل متوسط العمر يشبه إلى حد كبير خادم الضفدعة فى رواية " أليس فى أرض العجائب " . وكان الرجل متوترًا للغاية ، وكان صوته عاليًا من الانفعال .

صاح الرجل : " لقد كانت أصعب تجربة أمر بها فى حياتى ، فقلبى ضعيف ــــ ضعيف جدًا ، كان من الممكن أن يودى ذلك بحياتي " .

قال المفتش : " اسمك ، من فضلك " .

" دونز . روجر إيمانويل دونز " .

" ما وظيفتك ؟ " .

" معلم بمدرسة هايفيلد للبنين " .

" والآن ، يا سيد دونز ، هل من الممكن أن تخبرنا بما حدث كما رأيت ؟ " .

" من الممكن أن أخبر حضراتكم بذلك باختصار . نهضت فى نهاية العرض من على مقعدى . وكان الكرسى على يسارى خاليًا ، ولكن على الكرسى الذى بعده كان يجلس رجل ، من الواضح أنه كان نائمًا . وكان من الصعب أن أمر عليه فى طريقى للخروج لأن رجليه كانتا مبسوطتان أمامه . طلبت منه بأن يسمح لى بالمرور . وعندما لم يتحرك كررت طلبى بنبرة ـــــ بنبرة ـــــ أعلى قليلاً . ولكنه لم يجب . قمت بعدها بجذبه من كتفه لكى أوقظه . تراخى جسمه لأسفل أكثر وأدركت أنه إما أن يكون فاقدًا للوعى أو مريضًا للغاية . ناديت بصوت عال : " هذا الرجل مريض . أحضروا الحاجب " . وأتى الحاجب . وعندما رفعت يدى من على كتف الرجل وجدت أنها مبتلة وحمراء . . . عرفت أن الرجل قد طعن . وفى نفس اللحظة لاحظ الحاجب دليل القطار الأبجدى . . . يمكنني أن أؤكد لسيادتكم ، أن الصدمة كانت مروعة ! كان من الممكن أن يحدث أى شىء ! لأنى أعانى منذ سنوات من ضعف فى القلب ـــــ " .

كان العميد أندرسون ينظر إلى السيد دونز بشكل غريب جدًا .

" من الممكن أن تعتبر نفسك رجلاً محظوظًا ، يا سيد دونز " .

" فعلاً ، سيدى . لم يحدث لى حتى خفقان فى القلب ! " .

" أنت لم تفهم مقصدى يا سيد دونز ، كنت على بعد مقعدين ، كما تقول ؟ " .

" فى الواقع كنت أجلس فى البداية على الكرسى المجاور للرجل القتيل ـــ ثم تحركت حتى أكون خلف مقعد خال " .

" إنك تقريبًا فى نفس طول وبنية الرجل القتيل ، أليس كذلك ، وكنت ترتدى وشاحًا صوفيًا حول رقبتك مثله ، أليس كذلك ؟ " .

قال السيد دونز : " لم ألحظ ذلك ـــــ " .

قال العميد أندرسون : " أؤكد لك أنك كنت محظوظًا ، أيها الرجل . بطريقة أو بأخرى ، عندما تبعك القاتل ، اختلط عليه الأمر . واختار الظهر الخاطئ . وأراهن ، يا سيد دونز أن هذه الطعنة كانت موجهة إليك ! " .

على الرغم من المحن التى مر بها قلب السيد دونز ، لم يكن يتحمل هذه المفاجأه . فغاص فى كرسيه ، وأخذ يلهث ، وتحول وجهه إلى اللون القرمزى .

ثم قال وهو يلهث : " ماء . . . أريد ماء . . . . " .

أحضر كوبًا من الماء إليه . قام باحتسائه وعادت بشرته تدريجيًا إلى اللون الطبيعى .

قال : " أنا ؟ لماذا أنا ؟ " .

قال كروم : " يبدو الأمر هكذا ، فى الحقيقة هذا هو التفسير الوحيد " .

" أتقصد أن هذا الرجل ـــ هذا ـــ هذا الشيطان المتخفى فى صورة إنسان ـــ هذا المجنون المتعطش للدماء كان *يتعقبنى* متحيناً أن يجد الفرصة ؟ " .

" أقول إن ذلك هو التفسير الوحيد " .

سأل المعلم الثائر : "ولكن بحق السماء ، لماذا *أنا* ؟ " .

كان المفتش كروم يقاوم رغبته فى الرد بـــ :

" ولِمَ لا ؟ " ولكن قال بدلاً من ذلك : " أخشى القول إنه لا فائدة من توقع أن يكون لدى المجنون مبررات لما يفعله " .

قال السيد دونز بهمس : " فليبارك الله روحي " .

ثم نهض من مقعده . وقد بدا فجأة عجوزاً ومهزوزاً .

" إذا لم تريدوا بقائى لفترة أطول ، أيها السادة ، أظن أنى سأذهب إلى بيتى . فأنا ـــ فأنا لا أشعر بأننى على مايرام " .

" هذا كافٍ جداً يا سيد دونز . وسأرسل معك شرطياً ـــ للتأكد من سلامتك " .

" لا ـــ لا ، شكراً . ليس هناك داع لذلك " .

قال العميد أندرسون بصوت خشن " الأمر سيان " .

ثم أخذ يدور بعينيه ، وكأنه يسأل المفتش سؤالاً من خلال هذه النظرات . وبادله المفتش بإيماءة من رأسه . وغادر السيد دونز وهو يرتعد .

قال العميد أندرسون : " وكذلك لم يفهم هذه ، سيكون لدينا قتيلان ـــــ أليس كذلك ؟ " .

" بلى ، سيدى . قام المفتش رايس بعمل الترتيبات . وسيتم مراقبة البيت " .

قال بوارو : " أتعتقد ، أنه عندما يدرك مجرمنا خطأه ، سيقدم على المحاولة ثانية ؟ " .

أومأ أندرسون برأسه .

وقال : " هذا احتمال قائم ، حيث يبدو أنه رجل يسير وفقًا لمنهج . وسيضايقه أن الأمور لم تسر وفقًا للبرنامج الذى وضعه " .

أومأ بوارو باهتمام .

قال العميد أندرسون بغضب : " أتمنى أن نصل إلى وصف لهذا الشخص ، فما زلنا فى جهالة كما كنا" .

قال بوارو " ربما نصل إليه " .

" أتعتقد ذلك ؟ هذا ممكن . تبًا لذلك ، ألا يوجد شخص فى رأسه عينان مبصرتان ؟ " .

قال بوارو : " تحلّ بالصبر " .

" تبدو واثقًا ، يا بوارو . هل هناك أسباب لتفاؤلك هذا ؟ " .

" نعم ، أيها العميد أندرسون . فحتى الآن لم يرتكب القاتل خطأً واحدًا . ومن المؤكد أنه سيرتكب خطأً فى القريب العاجل " .

قال رئيس الشرطة بامتعاض : " إذا كان هذا كل ما لديك لكى تواصل الـــ " ، ولكن تمت مقاطعته .

" السيد بول صاحب فندق بلاك سوان حضر إلى هنا ومعه سيدة شابة ، يا سيدى . ويعتقد أن لديه شيئاً يريد قوله لمساعدتكم " .

" أحضرهم إلى هنا . فنحن فى حاجة إلى أى شىء مفيد " .

كان السيد بول رجلاً ضخمًا ، بطىء التفكير ، وبطىء الحركة . وكانت تفوح منه رائحة كريهة . وكان بصحبته فتاة بدينة ذات عيون مستديرة وتبدو بوضوح أنها فى حالة توتر شديدة .

قال السيد بول بصوت بطىء أجش : " آمل ألا أكون متطفلاً أو مضيعًا لوقتكم الثمين ، ولكن هذه الفتاة ، مارى التى بين أيديكم ، تعتقد أن لديها شيئاً يجب أن تعلموا به " .

ضحكت مارى بصوت خفيض .

قال أندرسون : " حسنًا ، يا ابنتى ، ماذا عندك ؟ " .

" ما اسمك ؟ " .

" مارى ، يا سيدى ، مارى سترود " .

" حسنًا ، يا مارى ، هاتِ ما عندك " .

حولت مارى عينيها المستديرتين إلى سيدها .

تدخل السيد بول للمساعدة وقال : " وظيفتها توصيل الماء الساخن لحجرات النزلاء ، حيث يقيم عندنا ستة

رجال . بعضهم جاء من أجل السباقات والبعض الآخر مجرد وكلاء لشركات " .

قال أندرسون وقد نفد صبره : " نعم ، نعم " .

قال السيد بول : " استمرى أيتها الفتاة ، قولى حكايتك . ولا تخافى " .

أخذت مارى تلهث ، وتئن ثم دخلت فى الحديث بصوت لاهث .

" طرقت الباب ولم يكن هناك أى رد ، وإلا لما دخلت حتى يقول الرجل على الأقل " ادخل " ولأنه لم يقل شيئاً هممت بالدخول وكان هناك يغسل يديه " .

توقفت عن الكلام وتنفست بعمق .

قال أندرسون : " أكملى ، يا ابنتى " .

نظرت مارى إلى سيدها وكأنها قد حصلت على الإلهام من إيماءة رأسه البطيئة ، أكملت مرة أخرى : " قلت : " الماء الساخن ، سيدى " وقمت بالطرق على الباب ، ولكنه قال : " لقد غسلت بالماء البارد" ، ومن ثم ، وبشكل طبيعى ، نظرت فى الحوض ، وأوه ! ساعدنى يارب ، *لقد كان أحمر بالكامل* ! سيدي " .

قال أندرسون بحدة : " أحمر ؟ " .

تدخل بول .

" لقد أخبرتنى الفتاة بأنه كان قد خلع معطفه ويمسك بأحد أكمامه ، وكان مبتلاً تماماً ـــ هذا صحيح ، أليس كذلك ، أيتها الفتاة ؟ " .

" بلى ، سيدى ، هذا صحيح " .

واصلت الحديث :

" وجهه ، سيدى ، كان يبدو غريبًا ، كان يبدو غريبًا بدرجة مميتة . مما أصابنى بصدمة بالفعل " .

سأل أندرسون بحدة : " متى كان ذلك ؟ " .

" الخامسة والربع تقريبًا ، أو قريبًا من ذلك حسب ظني " .

قال أندرسون بغضب : " منذ ما يزيد على ثلاث ساعات ، لماذا لم تأت على الفور ؟ " .

قال بول : " لم نسمع عن الخبر فى الحال ، حتى سمعنا نشرة الأخبار وأن هناك جريمة قتل أخرى . وبعد ذلك أخذت الفتاة تصرخ بأن ما فى الحوض ربما يكون دمًا ، وسألتها ماذا تقصد بذلك ، فروت لى الحكاية . حسنًا ، لم يكن الأمر يبدو صحيحًا بالنسبة لى فصعدت إلى الطابق العلوى بنفسى . لم يكن هناك أحد فى الحجرة . سألت بعض الأسئلة وقال شاب فى الفناء إنه رأى شخصًا يتسلل خارجًا من هذا الطريق ومن وصفه كان الشخص الصحيح . ولذلك قلت لزوجتى إن أفضل شىء تقوم به مارى هو الذهاب إلى الشرطة . لم تعجبها الفكرة ، ومارى لم توافق ، ولكنى أخبرتها بأنى سآتى معها إلى هنا " .

سحب المفتش كروم ورقة وقال : " صفى لى هذا الرجل ، بأسرع ما يمكن . فليس أمامنا وقت نضيعه " .

قالت ماري : " كان متوسط الحجم ، منحني الظهر ، ويرتدي نظارة " .

" وماذا يرتدي ؟ " .

" حُلة سوداء وقبعة مصنوعة من اللباد اللين . وكان ذا مظهر رث " .

أضافت قليلاً إلى هذا الوصف .

ولم يصر المفتش كروم على الإفراط في ذلك . وبسرعة كانت جميع خطوط الهاتف مشغولة ، ولكن لم يكن المفتش ولا رئيس الشرطة شديدي التفاؤل .

استنتج كروم حقيقة أن الرجل ، عندما تمت ملاحظته يتسلل عبر الفناء لم يكن معه حقيبة عادية أو حقيبة ملابس .

وقال : " مازالت هناك فرصة " .

تم إرسال رجلين إلى فندق بلاك سوان .

اصطحبهم السيد بول هو ممتلئ بالشعور بالفخر والأهمية وكذلك ماري التي امتلأت عيناها بالدموع .

عاد الرقيب بعد عشر دقائق .

وقال : " لقد أحضرت السجل ، يا سيدي ، وهذا هو التوقيع " .

التففنا حوله . كانت الكتابة صغيرة ويصعب قراءتها .

قال رئيس الشرطة : " هل هذه إيه . بي كاس أم إيه . بي كاش ؟ " .

قال كروم باهتمام " إيه . بي . سي " .

سأل أندرسون : " وماذا عن الحقائب ؟ " .

" حقيبة كبيرة ، سيدى ، مملوءة بعلب الكرتون الصغيرة " .

" عُلَب ؟ وماالذى فيها ؟ " .

" جوارب ، سيدى ، جوارب حريرية " .

توجه كروم بنظره إلى بوارو .

وقال : " تهانئى ، كان تخمينك فى محله " .

الفصل ٢٨

غير مقتبس من رواية النقيب
هاستنجز الشخصية

كان المفتش كروم جالسًا فى مكتبه بـ " سكوتلانديارد " .

أصدر الهاتف الموجود على مكتبه رنينًا مكتومًا فقام برفع السماعة .

" أنا جاكوبز الذى يتكلم ، سيدى . لقد حضر شاب ولديه قصة أعتقد أنكم يجب أن تسمعوها " .

تنهد المفتش كروم . حيث كان يصل حوالى عشرين شخصًا يوميًا بزعم أن لديهم معلومات مهمة عن قضية " إيه . بى . سى " . بعضهم مجانين لا ضرر منهم ، والبعض الآخر كانوا أشخاصًا لديهم حسن نية ويعتقدون بكل صدق أن المعلومات التى لديهم ذات قيمة . وكانت مهمة الرقيب جاكوبز أن يقوم بدور مصفاة بشرية ـــــ تحجز ما لا فائدة منه ويمرر الباقى لرئيسه فى العمل .

قال كروم : " حسنا ، جاكوبز ، أرسله إلى " .

بعد دقائق قليلة كان هناك طرق على باب المفتش ، وظهر الرقيب جاكوبز ، وهو يقود شابًا طويلاً ذا مظهر مقبول .

" هذا هو السيد توم هارتيجان ، سيدى . فلديه شىء يريد أن يخبرنا به من الممكن أن يكون له علاقة محتملة بقضية " إيه . بى . سى " .

وقف المفتش بسرور وتصافح معه .

" صباح الخير ، يا سيد هارتيجان . تفضل بالجلوس . هل تدخن ؟ أتريد سيجارة ؟ " .

جلس توم هارتيجان بخجل ونظر بهيبة إلى ما يطلق عليه فى ذهنه " واحدًا من عظماء الشأن " . خانه مظهر المفتش بصورة غير واضحة . فهو يبدو شخصًا عاديًا تمامًا !

قال كروم : " والآن ، لديك شىء تود إخبارنا به وتعتقد أن له علاقة بقضية " إيه . بى . سى " . هات ما عندك " .

بدأ توم الحديث بتوتر .

" بالطبع من الممكن أن يكون لا شىء على الإطلاق . فهو مجرد فكرة طرأت فى ذهنى . وربما أكون مضيعًا لوقتكم " .

تنهد المفتش كروم ببطه . لأنه يضطر لأن يضيع قدرًا من الوقت ليطمئن الناس !

" نحن أفضل من يحكم على ذلك . أعطنى الحقائق ، يا سيد هارتيجان " .

" إن الأمر كالآتى ، يا سيدى . تؤجر والدة خطيبتى ، حجرات للسكن . على طريق مدينة كاميدان .

ولقد تم تأجير الطابق الثانى لمدة تزيد على عام لشخص يدعى كاست " .

" كاست ـــــ صحيح ؟ " .

" هذا صحيح ، سيدى . رجل متوسط العمر . شخص أحمق . يمكننى القول إنه فقد هيبته فى هذا العالم . حيث يمكنك القول إنه نوع من المخلوقات لا يقوى على أن يؤذى ذبابة ـــ ولم أكن أتصور أن هناك أى خطأ لولا حدوث شىء غريب " .

بطريقة مرتبكة إلى حد ما ، وصف توم مقابلته مع مستر كاست فى محطة إيستون وواقعة التذكرة التى سقطت منه وأخذ يردد ما يقوله مرة أو مرتين .

" كما ترى ، سيدى ، تفكر فى ذلك كيفما تشاء ، فهو أمر طريف . كانت ليلى ، خطيبتى ـــ متأكدة تمامًا أنه أخبرها بأنه ذاهب إلى تشيلتنام ، وقالت أمها نفس الكلام ـــ قالت إنها تذكر بوضوح حوارًا مستفيضًا حول هذا الموضوع فى الصباح الذى غادر فيه . وبالطبع ، لم أعط هذا الأمر اهتمامًا زائدًا فى ذلك الوقت . قالت خطيبتى ـــ ليلى - إنها تتمنى ألا يقتله القاتل الأبجدى لأنه سيكون فى دونكاستر ـــــ ثم قالت إنها مجرد مصادفة لأنه كان فى تشرستون أثناء ارتكاب الجريمة السابقة . ضحكت وسألتها ، هل كان فى بيكسهيل المرة السابقة لذلك ، ولكنها قالت إنها لم تعرف أين كان ، ولكنه كان قد ذهب إلى الشاطئ ـــــ وهذا ما كانت

تعرفه . وعندها أخبرتها بأنه من الغريب أن يكون القاتل الأبجدى شخصيًا ، فردت قائلة إن السيد كاست المسكين لا يستطيع أن يؤذى ذبابة ، ولم نفكر فى الأمر أكثر من ذلك . ولكنى ، على الأقل ، فكرت فى الأمر مع نفسى . بدأت أتساءل عن كاست هذا وفكرت بأنه على الرغم من أنه يبدو غير مؤذٍ ، إلا أنه من الممكن أن يتسم بالقليل من الجنون " .

أخذ توم نفسًا وواصل الحديث . وكان المفتش كروم ينصت باهتمام فى هذا الوقت .

" وبعد وقوع حادثة دونكاستر ، سيدى ، نشرت كل الجرائد تطلب معلومات عن مكان ما يدعى إيه . بى . كاس أو إيه بى كاش ، وتم نشر وصف كان يتطابق معه تمامًا . وعند أول إجازة حصلت عليها ، اتجهت إلى منزل ليلى وسألتها ما الحروف الأولى التى يبدأ بها اسم السيد كاست . لم تستطع تذكر ذلك فى البداية ، ولكن أمها تذكرت ذلك . قالت إنه يبدأ بـ " إيه . بى " . بعدها بدأنا العمل وحاولنا أن نعرف هل كان كاست غير موجود عند حدوث جريمة القتل الأولى فى أندوفر . كما تعرف ، سيدى ، ليس من السهل تذكر الأشياء التى وقعت منذ ثلاثة أشهر . كانت مهمة صعبة ، ولكن استطعنا تحديد ذلك فى النهاية ، لأن شقيق السيدة ماربرى كان قد وصل من كندا لزيارتها فى يوم ٢١يونيو . وصل بشكل غير متوقع وأرادت أن تجد له سريرًا ،

واقترحت ليلى بأنه لعدم وجود السيد كاست يمكن أن ينام برت سميث فى فراشه . ولكن لم توافق السيدة ماربرى ، وقالت إن ذلك تعد على ممتلكات أحد المقيمين لديها ، فهى تحب دائمًا أن تتصرف بشكل أمين ومباشر . ولكننا استطعنا أن نحدد التاريخ بكل دقة بسبب وصول سفينة برت سميث إلى سوثامبتون فى ذلك اليوم " .

كان المفتش كروم ينصت بكل عناية وهو يدون ملحوظة عابرة .

ثم سأل : " هل هذا كل ما لديك ؟ " .

" هذا كل مالدى ، سيدى . آمل ألا أكون قد بالغت فى تقدير الأمور " .

احمر وجه توم قليلاً .

" على الإطلاق . فلقد أحسنت التصرف بقدومك إلى هنا . من المؤكد أنه دليل بسيط ـــــ فهذه التواريخ من الممكن أن تكون مجرد صدفة ، وكذلك تشابه الاسم . ولكن ذلك سيمكننى بالتأكيد من إجراء حوار مع السيد كاست . هل هو متواجد بالمنزل الآن ؟ " .

" نعم ، سيدى " .

" متى عاد إلى المنزل ؟ " .

" مساء وقوع حادثة دونكاستر ، سيدى " .

" وماذا يفعل منذ ذلك الوقت ؟ " .

" موجود بالمنزل فى معظم الأحيان . وقالت السيدة ماربرى إنه كان يبدو مريبًا . كان يشترى كثيرًا من الجرائد ـــــ يخرج مبكرًا لشراء جرائد الصباح ، وبعد حلول الظلام يخرج لشراء جرائد المساء . قالت السيدة ماربرى أنه كان يتحدث إلى نفسه كثيرًا ، أيضًا . فهى تظن أن سلوكه يزداد غرابة " .

" ما عنوان السيدة ماربرى هذه ؟ " .

أعطاه توم العنوان .

" شكرًا . من المحتمل أن آتى للزيارة أثناء النهار . ولست بحاجة لأن أذكرك بأن تكون حذرًا فى سلوكك إذا قابلت كاست هذا " .

نهض وصافحه .

" يجب أن تكون على قناعة تامة بأنك أحسنت صنعًا بقدومك إلى هنا . عمت صباحًا ، يا سيد هارتيجان " .

دخل جاكوبز الحجرة مرة ثانيه بعد عدة دقائق وسأل : " كيف الحال ، سيدى ؟ هل تعتقد أنها معلومات مفيدة ؟ " .

قال المفتش كروم: " إنها مبشرة . أقصد ، إذا كانت الحقائق مطابقة لما قاله هذا الشاب . لم نكن محظوظين حتى الآن مع صانعى الجوارب . لقد آن الأوان لأن نضع أيدينا على شىء . على فكرة ، ناولنى ، ملف قضية تشرستون " .

أمضى عدة دقائق بحثًا عما كان يريد .

" ها قد وجدتها . بين الشهادات المقدمة إلى شرطة توركواى . شخص يدعى هيل . الذى يقسم إنه أثناء مغادرته سينما توركواى بالاديوم بعد مشاهدته لفيلم " ليس عصفورًا " لاحظ رجلاً يتصرف بشكل غريب . حيث سمعه هيل يقول : " يالها من فكرة " . ليس عصفورًا ألم يكن الفيلم الذى كان يعرض فى سينما ريجال بـ " دونكاستر " ؟ " .

" بلى ، سيدى " .

" ربما يكون هناك شيء في ذلك . فى الوقت الحالى لا ـــ ولكن من المحتمل أن فكرة الجريمة التالية واتت رجلنا عندها . لدينا اسم وعنوان هيل ، كما أرى . ووصفه للرجل غير واضح ولكنه يتفق كثيرًا مع وصف مارى سترود وتوم هارتيجان ... " .

أومأ برأسه باهتمام .

قال المفتش كروم : " لقد بدأنا نشعر بالدفء ـــ " ، قالها على نحو غير دقيق ، لأنه كان يشعر بالبرد دائمًا .

" هل من أوامر أخرى ، سيدى ؟ " .

" قم بتعيين رجلين لمراقبة عنوان مدينة كاميدان ، ولكن لا أريد أن أحدث ذعرًا لطائرنا . لأنه لابد أن أتحدث مع المفوض المساعد . وأظن أنه من الأفضل إحضار كاست إلى هنا وسؤاله إذا كان يريد أن يدلى بشهادته . يبدو وكأنه مستعد تمامًا لأن تستثار أعصابه " .



الفصل الثامن والعشرون

انضم توم إلى ليلى ماربرى التى كانت تنتظره بالخارج فى إيمبانكمنت .

" ما الأمر ، يا توم ؟ " .

أومأ توم برأسه .

" لقد قابلت المفتش كروم شخصيًا . فهو المسئول عن هذه القضية " .

" ما شكله ؟ " .

" شخص هادئ متصنع ـــــ لا يتطابق مع فكرتى عن المخبر " .

قالت ليلى باحترام : " هذا الشخص من نوع اللورد ترنشارد رئيس القوات الجوية ، وهناك من هم أعظم من ذلك . حسنًا ، ماذا قال لك ؟ " .

قدم لها توم تلخيصًا موجزًا للمقابلة .

قالت له : " ولذلك فهم يعتقدون أنه هو بالفعل " .

" يعتقدون أنه من المحتمل أن يكون هو . وعلى أى حال ، سيأتون ليطرحوا عليه سؤالاً أو اثنين " .

" مسكين ، يا سيد كاست " .

" ليس من الصواب قولك مسكين ، يا حبيبتى . لأنه لو كان هو المجرم ، فقد ارتكب أربع جرائم قتل مروعة " .

تنهدت ليلى وهزت رأسها .

وأبدت ملاحظة قائلة : " الأمر يبدو فظيعًا " .

" والآن ، تعالى لنتناول العشاء ، حبيبتى . عليك أن تفكرى فقط أنه إذا كنا صائبين ، أتوقع أن يظهر اسمى على صفحات الجرائد ! " .

" أوه ! توم ، هل يمكن أن يحدث ذلك ؟ " .

" بكل تأكيد . واسمك أيضًا . واسم والدتك . ويمكننى القول بأنه ستنشر صورتك أيضًا " .

ضغطت ليلى على ذراع توم من فرط سعادتها قائلة : " أوه ، توم " .

" مارأيك فى دعوة لتناول الطعام فى كورنر هاوس ؟ " .

ضعطت ليلى على ذراعه بقوة أكثر .

" هيا بنا" .

" هيا ـــــــ ولكن أمهلنى نصف دقيقة . لأنى أريد أن أجرى مكالمة هاتفية من المحطة " .

" مع من ؟ " .

" مع فتاة كنت سأقابلها " .

سارت عبر الطريق ، وعادت إليه بعد ثلاث دقائق ، ويبدو عليها شيء من التوتر .

وضعت ذراعها في ذراعه .

" والآن يا توم ، أخبرنى المزيد عن سكوتلانديارد . ألم تقابل الشخص الآخر هناك ؟ " .

" من الشخص الآخر ؟ " .

" هذا الرجل البلجيكى . الشخص الذى يكتب إليه المجرم الأبجدى دائمًا " .

" لا ، لم يكن موجودًا هناك " .

" أخبرنى أكثر . ماذا حدث عندما دخلت ؟ من الذى تحدثت إليه ؟ وماذا قلت ؟ " .

وضع السيد كاست السماعة بكل هدوء على الحامل .

ثم عاد إلى المكان الذى كانت تقف فيه السيدة ماربرى عند مدخل الحجرة يقتلها الفضول بشكل واضح .

" قليلاً جدًا ما تتلقى مكالمة هاتفية يا سيد كاست ؟ " .

" لا ـــ لا ، ياسيدة ماربرى . لا أتلقى مكالمات كثيرًا .

" إنى على يقين ، بأنها أخبار سعيدة ، أليس كذلك ؟ " .

كم كان إلحاح المرأة . ولمحت عينه عنوانًا على الجريدة التى كان يحملها .

أعياد ميلاد ـــ حفلات زفاف ـــ وفيات ...

قال بسرعة : " لقد رزقت أختى بصبى صغير " .

هو ـــ لم تكن لديه أخت أبدًا !

" يالهى ! هذا شىء لطيف بالتأكيد . (فهو لم يذكر لمرة واحدة أن له أختًا طوال هذه السنين ، كان هذا هو ما يدور فى عقلها الباطن) . أود القول ، إننى دهشت عندما

طلبت السيدة أن تتكلم إليك . فى البداية تخيلت أنه صوت ليلى (بنتى ـــ فهو يشبه صوتها ، بالفعل ـــ ولكن كان فيه نبرة تكبر إذا كنت تفهم ما أعنى ـــ صوت قوى . حسنًا ، تهانئى ، يا سيد كاست . هل هذا أول مولود ؟ أم لديك أبناء وبنات إخوة آخرون ؟ " .

قال السيد كاست : " هذا هو الوحيد ، الوحيد فى حياتى كلها ، ومن المحتمل أن يكون الوحيد بالنسبة لى و ـــ وأعتقد أنه على أن أذهب على الفور . فهم ـــ فهم يريدون ذهابى إلى هناك . وأنا ـــ أنا أظن أنه يمكننى أن ألحق بالقطار إذا أسرعت " .

قالت السيدة ماربرى أثناء صعود السيد كاست السلم : " هل ستغيب لفترة طويلة ، يا سيد كاست ؟ " .

" لا ، يومين أو ثلاثة ـــ هذا كل ما فى الأمر " .

ثم اختفى السيد كاست فى حجرته . وعادت السيدة ماربرى إلى المطبخ ، وهى تفكر بحزن فى " هذا الطفل الصغير العزيز " .

ثم شعرت بوخز مفاجئ للضمير .

فبالأمس كان توم وليلى والجميع ينقبون فى التواريخ . يحاولون التأكد من أن السيد كاست هو الوحش المخيف " إيه . بى . سى " . وذلك فقط بسبب حروف اسمه وكذلك بعض المصادفات القليلة .

فكرت وقالت فى نفسها بارتياح : " لا أعتقد أنهم كانوا يقصدون ذلك بشكل جدى ، وأتمنى الآن أن يشعروا بخجل من أنفسهم " .

بطريقة ما لم تستطع السيدة ماربرى أن تفهمها ، أزالت عبارة السيد كاست بأن أخته رزقت بمولود كل شك لديها عن صدق وأمانة نزيلها" .

فكرت السيدة ماربرى وهى تختبر المكواة بتقريبها من خدها لكى تكوى قميص ليلى الداخلي: " أتمنى ألا تكون هذه المسكينة قد مرت بوقت عصيب فى الولادة " .

ثم انصرف تفكيرها بصورة تلقائية إلى عملية الولادة .

هبط السيد كاست السلالم بهدوء ، وهو يحمل حقيبة فى يده . ثم ثبتت عيناه لدقيقة على الهاتف .

كانت المحادثة القصيرة ما زالت تتردد فى ذهنه .

" السيد كاست ؟ أعتقد أنه يهمك أن تعرف بأن مفتشًا من سكوتلانديارد ربما يأتى لزيارتك . . . " .

لم يستطع أن يتذكر ما قاله .

" شكرًا ـــــــ شكرًا ، عزيزتى . . . هذا عطف منك . . . " .

شيء كهذا .

لماذا قامت بالاتصال به ؟ هل من الممكن أن تكون قد خمنت ؟ أم أرادت فقط التأكد من بقائه لمقابلة المفتش ؟

ولكن كيف عرفت بأن المفتش قادم إلى هنا ؟

وصوتها ـــــ لقد قامت بتغيير نبرات صوتها حتى لا تعرفها أمها . . .

يبدو ـــــ يبدو ـــــ كأنها كانت تعرف . . .

ولكن إذا كانت تعرف ، ما كانت بالتأكيد . . .

وعلى الرغم من ذلك ، فهو أمر محتمل . فالنساء في غاية الغرابة . في منتهى القسوة ، وفي منتهى العطف على غير المتوقع . ولقد رأى ليلى ذات مرة تطلق فأرا من المصيدة .

فتاة ذات قلب رحيم . . .

بنت عطوفة جميلة . . .

وقف بالقرب من الحامل بما عليه من مظلات ومعاطف .

هل يجب عليه أن . . . ؟

صدرت ضوضاء من المطبخ أجبرته على أن يتخذ القرار . . .

لا ، لم يكن هناك متسع من الوقت . . .

ربما تخرج السيدة ماربرى من المطبخ . . .

فتح الباب الأمامى ، مر من خلاله وأغلقه وراءه . . .

إلى أين . . . ؟

الفصل ٢٩

فى سكوتلانديارد

مؤتمر آخر .

كان الحاضرون هم المفوض المساعد ، والمفتش كروم ، وبوارو وأنا .

كان المفوض المساعد يقول :

" نصيحة جيدة منك ، سيد بوارو ، بخصوص مراجعة مبيعات الجملة للجوارب " .

مد بوارو يديه .

" لقد تأكدنا بأن هذا الرجل لا يمكن أن يكون عميلاً دائمًا . فهو يبيع فوريًا بدلاً من التجول لجمع طلبات شراء " .

" هل حصلت على كل شىء حتى الآن ، أيها المفتش ؟ " .

قال كروم وهو ينظر إلى ملف : " أعتقد ذلك ، سيدى . هل من الممكن أن أقدم اختصارًا بذكر المكان مع التاريخ ؟ " .

" نعم ، من فضلك " .

" لقد قمت بالتحقيق فى ذلك فى تشرستون ، وباينتون وكذلك توركواى . وجمعت قائمة بأسماء الناس

الذين ذهب إليهم وعرض عليهم شراء جوارب . ولابد أن أذكر بأنه كان يقوم بذلك بكل دقة . حيث أقام في بيت وهو فندق صغير بالقرب من محطة تورى . عاد إلى الفندق فى الساعة العاشرة والنصف مساء يوم وقوع حادثة القتل . استقل قطارًا من محطة تشرستون في الساعة التاسعة وسبع وخمسين دقيقة ووصل إلى تورى في تمام الساعة العاشرة والثلث . ولم يتم ملاحظة شخص يحمل أوصافه في القطار أو المحطات ، ولكن يوم الجمعة هذا كان مناسبة سباقات دارتموت ريجاتا وكانت القطارات القادمة من كنجزوير مزدحمة تمامًا .

" وقع نفس الشيء في بيكسهيل . حيث أقام في فندق جلوب موقعًا باسمه . وعرض الجوارب على ما يقرب من اثنى عشر عنوانًا ، من بينهم السيدة برنارد ومقهى جنجر كات . غادر الفندق في ساعة مبكرة من المساء . ووصل عائدًا إلى لندن فى الساعة الحادية عشرة والثلث من صباح اليوم التالى . وفيما يتعلق بحادث أندوفر ، قام بنفس الخطوات . حيث أقام في فندق فيزرز . وقدم الجوارب للسيدة فولر ، جارة السيدة آشر ، وكذلك لستة آخرين فى نفس الشارع . ولقد حصلت على زوج الجوارب الذى اشترته السيدة آشر من بنت أختها (تدعى درور) ـــــ وهى مطابقة تمامًا لما يمتلكه كاست " .

قال المفوض المساعد : " جميل ، حتى الآن " .

قال المفتش : " وبناءً على المعلومات التى وصلت إلينا ، ذهبت إلى العنوان الذى وصفه لنا السيد هارتيجان ، ولكنى اكتشفت أن كاست كان قد غادر المكان قبل ذلك بنصف ساعة . وعلمت بأنه تلقى مكالمة هاتفية . وهى أول مرة يتلقى فيها مكالمة هاتفية ، وهذا ما أخبرتنى به صاحبة العقار" .

تساءل المفوض المساعد قائلاً : " أيمكن أن يكون له شريك ؟ " .

قال بوارو : " من الصعب ، هذا شىء غريب ـــ إلا إذا ـــ " .

نظر الجميع إليه باستفسار عندما توقف عن الكلام . ولكنه هزّ رأسه ، وواصل المفتش الحديث .

" فتشت الحجرة التى كان يقيم فيها بكل دقة . ووضح البحث الأمر كله . لأننا وجدنا صندوقًا يحتوى على ورق مشابه للورق الذى كان يكتب عليه الرسائل ، وكمية كبيرة من الجوارب ـــ وفى مؤخرة الدولاب الذى كانت تخزن فيه الجوارب ـــ كان هناك صندوق له نفس الشكل والحجم ولكن اتضح أنه لا يحتوى على ـــ جوارب ـــ ولكن ثمانية من دليل القطارات الأبجدى التى تم شراؤها حديثاً ! " .

قال المفوض المساعد : " دليل إيجابى " .

قال المفتش وقد غلب على نبرة صوته فجأة الانتصار : " ولقد وجدت شيئاً آخر ، أيضًا ، وجدتها فقط هذا

الصباح ، سيدى . ولم يكن لدى وقت للإبلاغ بذلك . حيث إننا لم نعثر على أى أثر للسكين فى حجرته ـــــ " .

قال بوارو معقبًا : " من الجنون أن يحضرها معه مرة أخرى " .

عقب المفتش : " على كل حال ، فهو شخص غير عاقل ، خطر ببالى أنه أحضر السكين معه إلى المنزل ثم أدرك بعد ذلك خطورة إخفائها (كما أوضح السيد بوارو) فى حجرته ، فبحث عن مكان آخر . فما المكان المحتمل فى المنزل الذى اختاره لإخفائها ؟ أدركت ذلك على الفور . الرف الموجود فى الردهة ـــــ لأنه لن يحرك أحد الرف الموجود فى الردهة . بعد عدة مصاعب أخرجتها من وراء الرف ـــــ فقد كانت هناك ! " .

" السكين ؟ " .

" نعم السكين . لا أدنى شك . والدم الجاف مازال عليها " .

قال المفوض المساعد مستحسنًا الكلام : " أحسنت ، يا كروم ، ونحن الآن فى حاجة لشىء واحد فقط " .

" ما هو ؟ " .

" الرجل نفسه " .

" لا تقلق ، سيدى . فسوف نقبض عليه " .

كانت هناك نبرة من الثقة فى صوته :

" ما رأيك فى ذلك ، يا سيد بوارو ؟ " .

رد بواور وكأنه أفاق من أحد أحلام اليقظة .

" معذرة ؟ " .

" نقول إن الموضوع مسألة وقت حتى نضع أيدينا على هذا الرجل . هل تتفق معنا فى ذلك ؟ " .

" فى ذلك ـــــــ نعم . بلا شك " .

كان صوته يوحى بأنه شارد الذهن مما جعل الآخرين ينظرون إليه باستغراب .

" هل هناك شىء يقلقك ، يا سيد بوارو ؟ " .

" هناك شىء يقلقنى كثيرًا . ما *السبب* ؟ " .

قال المفوض المساعد بشكل يدل على نفاد صبره :

" ولكن صديقى العزيز ، هذا الرجل مجنون " .

قال كروم إنقاذًا للموقف " أفهم ما يعنيه السيد بوارو ، وهو على صواب فى ذلك تمامًا . حيث لابد أن يكون هناك نوع من الجنون والهوس . وأعتقد أننا سنجد أن أصل هذا الموضوع عقدة نقص كبيرة . وربما يكون هناك عقدة اضطهاد ، وإذا كان الأمر كذلك فمن المحتمل أنه يربط هذا الأمر بالسيد بوارو . فمن الممكن أن يكون لديه اعتقاد خاطئ بأن السيد بوارو مخبر تم تجنيده خصيصًا للقبض عليه " .

قال المفوض المساعد : " مم ، هذه هى اللغة التى يتحدث بها الناس هذه الأيام . على أيامى إذا كان الشخص مجنونًا كنا نسميه مجنونًا ولا نبحث عن مصطلحات علمية لتخفيف الحالة . وأنا أعتقد أن طبيبًا

معاصرًا تمامًا سيقترح إحالة شخص فى مثل حالة هذا المجرم إلى إحدى دور العلاج ، ثم يخبره بأنه كان شخصًا لطيفًا طوال مدة الخمسة والأربعين يومًا التى قضاها ثم يسمح له بالخروج كشخص مسئول عن أفعاله فى المجتمع " .

ابتسم بوارو ولكنه لم يجب .

انتهى الاجتماع .

قال المفوض المساعد : " إن القبض عليه مسألة وقت فقط ، كما تقول يا كروم " .

قال المفتش : " كان سيصبح تحت أيدينا الآن لولا مظهره العادى . ولقد سببنا ضيقًا لكثير من المواطنين المسالمين تمامًا " .

قال المفوض المساعد : " أتساءل أين هو الآن ؟ " .

الفصل ٣٠

غير مقتبس من رواية النقيب
هاستنجز الشخصية

وقف السيد كاست عند متجر بيع الخضراوات .

ثم حملق بعينيه فى الطريق .

نعم، لقد كان هذا هو الطريق .

السيدة آشر . بائعة الجرائد والسجائر .

وعلى الشباك الخالى كان هناك لافتة .

للإيجار .

خاليًا . . .

لا حياة فيه . . .

" إذا سمحت ، سيدى " .

كانت زوجة صاحب متجر الخضراوات تحاول الوصول إلى بعض الليمون .

اعتذر، وتحركٍ إلى أحد الجوانب.

ثم مشى متثاقلاً ـــــ عائدًا إلى الشارع الرئيسى فى المدينة . . .

كان وقتًا عصيبًا ـــــ عصيبًا جدًا عليه الآن ـــ فلم يتبق معه أى أموال . . .

وعندما لا يتناول المرء أى شيء طوال النهار فإنه يحس بشعور غريب جدًا ويصبه الدوار . . .

نظر إلى إعلان ملصق خارج أحد متاجر بيع الجرائد .

قضية " إيه . بى . سى " . القاتل مازال طليقًا .

مقابلة السيد هيركيول بوارو .

قال السيد كاست لنفسه :

" السيد هيركيول بوارو ، تُرى . هل يعرف . . . " .

واصل السير مرة أخرى .

لن يفيد الوقوف والنظر إلى هذا الإعلان . . .

فكر :

" لا أستطيع أن أواصل أكثر من هذا . . . " .

كان يرفع قدمًا ويضع أخرى . . . كم كان المشى شيئاً غريبًا . . .

قدم وراء قدم ـــــ أمر مضحك .

ولكن الإنسان حيوان مضحك على أى حال . . .

وهو، ألكساندر بونابرت كاست ، كان مجالاً للسخرية بشكل خاص . . .

ولقد كان كذلك على الدوام . . .

كان الناس دائمًا يسخرون منه . . .

ولم يكن يستطيع أن يلومهم على ذلك . . .

إلى أين يذهب؟ لم يكن يعرف . لقد وصل إلى النهاية . فلم يعد ينظر إلى أى شيء سوى قدميه .

قدم أمام قدم . . .

رفع بصره . كان هناك ضوء أمامه . وحروف . . .
قسم الشرطة .

قال السيد كاست . وهو يقهقه قليلاً : " يا له من أمر مضحك " .

ثم تقدم خطوة إلى الداخل . وفجأة ، أثناء قيامه بذلك ، ترنح وسقط على وجهه .

الفصل ٣١

هيركيول بوارو يطرح أسئلة

فى أحد أيام نوفمبر الصافية ، أتى الطبيب تومسون ورئيس الشرطة جاب لإبلاغ بوارو بنتيجة جلسات المحكمة بخصوص قضية ريكس فى ألكساندر بونابرت كاست .

وكان بوارو قد أصيب بنزلة برد بسيطة منعته من الحضور . ولحسن الحظ لم يصر بوارو على مرافقتى له .

قال جاب : " أحيل للمحاكمة ، هذا كل شيء " .

سألت : " أليس هذا غريبًا ؟ أن يعرض الدفاع فى هذا المرحلة ؟ كنت أعتقد أن المساجين يؤجلون الدفاع عنهم" .

قال جاب : " هذه هى الطريقة المعتادة ، وأعتقد أن الشاب لوكاس ، أحد القضاة ، فكر فى إنهاء الأمر بسرعة . والجنون هو دفاعه الوحيد المحتمل " .

هز بوارو كتفيه .

" مع الجنون من الممكن ألا تكون هناك تبرئة . والحكم بالسجن أثناء احتجازه لن يكون أفضل من الموت " .

قال جاب : " أعتقد أن لوكاس يظن أن هناك فرصة ، لعدم وجوده فى مكان وقوع جريمة بيكسهيل ، وربما

يضعف ذلك القضية بأكملها . وأعتقد أنه لا يدرك مدى خطورة القضية التى بين أيدينا . على أى حال ، لوكاس يهتم بالتمييز . فهو مازال شابًا ويريد أن يجذب انتباه الرأى العام " .

تحول بوارو إلى تومسون .

" ما رأيك ، أيها الطبيب ؟ " .

" رأيى عن كاست ؟ أقسم إنى لا أعرف ما أقول . فهو يقوم بدور العاقل على أتم وجه . ومن المؤكد أنه مصاب بالصرع " .

قلت : " ياله من حل رائع للعقدة " . أتقصد وقوعه أمام قسم شرطة أندوفر أثناء نوبة الصرع . نعم ——— لقد كانت نهاية درامية لإسدال الستار على هذه المسرحية . فلطالما اختار " إيه . بى . سى " توقيت جرائمه جيدًا " .

سألت : " هل من الممكن أن يرتكب شخص جريمة ولا يدرى أنه قام بذلك ؟ فإنكار هذا الرجل يبدو أن فيه مسحة من الصدق " .

ابتسم الطبيب تومسون قليلاً :

" لا يجب أن تنخدع عندما يُقسم أنه لم يفعل شيئاً " . ففى رأيى أن كاست هذا يعرف *تمامًا أنه ارتكب هذه الجرائم* " .

قال كروم : عندما يقسم هؤلاء المجرمون بهذه الحرارة فإنهم يكونون قد ارتكبوا الجرم بالفعل " .

واصل الطبيب الحديث : " بالنسبة لسؤالك، من الممكن تمامًا أن يقوم شخص مجنون حالة سيره أثناء النوم بارتكاب عمل ويكون غير مدرك تمامًا أنه قام بذلك . ولكن الرأى الأرجح أن مثل هذا العمل لابد ألا يتعارض مع رغبة الشخص للقيام به فى حالة اليقظة " .

واستمر الطبيب فى مناقشة الموضوع ، متحدثاً عن الصرع الجزئى ، والصرع الكلى ، ولكى أكون صادقًا ، أربكنى لدرجة اليأس ، تمامًا كما يسهب ويطيل الشخص المتعلم فى التحدث عن تخصصه .

" مع ذلك ، فأنا ضد نظرية أن كاست قد ارتكب هذه الجرائم دون أن يدرى أنه قام بذلك . كان من الممكن أن نحبذ هذه النظرية لولا الرسائل . فالرسائل قد تبطل هذه النظرية . لأنها توضح أن هناك سبق إصرار وتعمد وتخطيط محكم للقيام بالجريمة" .

قال بوارو : " ولم نستطع حتى الآن أن نعرف أى تفسير لهذه الخطابات " .

" أهذا ما يشغلك ؟ " .

" طبيعى ـــــ لأنها مرسلة إلى . وبالنسبة للرسائل يصر كاست على أن يلتزم بالصمت . ولن أشعر بأن هذه القضية قد انتهت حتى أصل إلى سبب إرسالها إلى " .

قال الطبيب : " نعم ـــــ أستطيع أن أفهم ذلك من وجهة نظرك . ألا يبدو أن هناك مبررًا للاعتقاد بأن هذا الرجل بينه وبينك عداوة بأى شكل من الأشكال ؟ " .

" أبدًا " .

قال الطبيب : " من الممكن أن أبدى اقتراحًا . السبب هو اسمك ! " .

" اسمى ؟ " .

" نعم . فهو مُثقل — وهذا من الواضح بسبب أمه (عقدة أوديب ، ولا يجب أن أتعجب لذلك !) — التى أسمته باثنين من الأسماء الرنانة : ألكساندر وبونابرت . هل تستطيع أن تفهم المعنى الضمنى لهذا ؟ فـ " ألكساندر " — أو الإسكندر الأكبر المزعوم عامة بأنه لم يقهر والذى كان يطمح لأن يغزو أكبر جزء من العالم . وبونابرت — الإمبراطور الفرنسى العظيم . فهذا الرجل يريد خصمًا له — خصمًا ، من الممكن القول ، من نفس طبقته . وأنت — هيركيول ، أى هرقل القوى " .

" كلماتك موحية جدًا ، أيها الطبيب . فهى تولد الأفكار . . . " .

" إنه مجرد اقتراح . علىّ أن أنصرف الآن " .

خرج الطبيب تومسون وظل جاب جالسًا .

سأل بوارو : " هل تقلقك حجة الغياب تلك ؟ " .

اعترف المفتش : " قليلاً ، ولكن ضع فى حسبانك بأنى لا أصدق ذلك ، لأنى أعرف أن ذلك ليس صحيحًا . ولكنه سيكون اللغز الذى سنقوم بحله . فهذا الرجل " سترينج " شخصية صعبة " .

" صفه لى " .

" رجل في الأربعين من عمره . مهندس تعدين ، واثق من نفسه ، يتسم بالخشونة ويتملكه الغرور . في رأيي أنه هو الذى أصر على أن يؤخذ بالدليل الذى قدمه . فهو يريد الذهاب إلى شيلى . ويتمنى أن يحسم الأمر في الحال " .

قلت : " إنه واحد من أكثر الناس الإيجابيين الذين قابلتهم في حياتي " .

قال بوارو باهتمام : " نوع من الرجال الذين لا يريدون أن يعترفوا بأنهم مخطئون " .

" إنه يتمسك بما قال ولا يمكن أن تضايقه كثرة الأسئلة . ويقسم بأغلظ الأيمان بأنه رأى كاست في فندق وايتهورس في إيستبورن مساء يوم ٢٤ يوليو . وكان بمفرده وأراد أن يتحدث إلى شخص ما . حسبما أعلم، كان كاست مستمعًا نموذجيًا . فهو لا يقاطع ! وبعد تناول العشاء لعب هو وكاست لعبة الدومينو . يبدو أن سترينج كان حوتًا في لعبة الدمينو وما أدهشه أن كاست كان ماهرًا في ذلك أيضًا . فالدومينو لعبة غريبة . يعشقها الناس . ويقضون الساعات في لعبها . وهذا ما فعله كاست وسترينج بكل وضوح . أراد كاست أن يأوى إلى الفراش ولكن لم يتركه سترينج ـــــ وأقسم بأن يواصلا اللعب حتى منتصف الليل على الأقل . وهذا ما فعلاه . فلقد تفرقا بعد منتصف الليل بعشر دقائق تقريبًا . وعليه لو كان كاست في فندق وايتهورس في إيستبورن

فـي الـساعة الثانيـة عـشرة وعـشر دقـائق صـباحًا فـي يوم ٢٥ يوليـو ، فـلا يمكـن أن يقـوم بخنـق بيتـي برنـارد علـى شـاطئ بيكـسهيل بـين منتـصف الليـل والـساعة الواحدة .

قـال بـوارو باهتمـام : " إنهـا قـضية صـعبة ، تـدفع الإنسان إلى إعمال فكره " .

قال جاب : " لقد أمدت كروم بشيء يفكر فيه " .

" هل هذا المدعو سترينج متأكد تمامًا ؟ " .

" نعم . إنه شيطان عنيد . ومن الصعب أن تعرف أيـن تقع الثغـرة . لـنفترض أن سـترينج مخطـئ وأن الرجـل لم يكن كاست ـــــ فلمـاذا يقـول إن اسمـه هـو كاسـت ؟ والكتابـة الموجـودة فـي سـجل الفنـدق هـي كتابتـه . ولا يمكنك أن تقول إنه شريكه ـــــ فالقتلـة المهووسـون لـيس لهـم شـركاء! هـل ماتـت الفتـاة بعـد ذلـك ؟ لقـد كان الطبيب حازمًا تمامًا في الـدليل الـذى قدمـه ، وعلـى أى حال سيستغرق الأمر مـن كاسـت بعـض الوقـت حتـى يخـرج مـن الفنـدق فـي إيـستبورن دون أن يلحظـه أحـد وأن يصل إلى بيكسهيل ـــــ على بعد أربعـة عـشر مـيلاً تقريبًا ـــــ " .

قال بوارو : " نعم ـــــ إنها مشكلة " .

قال جاب : " من المؤكد عنـدما نتحـدث بجديـة ، لا يهم كل هذا . فكاست مدان في حادث دونكاستر ـــــ المعطف الملطخ بالدماء ، السكين ـــــ ليس هناك مهرب .

لا يمكنك أن تقنع أى هيئة محلفين بتبرئته . ولكن هذا الإنكار يفسد قضية كبيرة . لقد ارتكب حادث دونكاستر . وحادث تشرستون . وارتكب جريمة قتل أندوفر . ومن ثم، أقسم ، إنه من المؤكد أنه هو الذى ارتكب جريمة بيكسهيل . ولكننى لا أستطيع فهم كيف قام بتنفيذ ذلك ! " .

ثم هز رأسه ونهض من مكانه .

وقال : " إنها فرصتك الآن ، يا سيد بوارو ، كروم فى منتهى الحيرة . فعليك أن تمارس مهارتك الذهنية التى سمعت عنها كثيرًا . وأرنا كيف قام بذلك " .

غادر جاب المكان .

قلت : " مارأيك فى هذا ، يا بوارو ؟ هل خلايا مخك الرمادية الصغيرة قادرة على النهوض بهذه المهمة ؟ " .

أجاب بوارو بسؤالى بسؤال آخر : " قل لى يا هاستنجز ، هل تعتقد أن هذه القضية انتهت ؟ " .

أجبته : " من الناحية العملية ـــــ نعم انتهت . فها هو القاتل بين أيدينا . ولدينا أيضًا معظم الأدلة . وكل ما نريده فقط هو اللمسات النهائية " .

هزّ بوارو رأسه .

" هذه القضية انتهت! القضية! القضية هى *الرجل* ، يا هاستنجز . ستظل هذه القضية لغزًا كبيرًا كما كانت حتى نعرف كل شىء عن الرجل . ووضعه فى قفص الاتهام لا يعد انتصارًا ! " .

" نحن نعرف قدرًا معقولاً عنه " .

" نحن لا نعرف عنه شيئاً على الإطلاق ! فنحن نعرف أين ولد . ونعرف أنه اشترك في الحرب وعانى جرحًا طفيفًا في الرأس وأنه قد تم عزله من الخدمة في الجيش بسبب إصابته بالصرع . ونعرف أنه يقيم عند السيدة ماربرى منذ ما يقرب من عامين . ونعرف أنه كان هادئًا ومنطويًا على نفسه ـــــ رجلاً لا يأبه به أحد . ونعلم بأنه اخترع ونفذ خطة ماهرة جدًا من القتل المنظم . ونعرف أنه يرتكب حماقات كبيرة للغاية . ونعرف أنه كان يقتل بقسوة ودون رحمة . ونعلم ، أيضًا ، بأنه كان يتميز بعطف كبير لدرجة ألا يلقى بلوم جرائمه التي ارتكبها على شخص آخر . فإذا كان يريد أن يقتل دون أن يصيبه أذى ـــــ فما مدى سهولة أن يدع الآخرين يتحملون مسئولية جرائمه . ألم تلحظ يا هاستنجز أن هذا الرجل هو كتلة من المتناقضات ؟ غبيًا وفي منتهى الذكاء ، في منتهى القسوة *والنُبل* ـــــ *وأنه لابد أن يكون هناك عامل سائد يجمع بين هاتين الطبيعتين* " .

قلت : " بالتأكيد ، إذا نظرت إليه من الناحية النفسية " .

" ما الذي زاد على هذه القضية منذ بدايتها ؟ طوال الوقت وأنا أتلمس طريقي ـــــ محاولاً *أن أتعرف على*

شخصية . والآن أدرك يا هاستنجز ، أنني *لا أعرف عنه شيئاً على الإطلاق* ! إني في غاية الحيرة " .

قلت : " ربما تكون الرغبة في السلطة ـــــ " .

" نعم ربما يفسر ذلك الأمر إلى حد كبير . . . ولكن ذلك لا يرضيني . فهناك أشياء أريد الوصول إليها . لماذا ارتكب هذه الجرائم ؟ ولماذا اختار هؤلاء الأشخاص بالذات ـــــ ؟ " .

قلت : " كان اختياره حسب الترتيب الأبجدي " .

" هل كانت بيتي برنارد الشخص الوحيد في بيكسهيل الذى يبدأ اسمه بحرف " بى " ؟ بيتي برنارد ـــــ لقد خطرت لى فكرة هناك . . . ينبغي أن تكون صحيحة ـــــ بل لابد أن تكون صحيحة . ولكن إذا كان الأمر كذلك ـــــ " .

صمت لبعض الوقت . ولم أرد أن أقاطعه .

فى الحقيقة، أعتقد أنه قد غلبنى النوم .

استيقظت لأجد يد بوارو على كتفى .

قال بعطف " *صديقى العزيز هاستنجز* ، صديقى العبقري " .

ملأتنى الحيرة الشديدة من لمحة التقدير المفاجئة هذه .

قال بوارو بأصرار : " حقًا ، أنت دائمًا ـــــ دائمًا تساعدنى ـــــ وتجلب لى الحظ . أنت مصدر إلهامى " .

سألت : " كيف ألهمتك هذه المرة ؟ " .

" بينما كنت أطرح أسئلة معينة على نفسى تذكرت ملاحظة لك ـــ ملاحظة مضيئة للغاية فى وضوحها . ألم أخبرك مرة بأنك عبقرى فى إبراز الأشياء الواضحة . إنه الوضوح الذى كنت قد أهملته " .

سألت : " ما ملاحظتى العبقرية هذه ؟ " .

" إنها تجعل الأمور فى غاية الوضوح . أرى إجابات لكل أسئلتى . سبب مقتل السيدة آشر (وللحق ، إنى لمحت ذلك منذ فترة طويلة) ، وسبب مقتل السيد كارمايكل كلارك ، وسبب جريمة دونكاستر ، وأخيرًا وهو الأهم، سبب توجيه ذلك لـ هيركيول بوارو " .

سألت : " هل من الممكن أن توضح لى ؟ " .

" ليس الآن . فإنى فى حاجة إلى مزيد من المعلومات . وهذا ما سأحصل عليه من فريقنا الخاص . وبعدها ـــ بعدها ، *عندما أحصل على إجابة لسؤال معين ، سأذهب لزيارة " إيه . بى . سى "* . وسنكون وجهًا لوجه فى النهاية ـــ " إيه . بى . سى " وهيركيول بوارو ـــ الأنداد " .

سألت : " وبعد ذلك ؟ " .

قال بوارو : " وبعد ذلك ، سنتحدث ! *وأؤكد لك ، ياهاستنجز* ـــ أنه لا يوجد شىء أخطر *على أى شخص لديه شىء يخفيه* من الحوار ! فالكلام ، كما قال لى حكيم فرنسى عجوز يومًا ، هو اختراع قام به الإنسان ليمنعه من التفكير . وهو أيضًا وسيلة ناجحة لاكتشاف ما يريد أن

يخفيه الإنسان . إن الإنسان ، يا هاستنجز ، لا يستطيع أن يقاوم فرصة يظهر فيها نفسه ويعبر عن شخصيته وهذا ما يوفره له الكلام . وكل مرة يتحدث يكشف أسرار نفسه " .

" ماذا تتوقع أن يخبرك به كاست ؟ " .

ضحك هيركيول بوارو وقال : " كذبة ، ومن خلالها ، سأصل للحقيقة ! " .

الفصل ٣٢

اصطد الثعلب

كان بوارو في الأيام القليلة التالية مشغولاً جدًا . كان يتغيب بشكل غامض ، وكان قليل الكلام ، مكفهر الوجه ، ويرفض بإصرار أن يرضي فضولي فيما يتعلق بالذكاء الذي أظهرته في الماضي ، حسب كلامه .

ولم يدعني لمرافقته في مجيئه أو ذهابه ـــــ وهي حقيقة أحزنتني إلى حد ما .

مع ذلك، مع اقتراب نهاية الأسبوع ، أعلن عن عزمه القيام بزيارة لبيكسهيل والمنطقة المجاورة لها واقترح على المجيء معه . وبالطبع قبلت بكل حماس .

ثم اكتشفت أن الدعوة غير مقصورة عليّ وحدى ، بل وجهت لكل أفراد فريقنا الخاص أيضًا .

كان بوارو قد أثار فضولهم كما أثار فضولي . مع ذلك ، قبل نهاية اليوم ، كنت قد توصلت إلى الاتجاه الذي ينصرف إليه تفكير بوارو .

قام أولاً بزيارة إلى عائلة برنارد وحصل على تقرير دقيق من السيدة برنارد عن الساعة التي قام السيد كاست بزيارتها فيها وما قاله بالضبط . ثم ذهب بعد ذلك إلى الفندق الذي أقام فيه كاست ، وحصل على وصف دقيق

لمغادرة هذا الرجل . وعلى حسب تقديرى ، أنه لم يحصل على حقائق جديدة من خلال أسئلته ولكنه كان يبدو مقتنعًا تمامًا .

ثم اتجه بعد ذلك إلى الشاطئ ـــــ إلى المكان الذى وجدت فيه جثة بيتى برنارد . وهناك أخذ يدور فى حلقات لعدة دقائق وهو يدرس الحصى بكل عناية . ولم أر فائدة كبيرة فى ذلك ، حيث إن المد يغطى هذه البقعة مرتين فى اليوم .

مع ذلك علمت فى هذا الوقت بأن فكرة تملى على بوارو أفعاله عادة ـــــ على الرغم من أن هذه الأفعال تبدو لا معنى لها .

ثم مشى من الشاطئ إلى أقرب نقطة كان من الممكن أن تقف فيها سيارة . ومن هذا المكان ذهب مرة أخرى إلى المكان الذى تنتظر فيه الحافلات قبل أن تغادر بيكسهيل .

فى النهاية ، توجه بنا جميعًا إلى مقهى جنجر كات ، حيث تناولنا شايًا باردًا إلى حد ما قدمته لنا النادلة البدينة ميلى هيجلى .

ثم بدأ يمدح بأسلوب فرنسى جارف شكل كاحليها .

" سيقان الإنجليزيات ـــــ رفيعة أكثر من اللازم دائمًا ! ولكنك ، يا آنسة ، لك سيقان رائعة . فساقك لها شكل ـــــ ولها كاحل ! " .

ضحكت ميلى هيجلى كثيرًا وقالت له ألا يستمر فى ذلك . فهى تعرف أسلوب الرجال الفرنسيين .

لم يكلف بوارو نفسه عناء معارضة خطئها فيما يتعلق بجنسيته . كل ما فعله أنه سدد إليها نظرة مليئة بالعواطف بطريقة أثارت حيرتى ووصلت بى إلى حد الصدمة تقريبًا .

قال بوارو : " هكذا ، قد انتهيت من بيكسهيل . والآن سأذهب إلى إيستبورن . هناك شىء أود أن أستفسر عنه هناك ـ هذا كل ما فى ذلك . ولا حاجة بأن تأتوا جميعًا معى . أما الآن فهيا بنا نعد إلى الفندق ونتناول الكوكتيل . فشاى كارلتون هذا ، كان سيئًا للغاية ! " .

أثناء تناولنا لمشروب الكوكتيل قال فرانكلين كلارك بفضول :

" أعتقد أننا يمكن أن نخمن ما الذى تسعى إليه ، إنك تسعى جاهدًا لإضعاف ادعاء المتهم بأنه كان فى مكان آخر عند وقوع الجريمة . ولكننى لا أستطيع أن أفهم ما هو الشىء الذى يجعلك سعيدًا هكذا ، فأنت لم تحصل على أى حقيقة جديدة من أى نوع " .

" لا ــــــ هذا صحيح " .

" ماذا بعد ذلك ؟ " .

" الصبر. فكل شىء سيأخذ مكانه الصحيح، مع الوقت " .

" على أى حال تبدو سعيدًا بنفسك تمامًا " .

" لم يتعارض أى شيء مع فكرتي الصغيرة حتى الآن ـــ وهذا هو السبب " .

ثم بدت الجدية على وجهه .

" أخبرني صديقى ، هاستنجز ، ذات مرة بأنه ، عندما كان صغيرًا ، كان يلعب لعبة تسمى الصدق . فى هذه اللعبة كان يُطرح كل فرد بالدور ثلاثة أسئلة ـــــ يجيب عن سؤالين منهما بكل صدق . أما الثالث فمن الممكن عدم إجابته . ومن الطبيعى أن الأسئلة كانت من أكثر أنواع الأسئلة صراحة . ولكن فى البداية كان على كل شخص أن يقسم بأن يقول الصدق ، كل الصدق ، ولا شيء غير الصدق " .

توقف عن الكلام .

قالت ميجان : " حسنًا ؟ " .

" حسنًا ، أنا أريد أن ألعب هذه اللعبة . وليس بالضرورة أن يكون هناك ثلاثة أسئلة ، يكفى سؤال واحد . سؤال واحد لكل واحد منكم " .

قال فرانكلين كلارك بضيق : " سنجيب عن أى شيء ، بالتأكيد " .

" ولكنى أريد أن تكون هناك جدية أكثر من هذا . هل تقسمون جميعًا أن تقولوا الصدق ؟ " .

كان يتكلم بمنتهى الجدية لدرجة أن الباقين ، تحيروا ، وأصبحوا فى مثل جديته . وأقسم الجميع على طلبه .

قال بوارو بسرعة : " حسنًا ، لنبدأ ــــــ " .
قالت ثورا جراى : " أنا مستعدة " .
" نعم ، ولكنّ مبدأ السيدات أولاً لن يكون هو القاعدة هذه المرة . سنبدأ من مكان آخر " .
التفت إلى فرانكلين كلارك .
" ماذا كان رأيك، *يا عزيزى كلارك* ، فى القبعات التى كانت ترتديها السيدات فى أسكوت هذا العام ؟ " .
حملق فيه فرانكلين كلارك .
" هل هذه نكتة ؟ " .
" بالطبع لا " .
" هل هذا هو السؤال فعلاً ؟ " .
" نعم هو " .
ابتسم فرانكلين ابتسامة عريضة .
" حسناً ، يا سيد بوارو ، فأنا فى الحقيقة لم أذهب إلى أسكوت ، ولكن ما رأيته منهن أثناء قيادتهن للسيارات ، كانت قبعات النساء فى أسكوت تثير الضحك أكثر من القبعات التى يلبسنها فى العادة " .
" كانت رائعة ؟ " .
" رائعة تمامًا " .
ابتسم بوارو وتحول إلى دونالد فريزر .
" متى قضيت إجازتك هذا العام سيدى ؟ " .
كانت هذه المرة هى دور فريزر فى أن يحملق فى بوارو .

" إجازتى ؟ كانت فى أول أسبوعين فى شهر أغسطس " .

جفل وجهه فجأة . خمنت أن السؤال قد ذكره بفقدان الفتاة التى كان يحبها.

ولكن بوارو لم يبد اهتمامًا كبيرًا للرد على السؤال . واتجه إلى ثورا جراى وسمعت تغيرًا طفيفًا فى نبرة صوته ، حيث أصبح أكثر صرامة . وكان السؤال حادًا وواضحًا .

" يا آنسة ، هل كنت ستتزوجين السيد كارمايكل فرانكلين فى حالة وفاة زوجته وطلبه منك ذلك ؟ " .

نهضت الفتاة .

" كيف تجرؤ على أن تسألنى مثل هذا السؤال . إنه فى غاية الإهانة ! " .

" محتمل . ولكنك أقسمت أن تقولى الحق . إذن ـــــ نعم أم لا ؟ " .

" كان السيد كارمايكل عطوفًا على بشكل رائع . وكان يعاملنى كابنته . وكان هذا هو شعورى نحوه ـــــ إنه إعجاب وعرفان بالجميل " .

" معذرة ، ولكن هذه ليست إجابة عن سؤال نعم أم لا ، يا آنسة " .

ترددت .

" الإجابة ، بالطبع ، لا ! " .

لم يبد بوارو أى تعليق .

" شكرًا ، يا آنسة " .

ثم التفت إلى ميجان برنارد . كان وجه الفتاة في منتهى الشحوب . وكانت تتنفس بصعوبة وكأنها تستعد لمواجهة محنة " .

جاء صوت بوارو وكأنه ضربة بسوط .

" ماذا تأملين أن تكون نتيجة تحقيقاتي ، يا آنسة ؟ هل تودين أن أصل إلى الحقيقة ــــ أم لا ؟ " .

ألقت رأسها إلى الوراء بكبرياء . وكنت واثقًا من ردها . فـ ميجان ، كما أعلم ، لديها ولع شديد بالحقيقة " .

جاء ردها واضحًا ـــــــ وأصابني بالذهول .

" لا ! " .

قفزنا جميعًا . ومال بوارو للأمام يتفرس في وجهها .

وقال : " آنسة ميجان ، ربما لا تريدين أن أصل إلى الحقيقة ولكن يمكنك التحدث بها ! " .

ثم توجه إلى الباب ، بعد ذلك، وهو يفكر، وذهب إلى ماري درور .

" أخبريني ، يا طفلتي ، هل لديك صديق ؟ " .

ظهرت على ماري ، التي كانت قلقة ، علامات الارتباك واحمر وجهها .

" سيد بوارو . أنا ـــــ أنا ـــــ حسنًا ، أنا لست متأكدة " .

ابتسم بوارو .

" حسنًا ، هذا رائع ، يا طفلتي " .

استدار إلى .

قال : " هيا ، يا هاستنجز ، لابد أن نتجه إلى إيستبورن " . كانت السيارة فى انتظارنا وفى الحال كنا نقود عبر الطريق الساحلى الذى يؤدى إلى إيستبورن عن طريق بيفنسى .

قلت : " هل يمكن أن أطرح عليك سؤالاً ، يا بوارو ؟ " .

" ليس الآن . حاول أن تصل إلى استنتاجاتك بنفسك فيما يتعلق بما أقوم به الآن " .

التزمت الصمت .

غنى بوارو ، المزهو بنفسه ، أغنية قصيرة . وأثناء مرورنا عبر بيفنسى اقترح بأن نقف لنلقى نظرة على القلعة .

فى طريق عودتنا إلى السيارة، توقفنا لحظة لمشاهدة مجموعة من الأطفال الذين كانوا يغنون أغنية قصيرة بأصوات عالية غير متسقة فى الأداء . . . .

" ماذا يقولون ، يا هاستنجز ؟ فأنا لا أستطيع أن أتبين الكلمات " .

أرهفت سمعى ـــــــ حتى التقطت عبارة واحدة .

" ـــــــ واصطد الثعلب
وضعه فى القفص
وحذار أن يهرب " .

كـرر بـوارو " اصـطد الثعلـب ، وضـعوه فـى الـصندوق وحذارى أن يهرب ! " .

ثم بدت الجدية والعبوس على وجهه فجأة .

" فظيع هذا جدًا يا هاستنجز " . ثم صمت لدقيقـة : " هل تصيد الثعالب هنا ؟ " .

" أنـا لا أفعـل ذلـك . لم أسـتطع أبـدًا تحمـل نفقـات الصيد . وأعتقد أنه لا يوجد كميـة كـبيرة مـن الـصيد فـى هذه البقعة من العالم " .

قال بوارو : " أقـصد فـى إنجلـترا بوجـه عـام . فهـى رياضـة غريبـة . حيـث يـتم الانتظـار فـى أمـاكن اختبـاء الطرائد ـــــ وبعد ذلك يكون هناك صوت نداء القنـاص عند رؤية الثعلب تنبيهًا للكلاب ، أليس كذلك ؟ ـــــ وبعد ذلك تبدأ المطاردة ـــ فى الريف ـــ وعبر أسوار الشجر والترع ـــ ويجرى الثعلب ـــ وأحيانًا يحـاول العودة ـــ ولكن الكلاب ـــــ " .

" كلاب الصيد ! " .

" ـــــ كلاب الصيد تلاحقه ، وفى النهاية يقـع فـى مخالبها ويموت ـــــ بسرعة ووحشية " .

" أعتقد أن ذلك يبدو قاسيًا ، لكن بالفعل ـــــ " .

" يستمتع الثعلـب بـذلك ؟ لا تقـل هـذه الحماقـات ، يا صديقى . مع ذلك ـــ إن هذا الموت القاسى السريع ـــ أفضل ـــ مما كان يغنيه هؤلاء الأطفال . . .

" أن يغلق عليه ـــ فى قفص ـــ للأبد . . . لا ، هذا ليس جيدًا " .

ثم هزّ رأسه . وبعد ذلك قال ، مع تغير فى نبرة صوته :

" غدًا سأتوجه لزيارة هذا الرجل كاست " ، ثم قال للسائق :

" عد بنا إلى لندن " .

صحت قائلاً : " ألن تذهب إلى إيستبورن ؟ " .

" ما فائدة ذلك ؟ لقد علمت ـــ ما يفى بالغرض تمامًا " .

الفصل ٣٣

ألكساندر بونابرت كاست

لم أحضر اللقاء الذى تم بين بوارو وهذا الرجل الغريب ـــ ألكساندر بونابرت كاست . ولم يجد بوارو أى صعوبة فى الحصول على تصريح من وزارة الداخلية لزيارة كاست ، وذلك لارتباطه بالشرطة والملابسات الغريبة للقضية ـــ ولكن هذا التصريح لم يشملنى ، وعلى أى حال ، من وجهة نظر بوارو ، كان لابد أن تكون المقابلة سرية للغاية ـــ وأن تكون بينهما وجهًا لوجه .

ومع ذلك ، فقد أعطانى تقريرًا مفصلاً عما دار بينهما، لدرجة أنى دونته بثقة كبيرة على الورق وكأنى كنت موجودًا بالفعل .

كان يبدو أن السيد كاست قد تقلص حجمه . وأصبح انحناء ظهره أكثر وضوحًا . وكانت أصابعه تمسك بمعطفه بشكل غريب .

خمنت أن بوارو لم يتحدث لبعض الوقت ، وأنه جلس وأخذ ينظر للرجل الذى أمامه .

وأصبح الجو هادئاً ـــ يدعو للسكينة ـــ وكأن الزمن يمشى ببطء شديد . . . .

من المؤكد أنها كانت لحظة درامية ـــــ هذه المقابلة بين ندّين في مسرحية طويلة . لو كنت فى مكان بوارو كنت سأشعر بالإثارة .

ولكن بوارو، لا يتميز إلا بالواقعية. حيث كان منهمكًا في خلق تأثير معين على الرجل الجالس أمامه .

وفى النهاية قال بلطف :

" هل تعرف من أنا ؟ " .

هز الآخر رأسه .

" لا ـــــ لا ـــــ لا يمكننى القول بأنى أعرفك. إلا إذا كنت من مكتب السيد لوكاس ـــــ جونيور . أو من المحتمل أن تكون قادمًا من عند السيدماينرد ؟ " .

(كان ماينرد وكول محامى الدفاع عنه)

كانت نبرة صوته تنم عن الأدب ولكنها لا تنم عن الاهتمام . ويبدو أنه كان غارقًا فى شرود داخلي .

" أنا هيركيول بوارو . . . . " .

قال بوارو الكلمات بلطف شديد . . . . وأخذ يراقب وقع هذه الكلمات عليه .

رفع السيد كاست رأسه قليلاً .

" أحقًا ؟ " .

قالها بشكل طبيعى كما يقولها المفتش كروم ـــــ ولكن دون شموخ وكبرياء .

ثم ، بعد دقيقة ، كرر تعليقه .

" أحقًا ؟ " قالها هذه المرة ، مع تغير فى نبرة صوته ــــ حيث ظهر فيها بعض الاهتمام . ثم رفع رأسه ونظر إلى بوارو .

بادله بوارو النظرة ثم أومأ برأسه مرة أو مرتين .

وقال : " نعم ، أنا الرجل الذى كنت تبعث إليه بالرسائل " .

انكسر التواصل البصرى بينهما فجأة . وخفض كاست عينيه وتحدث بعصبية واضطراب.

" أنا لم أكتب إليك أبدًا . هذه الرسائل ليست مني . ولقد قلت ذلك مرات ومرات " .

قال بوارو : " أعلم هذا ، ولكن إذا لم يكن أنت الذى كتبها، فمن الذى فعل ذلك ؟ " .

" عدو ما. لابد أن لى عدوًا . كلهم ضدي . الشرطة ــــ وكل الناس ــــ كلهم ضدي . إنها مؤامرة كبيرة " .

لم يرد بوارو .

قال كاست : " إنى أعانى دائمًا من ظلم الجميع " .

" حتى عندما كنت طفلاً ؟ " .

يبدو أن كاست كان يفكر فى السؤال .

" لا ــــ لا ــــ ليس بالضبط فى هذه المرحلة . كانت أمى تحبنى حبًا شديدًا . ولكنها كانت طموحة ــ طموحة للغاية . وهذا هو سبب تسميتها لى بهذه الألقاب المضحكة . فلقد كان لديها فكرة غريبة بأنى سأكون

شخصًا مهمًا فى هذا العالم . وكانت تحثنى دائمًا على تأكيد ذاتى . . . . . وتتحدث عن قوة الإرادة . . . . . قائلة إن أى شخص يستطيع بأن يكون سيد مصيره . . . وقالت إننى أستطيع أن فعل أى شئ ! " .

ثم صمت لدقيقة .

" كانت مخطئة تمامًا ، بكل تأكيد . وأدركت ذلك بنفسى بسرعة . فلم أكن بالشخص الذى يستطيع تحقيق النجاح فى الحياة . كنت أرتكب كثيرًا من الحماقات ــــ مما كان يجعلنى مثاراً لسخرية الآخرين . وكنت جبانًا ــــ أهاب الناس . ومررت بوقت عصيب فى المدرسة ــــ حيث اكتشف الأولاد لقبى ــــ واعتادوا على السخرية منى بسببه . . . . وكان تقدمى الدراسى فى غاية السوء ــــ وفى الرياضة وفى العمل وفى كل شئ " .

هزّ رأسه وقال :

" ماتت أمى المسكينة . وهذا أفضل وإلا كانت خيبة الأمل ستصيبها . . . . وحتى عندما التحقت بالمدرسة التجارية ، كان الغباء يلازمنى ــــ فلقد استغرقت وقتًا أطول من الآخرين لكى أتعلم الكتابة على الآلة الكاتبة وعملية الاختزال . ومع ذلك لم أشعر بأننى غبى ــــ إن كنت تعلم ما أقصد " .

ثم وجه نظرة توسل مفاجئة إلى بوارو .

قال بوارو : " نعم أعلم ما تقصد ، أكمل " .

" لقد كان الشعور بأن الآخرين *يعتقدون* أنى غبى شعورًا يصيب بالعجز . وحدث نفس الشىء فى المكتب الذى عملت فيه بعد ذلك " .

قال بوارو مشجعًا : " وماذا حدث بعد ذلك فى الحرب ؟ " .

أشرق وجه السيد كاست فجأة.

قال: " أتعلم أننى استمتعت بالحرب . أو ما منحتنى إياه ، وهو أننى شعرت لأول مرة ، بأننى إنسان سوى مثل الآخرين . حيث كنا جميعًا فى وضع واحد . وكنت فى مثل كفاءة الآخرين " .

فارقت الابتسامة شفتيه .

" وبعد ذلك أصبت بهذا الجرح فى رأسي . جرح سطحى . ولكنهم اكتشفوا أن نوبات صرع تنتابنى . . . . وقد علمت ، بأنه كانت هناك أوقات لم أكن مدركًا فيها تمامًا لما أقوم به. حالات من غياب العقل ، كما تعلم . وقد سقطت مرة أو مرتين بالتأكيد . ولكنى لا أعتقد حقًا أنهم فصلونى من العمل بسبب هذا . لا ، لا أعتقد أن هذا صحيحً " .

سأل بوارو : " وماذا حدث بعد ذلك ؟ " .

" تعينت كموظف كتابى فى إحدى الشركات . كان راتبى قبل ذلك كبيرًا . ولم يكن أدائى سيئاً جدًا بعد الحرب . ولكن بالطبع ، أصبح راتبى أقل . . . . و ـــــ ولم يبد أننى أتقدم . حيث كان يتم تجاهلى

دائمًا في الترقية . فلم أكن نشيطًا بدرجة كافية . ثم زاد الأمر صعوبة على ـــ وأصبح صعبًا للغاية . . . . وخصوصًا في وقت الكساد . بكل صراحة، لم يكن معي تقريبًا ما يسد رمقي (يجب أن تكون ذا مظهر أنيق كموظف) عندما تلقيت عرضًا للعمل في بيع الجوارب بمرتب وعمولة ! " .

قال بوارو بلطف :

" ولكنك تدرك ، أليس كذلك ، أن الشركة التي عينتك كما تقول تنكر ذلك ؟ " .

ثار السيد كاست مرة ثانية .

" هذا لأنهم أحد أطراف هذه المؤامرة ـــ من المؤكد أنهم متورطون في هذه المؤامرة .

" ومعي دليل كتابي ـــ معي دليل كتابي . فلقد تلقيت منهم خطابات ، يبلغونني فيها بتعليماتهم بخصوص الأماكن التي أذهب إليها وقائمة بأسماء الناس الذين أقوم بزيارتهم " .

" ليس دليلاً كتابيًا بالمعنى الدقيق ـــ وإنما دليل مكتوب على آلة كاتبة " .

" نفس الشيء . فمن المعروف أن الشركات الكبرى التي تبيع بالجملة تقوم بطبع خطاباتها " .

" ألا تعلم يا سيد كاست ، بأن الآلة الكاتبة يمكن التعرف عليها ؟ وكل هذه الخطابات قد كتبت على آلة واحدة بعينها " .

" وما أهمية ذلك ؟ " .

" هذه الآلة هي خاصتك ـــــ الآلة التى تم العثور عليها فى حجرتك " .

" لقد أرسلتها لى الشركة فى بداية عملى معها " .

" صحيح، ولكن هذه الخطابات تم تلقيها بعد هذا ، ومن هنا يبدو وكأنك قمت بكتابة هذه الخطابات بنفسك ، وأرسلتها إلى نفسك ، أليس كذلك ؟ " .

" كلا ، كلا ! إن ذلك جزء من المؤامرة التى حيكت ضدي ! " .

ثم أضاف فجأة :

" بالإضافة إلى ذلك ، كتبت خطاباتهم على آلة من نفس النوع " .

" من نفس النوع ، ولكن ليس على نفس الآلة " .

ردد كاست بكل عناد :

" إنها مؤامرة ! " .

" وماذا تقول فى هذه الكمية من أدلة القطارات التى وجدت فى دولاب حجرتك ؟ " .

" لا أعلم عنها شيئاً . كنت أظنها جوارب ".

" ولماذا وضعت علامة أمام اسم السيدة آشر فى القائمة الأولى لمن يعيشون فى أندوفر ؟ " .

" لأننى قررت أن أبدأ بها . حيث يجب على الواحد منا أن يبدأ من مكان ما " .

" نعم ، حقاً ما تقول . *على المرء أن يبدأ من مكان ما* " .

قال كاست : " أنا لا أقصد هذا ! أنا لا أقصد ما يدور في ذهنك ! " .

" *إذن أنت تعلم ما أعنيه* ؟ " .

لم يقل السيد كاست شيئاً . ولكنه كان ينتفض .

وقال : " لم أرتكب ذلك ! إني برىء تمامًا . هناك خطأ في كل هذا . والسبب ، انظر إلى الجريمة الثانية ـــ جريمة بيكسهيل هذه . كنت ساعتها ألعب الدومينو في إيستبورن . وعليك أن تعترف بهذه الحقيقة " .

وظهرت نبرة انتصار في صوته .

قال بوارو بصوت حالم وناعم : " نعم ، ولكن أليس من السهل ارتكاب خطأ يومًا من الأيام ؟ وإذا كنت عنيدًا وواثقًا من نفسك أكثر من اللازم مثل السيد سترينج ، فلن تفكر أبدًا في إمكانية أن تكون مخطئًا . فما تقوله تلتزم به . . . . فهو هذا النوع من الرجال . وبالنسبة لسجل الفندق ـــ فمن السهل أن تدون التاريخ الخاطئ أثناء توقيعك عليه ـــ ومن المحتمل ألا يلحظ أحد ذلك ساعتها " .

" كنت ألعب الدومينو في هذا المساء ! " .

" أعتقد أنك بارع في لعب الدومينو " .

أثار ذلك السيد كاست قليلاً .

" أنا ـــ أنا ـــ حسنًا ، أعتقد هذا ".

" أليست لعبة تجذب الانتباه ، وتتطلب كثيرًا من المهارة ؟ " .

" إن بهـا كـثيرًا مـن المنـاورات ـــــ الكـثير مـن المناورات ! اعتدنا أن نلعبها فى المدينة ، فى وقت تنـاول الغداء . ويدهشك كثيرًا أن يتعارف أشـخاص غربـاء تمامًـا عن طريق لعبة الدومينو " .

ضحك ضحكة خافتة .

ثم أردف قائلاً : " مازلت أذكر رجلاً ـــــ لن أنساه أبدًا بسبب شيء أخبرنى به ـــــ حيـث كنـا نتجـاذب الحوار ونحـن نتنـاول فنجانـا مـن القهـوة ، وبـدأنا لعـب الدومينو . وشعرت بعد مرور عـشرين دقيقـة بـأنى أعـرف هذا الرجل طوال حياته " .

قال بوارو : " بم أخبرك هذا الرجل ؟ " .

" سببت لى كلماته صـدمة ـــــ صـدمة كـبيرة . فقـد كان يتحدث عن أن مـصير المـرء مكتـوب علـى يـده . ثـم أظهر لى يده والخطوط التى توضح أنـه سـينجو مـن الغـرق مرتين ـــــ وأنه نجى من الغرق مرتين . ثم بعد ذلـك نظـر فى كفى وأخبرنى بأشـياء مذهلـة . قـال لى إننـى سأصـبح أشهر رجل فى كل إنجلترا قبل موتي . حيث ستتكلم كل إنجلترا عني . ولكنه قال ـــــ قال . . . . " .

انهار السيد كاست ـــــ وتردد . . . . . .

" ماذا ؟ " .

كان لنظرة بوارو تأثير معناطيسي هـادئ . حيـث نظـر إليه السيد كاست ، ثـم نظـر بعيـدًا ، ثـم نظـر إليـه مـرة أخرى وكأنه أرنب مذعور .

" قال ـــــ قال ـــــ إنه يبدو كأنني سأموت ميتة عنيفة ـــــ " ثم ضحك وقال : " يبدو تقريبًا بأنك ستموت مشنوقًا " . ثم ضحك وقال لى إن هذه مجرد دعابة . . . . . . " .

صمت فجأة . وتحولت عيناه من على وجه بوارو ـــــ وأخذت تدور من جانب إلى آخر . . . .

" رأسى ـــــ أنى أعانى بشدة من آلام فى رأسي . . نوبات الصداع تكون أمرًا قاسيًا فى بعض الأحيان . وهناك أوقات لا أعرف ـــــ وعندما لا أعرف . . . . " .

إنهار كاست .

انحنى بوارو للأمام . ثم تحدث بهدوء شديد وثقة تامة .

" ولكنك تعلم بأنك قد ارتكبت هذه الجرائم، أليس كذلك ؟ " .

رفع السيد كاست بصره . وكانت نظرته بسيطة ومباشرة . فلم يعد لديه أى مقاومة . وبدا عليه الهدوء بشكل غريب .

وقال : " نعم ، أعلم هذا " .

" ولكنى ـــــ على حق ، أليس كذلك ؟ ـــــ *انت تعرف سبب ارتكابك لهذه الجرائم ؟ " .*

هزّ السيد كاست رأسه وقال :

" لا ، لا أعرف " .

الفصل ٣٤

بوارو يصل إلى حل اللغز

جلسنا جميعًا فى حالة من الانتباه الشديد ننصت إلى تفسير بوارو النهائى للقضية .

قال: " منذ البداية كنت فى حالة انشغال بالدافع الذى وراء هذه القضية . وأخبرنى هاستنجز منذ عدة أيام بأن القضية قد انتهت . وأجبته بأن القضية متمثلة فى *الرجل* ! فاللغز فيها *ليس الغموض الذى يكتنف هذه الجرائم* ولكنه الغموض الذى يحيط بالمجرم نفسه . ما الضرورة التى دفعته لارتكاب هذه الجرائم ؟ ولماذا اختارنى خصمًا له ؟ " .

" ولم يكن القول إن هذا الرجل مختل عقليًا إجابة مقنعة لى . فالقول إن مجنونًا يقوم بأفعال مجنونة لأنه مجنون هو ضرب من الغباء وعدم الفطنة . فالشخص المجنون يقوم بأفعاله بشكل منطقى مدروس مثل أى شخص عاقل ــــ *مع الوضع فى الاعتبار تحيزه الخاص لوجهة نظره* . مثال ذلك ، إذا أصر شخص على الخروج وهو لا يرتدى شيئاً سوى ما يستر عورته ، سيبدو تصرفه فى منتهى الغرابة . ولكن بمجرد أن تعلم *بأنه لديه قناعة بأنه المهاتما غاندى* ، سيصبح سلوكه مبررًا ومنطقيًا .

" المهم فى هذه القضية هو تخيل عقل متزن بطريقة تجعل من *المعقول والمنطقى ارتكاب أربع جرائم والإعلان* عنها مسبقًا عن طريق رسائل موجهة إلى هيركيول بوارو .

وسيخبركم صديقى ، هاستنجز ، بأننى عندما تلقيت الرسالة الأولى شعرت بالاضطراب والانزعاج . حيث بدا لى على الفور أن هناك خطأ ما بخصوص هذه الرسالة " .

قال فرانكلين كلارك بجفاء : " لقد كنت على حق تمامًا " .

" نعم . ولكنى فى البداية ، وقعت فى خطأ جسيم . حيث تركت إحساسى ـــ إحساسى القوى جدًا تجاه الرسالة الأولى أن يظل مجرد انطباع . وتعاملت معه وكأنه حدس . ففى كل عقل متزن لا يوجد شىء يوازى هذا الحدس ـــ التخمين الملهم ! حيث يمكن للإنسان أن يخمن بالطبع ـــ ويمكن أن يكون هذا التخمين صحيحًا أو خاطئًا . وإذا كان التخمين صحيحًا تسميه حدسًا . وإذا كان خاطئًا لا تتكلم عنه مرة أخرى عادة . ولكنّ ما يسمى فى الغالب حدسًا هو بالفعل *انطباع مبنى على استنتاج منطقى أو على خبرة سابقة* . فعندما يشعر خبير بأنه يوجد شىء خطأ فى صورة أو قطعة من الأثاث أو توقيع على شيك ، يبنى هذا الإحساس على مجموعة من العلامات والتفاصيل . فهو لا يحتاج إلى أن يتفحصهم بدقة ـــ فخبرته تجنبه هذا ـــ والمحصلة النهائية

هى *الانطباع الواضح بان هناك شيئاً خاطئاً* . ولكن ذلك ليس *تخمينًا* ، ولكنه انطباع يستند إلى الخبرة " .

" أعترف بأننى لم أتعامل مع الرسالة الأولى بالطريقة المطلوبة . كل ما هنالك أنها جعلتنى أشعر بعدم الارتياح . واعتبرتها الشرطة خدعة . ولكنى أخذت الموضوع بجدية . حيث كان لدى قناعة بأن عملية قتل ستقع فى أندوفر كما جاء فى الرسالة . وكما تعلمون ، وقع الحادث .

" وأدركت جيدًا أنه ليس هناك أى وسيلة فى هذا الشأن ، لمعرفة من هو الشخص الذى قام بهذا العمل . وكان الاتجاه المفتوح أمامى هو فقط محاولة فهم نوعية الشخص الذى قام بذلك .

" كان لدى مؤشرات معينة . الرسالة ـــــ وطريقة ارتكاب الجريمة ـــــ والشخص القتيل . وكان الذى يجب على اكتشافه : الدافع وراء الجريمة ، والدافع وراء الرسالة " .

قال كلارك : " الدعاية " .

أضافت ثورا جراى : " من المؤكد أن سبب ذلك عقدة نقص " .

" كان هذا ، بالطبع ، هو الاتجاه الذى سلكناه . ولكن لماذا أنا ؟ لماذا هيركيول بوارو بالذات ؟ حيث كان يستطيع أن يحصل على دعاية أكبر عن طريق توجيه الرسائل إلى سكوتلانديارد . ودعاية أكثر عن طريق

إرسالها إلى إحدى الصحف . كان من المحتمل ألا تنشر الجريدة الرسالة الأولى ، ولكن بعد ارتكاب الجريمة الثانية ، كان سيحصل مجرمنا على كل الدعاية التي يمكن أن توفرها الصحافة . ولذلك ، لماذا هيركيول بوارو ؟ هل كان ذلك لسبب شخصي ؟ كان هناك انحياز بسيط واضح ضد الأجانب في الرسالة ولكن ذلك لم يكن يفسر الموضوع بشكل يرضيني .

" ثم وصلت الرسالة الثانية ـــــ وتبعها مقتل بيتي برنارد في بيكسهيل . وأصبح من الواضح الآن (ما شككت فيه بالفعل) أن عمليات القتل تسير وفق خطة أبجدية ، ولكن هذه الحقيقة ، التي بدت حتمية لمعظم الناس ، لم تغير السؤال الذي يدور في ذهني . لماذا يريد هذا المجرم أن يرتكب هذه الجرائم ؟ " .

تحركت ميجان برنارد في الكرسي الذي تجلس عليه .

قالت :

" ألا يوجد هناك شيء مثل ـــــ مثل التعطش لسفك الدماء ؟ " .

التفت إليها بوارو .

" أنت على حق، يا آنسة . يوجد شيء كهذا . الرغبة في القتل . ولكن هذا لا يناسب وقائع هذه القضية . فالقاتل المجنون يرغب عادة في قتل *أكبر عدد ممكن من الضحايا* . إنها رغبة متكررة . والفكرة المسيطرة على هذا

القاتل تكون *إخفاء أى أثر لجرائمه* ـــ لا أن *يعلن* عنها . وعندما نفكر فى الضحايا الأربع الذين تم اختيارهم ـــ أو على أى حال ثلاثة منهم (لأنه لا تتوفر معلومات كافية لدى عن السيد دونز أو السيد إيرلسفيلد) ندرك أنه إذا كان القاتل كان قد *اختارهم* ، كان من الممكن أن يتخلص منهم دون أن يعرض نفسه للشبهة . وكانت ستحوم الشكوك حول فرانز آشر ، ودونالد فريزر أو ميجان برنارد ، ومن المحتمل السيد كلارك ـــ إذا لم يتمكنوا من إيجاد دليل قوى ينفى ذلك عنهم . وما كان لقاتل مجنون أن يفكر فى ذلك ! لماذا، إذا ، يشعر القاتل بضرورة لفت الانتباه إلى نفسه ؟ هل كان ذلك لضرورة ترك نسخة دليل القطارات الإبجدى على كل جثة ؟ هل كان ذلك رغبة قهرية ؟ أو هل كان هناك عقدة ما متعلقة *بدليل القطارات* ؟

" وجدت أنه من غير المعقول *أن يدخل هذا فى ذهن القاتل* ، ومن المؤكد أن ذلك لم يكن نُبلاً منه ، والشعور المرعب بأن يلقى بمسئولية هذه الجريمة على شخص برىء .

" وعلى الرغم من أننى لم أستطع أن أجيب عن السؤال الأساسى ، لكننى شعرت بأننى كنت أتعلم أشياء معينة عن القاتل " .

سأل فريزر : " مثل ماذا ؟ " .

" فى البداية ـــ إن تفكيره مرتب . فقد كانت جرائمه مرتبة حسب التسلسل الأبجدى ـــ وكان ذلك مهمًا له بكل وضوح . ومن ناحية أخرى ، ليس لديه أى ذوق معين فى اختيار ضحاياه ـــ فالسيدة آشر ، وبيتى برنارد ، والسيد كارمايكل كلارك يختلفون عن بعضهم البعض بشكل كبير . ولم تكن هناك عقدة جنس، ولا عقدة عمر معين ، وبدا لى ذلك كحقيقة غريبة جدًا . فإذا كان شخص يقتل دون تمييز يكون ذلك عادة لإزاحة كل من يقف فى طريقه أو يضايقه . *ولكن التسلسل الأبجدى أوضح أن ذلك لا ينطبق على الحالة التى بين أيدينا* . والنوع الثانى من القتلة يختار عادة *نوعًا معينًا من الضحايا* ـــ من الجنس الآخر تقريبًا على الدوام . وكان هناك شىء عشوائى فى طريقة مجرمنا والذى بدا لى أنه يتعارض مع الاختيار الأبجدى .

" وسمحت لنفسى بتدخل واحد بسيط . حيث أوحى لى اختيار دليل القطارات الأبجدى ما يمكن أن أطلق عليه أنه رجل *له علاقة بالقطارات أو لديه ميل تجاهها* . وهذا أمر شائع بين الرجال أكثر من النساء . فالأولاد الصغار يحبون القطارات أكثر من الفتيات فى مثل سنهم . وربما يكون ذلك ، أيضًا ، علامة على عقل غير ناضج . حيث يكون الدافع " الطفولى " هو المسيطر .

" ولكن مقتل بيتى برنارد والطريقة التى تم بها أعطانى مؤشرات معينة . حيث كانت طريقة القتل موحية

بشكل خاص . (معذرة ، يا سيد فريزر) في البداية ، لأنه تم خنقها بحزامها الشخصي ـــ ولذلك فمن المؤكد أنها قتلت بيد شخص كانت على علاقة حميمة وودودة معه . وعندما علمت المزيد عن شخصيتها زادت الصورة وضوحًا في ذهني .

" كانت بيتي برنارد فتاة لعوبًا . كانت تحب أن تحظى باهتمام رجل جذاب . وحتى يتمكن مجرمنا من إقناعها ، بالخروج معه ، فمن المؤكد انه كان يتمتع بقدر معين من الجاذبية ـــ من الجاذبية الشديدة ! ولابد أن يكون قادرًا ، كما تقولون معشر الإنجليز ، على مجاراتها . وتصورت المشهد الذى دار على الشاطئ هكذا : تغزل الرجل في حزامها . فقامت بخلعه ، فمرره بمزاح حول رقبتها ـــ وربما قال لها " سأشنقك " مداعباً إياها . كان كل ذلك مزاحًا ، ثم بدأت تضحك ـــ وهو يضغط ـــ " .

قفز دونالد فريزر من مكانه . وكان غاضبًا .

" سيد بوارو ـــ من فضلك " .

أومأ بوارو وقال :

" لقد انتهى الأمر . ليس لدى المزيد . انتهى الموضوع . ولننتقل إلى الحادثة الأخرى ، مقتل السيد كارمايكل كلارك . وفي هذه الجريمة عاد القاتل إلى طريقته الأولى ـــ ضربة على الرأس . ونفس العقدة الأبجدية ـــ ولكن كانت هناك حقيقة واحدة أقلقتني

قليلاً . لكى يكون هناك نوع من التوافق كان ينبغى على القاتل أن يختار المدن بتسلسل محدد .

" إذا كانت أندوفر هي الاسم رقم ١٥٥ تحت حرف " إيه " . فمن المنطقى أن تكون جريمة " بى " هى رقم ١٥٥ أيضًا ـــــ أو ١٥٦ وتكون جريمة " سى " رقم ١٥٧ . ومن هنا بدا أن عملية اختيار المدن تمت بطريقة *عشوائية* أيضًا".

اقترحت قائلاً : " أليس ذلك لأنك متحيز فى هذا الموضوع ، يا بوارو ، فأنت بطبعك تحب أن تعمل وفقًا لطريقة منظمة ومنهج محدد ، وهذا مرض فيك تقريبًا " .

" لا ، ليس مرضًا ! يا *لها من فكرة سخيفة* ! ولكنى أعترف بأنه من المحتمل أنى أركز على هذه النقطة بشكل خاص " .

ثم أردف : " وأمدتنى جريمة تشرستون بمساعدة إضافية قليلة . ولم نكن محظوظين فيها ، حيث إن الرسالة ضاعت ، ومن ثم لم يتم عمل أى ترتيبات .

" وبحلول إعلان توقيت الجريمة الرابعة ، كان قد تم عمل نظام دفاعى قوى جدًا ، وبالتأكيد كان من الواضح أن مجرمنا لن يستطيع أن يفلت بجرائمه .

" علاوة على ذلك ، فى هذه المرحلة ، كان دليل الجريمة الخاص بالجوارب قد وقع فى يدى . وكان من الواضح تمامًا أن وجود شخص يبيع الجوارب فى ، أو حول مكان الجرائم لا يمكن أن يكون مصادفة . وعليه فإن

بائع الجوارب هو القاتل . ويمكنني القول بأن وصفه ، كما أوضحته الآنسة جراى ، لم يلائم الصورة التى رسمتها للرجل الذى خنق بيتي برنارد .

" سأمر على المراحل التالية بسرعة . وقعت حادثة قتل رابعة ـــ قتل رجل يدعى جورج أيرلسفيلد ـــ تم الافتراض بأنه قتل عن طريق الخطأ بدلاً من رجل يدعى السيد دونز، والذى كان له نفس البنيان وكان جالسًا بجواره فى السينما .

" *والآن أخيرًا تحولت دفة الأمور* . وعاندت الأحداث المجرم الأبجدى بدلاً من أن تكون فى صفه . فتمت محاصرته ـــ واصطياده ـــ وفى النهاية القبض عليه .

" والقضية ، كما قال هاستنجز ، قد انتهت ! " .

" وهذا كافٍ تمامًا بقدر ما يهم الناس " .

فالرجل فى السجن وسوف يودع سجن برودمور ، فى النهاية ، بلا شك . ولن تكون هناك عمليات قتل أخرى . واسدل الستار! انتهي! ليستريح الجميع !

" *ولكن بالنسبة لى ! مازلت لا أعلم شيئاً* ـــ لا أعلم شيئاً على الإطلاق! فلم أعلم *السبب* ولا *الدافع* .

" وهناك حقيقة واحدة بسيطة ومحيرة . وهى أن الرجل الذى يدعى كاست لديه دليل ينفى وجوده فى مكان الجريمة ليلة ارتكاب جريمة بيكسهيل " .

قال فرانكلين : " وهذا ما كان يقلقنى دائمًا " .

" نعم . لقد أقلقنى ذلك . فبالنسبة لإنكار التواجد فى مكان الجريمة ، أنا أظن أن هذه الحجة حقيقية . ولكنها لا يمكن أن تكون صحيحة إلا إذا ـــــ إذا وصلنا إلى افتراضين شيقين جدًا .

" لنفترض ، يا أصدقائي، أنه على الرغم من ارتكاب كاست لجرائم " إيه " ، و " سى " و " دى " ـــــ إلا أنه لم يرتكب الجريمة " بى " " .

" سيد بوارو . هذا ليس ـــــــ " .

أوقف بوارو بنظرة منه ميجان برنارد عن الكلام .

" إهدئى ، يا آنسة . فأنا مع الحقيقة ، نعم ! كفانى أكاذيب ! أقول ، لنفترض بأن مجرمنا لم يرتكب الجريمة الثانية . لأنه كما تذكرون ، قد وقعت فى ساعة مبكرة من صباح يوم الخامس والعشرين ـــــ وهو يوم وصوله لتنفيذ الجريمة . ماذا لو افترضنا أن شخصًا آخر سبقه إلى ذلك ؟ ماذا كان سيفعل فى هذه الظروف ؟ هل يرتكب جريمة أخرى ، أو يختفى *ويقبل الجريمة التى نفذت أولا كهدية مروعة* ؟ " .

قالت ميجان : " هذه فكرة خيالية ! يا سيد بوارو . من المؤكد أن كل الجرائم قد ارتكبها شخص واحد ! " .

لم ينتبه إليها بوارو وواصل الحديث بثبات :

" كانت ميزة هذا الافتراض أنه فسر حقيقة واحدة ـــــ *وهى الاختلاف بين شخصية الكساندر بونابرت كاست* (والذى لم يكن بمقدوره ملاطفة ومجاراة الفتاة) *وشخصية*

قاتل بيتى برنارد . ومن المعروف ، مسبقًا ، أن من ينوون ارتكاب جريمة قتل يستفيدون من الجرائم التى يرتكبها أناس آخرون . فعلى سبيل المثال ، ليست كل جرائم جاك السفاح قد ارتكبها جاك نفسه . كل الأمور على ما يرام حتى الآن .

" ولكن اعترضتني مشكلة محددة " .

فحتى مقتل برنارد ، لم يكن قد تم نشر أى حقائق عن جرائم القتل الأبجدي . حيث كان الاهتمام الذى أحدثته حادثة أندوفر بسيطًا جدًا . ولم يتم حتى الإشارة فى الصحف إلى واقعة وجود دليل القطارات الإبجدى إلى جانب الجثة . وتبعًا لذلك *كان من المؤكد أن الشخص الذى قتل بيتى برنارد أيًا كان قد حصل على حقائق لم يكن يعرفها غير أشخاص بعينهم* ـــــ أنا ، والشرطة ، وبعض الأقارب وجيران السيدة آشر " .

" ووصل بى التحقيق فى هذا إلى طريق مسدود " .

كانت الوجوه التى تنظر إلى بوارو خالية من التعبير أيضًا . كانت مشدوهة ومتحيرة .

قال دونالد فريزر باهتمام :

" ورجال الشرطة ، هم بشر أيضًا . وهم رجال يتميزون بحسن المظهر ـــــــ " .

توقف دونالد عن الكلام ، وأخذ ينظر إلى بوارو مستفسرًا .

هزّ بوارو رأسه بلطف .

" لا ـــــــ الأمر أبسط من ذلك . كنت قد أخبرتكم بأن هناك افتراضًا آخر .

" لنفترض أن كاست *لم* يكن مسئولاً عن قتل بيتي برنارد ، ولنفترض أن شخصًا آخر هو الذي قتلها . هل يمكن أن يكون هذا الشخص الآخر هو الذي قام *بعمليات القتل الأخرى أيضًا* ؟ " .

صاح كلارك قائلاً : " هذا كلام غير معقول " .

قال بوارو : " أليس كذلك ؟ وهنا قمت بما *كان يجب على القيام به منذ البداية* . تفحصت الرسائل التي تلقيتها من وجهة نظر مختلفة تمامًا . لأنني شعرت منذ البداية بأن هناك خطأ ما في هذه الرسائل ـــــ تمامًا كما يعرف خبير اللوحات الفنية أن لوحة ما ليست سليمة . . . . .

" افترضت، دون التخلي عن التفكير، أن الخطأ فيها هو حقيقة أن رجلًا مجنونًا هو الذى كتبها .

" والآن قمت بدراسة الرسائل مرة أخرى ـــــ وهذه المرة وصلت إلى نتيجة مغايرة تمامًا . *كان الخطأ هو أن الرسالة كتبها شخص عاقل* ! " .

قلت بصوت عال : " ماذا ؟ " .

" نعم ـــ هذا ما حدث بالضبط ! كانت هذه الرسائل بها شيء غير سليم ـــــــ *لأنها كانت زائفة* ! كان ظاهرها أنها رسائل كتبها رجل مجنون ـــــــ قاتل مجنون ، ولكن الحقيقة تختلف عن ذلك تمامًا " .

كرر فرانكلين كلارك كلامه : " هذا ليس معقولاً " .

" بلى ! لابد على الإنسان أن يفكر ـــــ ويتدبر . ما الهدف من كتابة هذه الرسالة ؟ تسليط الضوء على الكاتب، جذب الانتباه إلى الجرائم! في الحقيقة لم يكن لذلك معنى للوهلة الأولى . ثم ظهر أمامي بصيص من الضوء . كان الهدف تركيز الانتباه على عدة جرائم ـــــ على *مجموعة* من الجرائم . . . . ألـيس شكسبير هو القائل : " يعجز المرء عن تكوين فكرة واضحة عن كامل الشيء بسبب كثرة التفاصيل " .

لم أصحح ذكريات الماضي الأدبية لـ " بوارو " . كنت أحاول الوصول لما يقصد . وخطرت لي فكرة .

واصل بوارو الحديث :

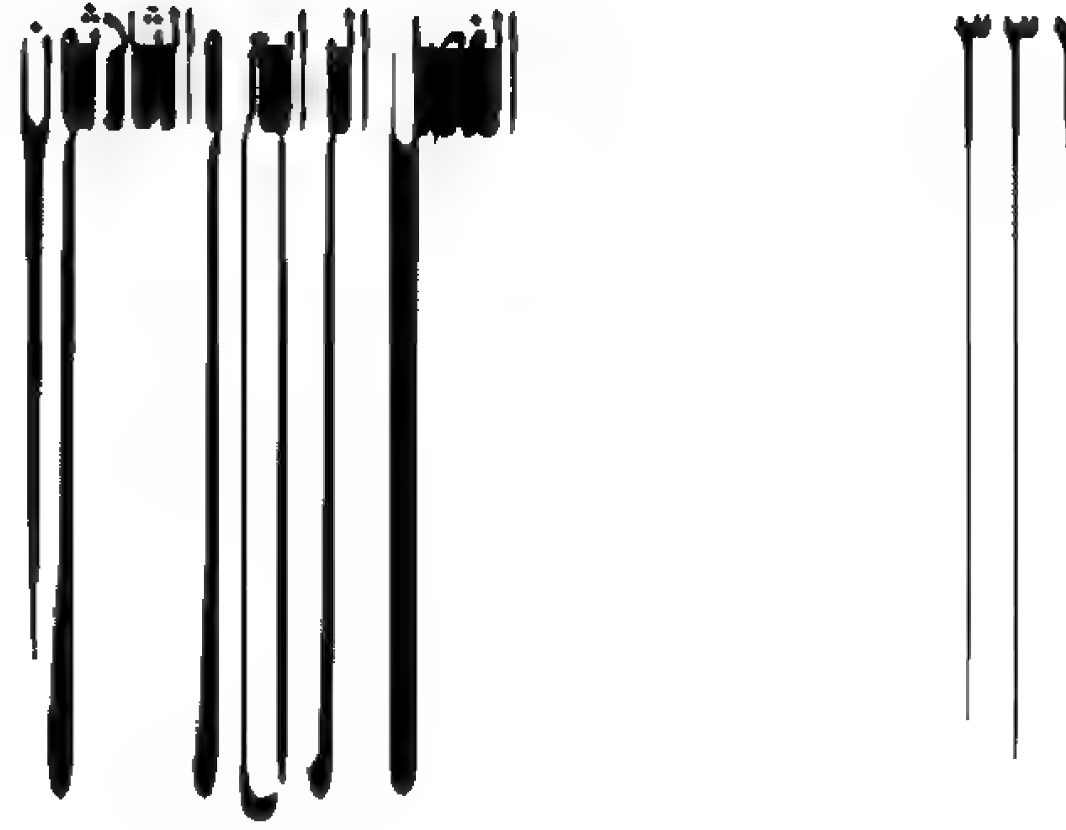
" ما أقل وقت يلحظ فيه الفرد وجود دبوس؟ عندما يكون في علبة الدبابيس ! وما أقل وقت يلحظ فيه المرء جريمة مفردة ؟ عندما تكون واحدة من *سلسلة جرائم متصلة* .

" ومن ثم كان لزامًا على أن أتعامل مع قاتل شديد الذكاء، طائش، جرىء ، واسع الحيلة ومقامر بكل معنى الكلمة . ليس السيد كاست ! لا يمكن أن يكون هو الذى ارتكب هذه الجرائم ! لا ، ومن ثم كان على أن أتعامل مع طراز مختلف من الرجال ـــــ رجل ذى سلوك صبيانى (لاحظوا الرسائل الصبيانية ودليل القطارات الأبجدى) ، رجل يحظى بجاذبية لدى

النساء ، رجل يستخف بحياة الإنسان بشكل لا يعرف الرحمة ، رجل كان شخصًا بارزًا فى *إحدى* الجرائم !

" تأملوا معى عندما يُقتَل رجل أو امرأه ، ما الأسئلة التى تطرحها الشرطة ؟ توقيت الجريمة . أين كان الجميع أثناء ارتكاب الجريمة ؟ والدافع لارتكاب الجريمة . من المستفيد من موت القتيل ؟ وإذا كان الدافع والتوقيت واضحين تمامًا ، ماذا يجب على القاتل المزعوم أن يفعل ؟ يختلق عذرًا ـــــ بمعنى أن ، يتحكم فى التوقيت بطريقة ما . ولكن ذلك عملية محفوفة بالمخاطر دائمًا . ولذلك فكر المجرم الذى بين أيدينا فى طريقة دفاع أكثر روعة . وهى خلق قاتل *مجنون* !

" كان علىّ أن أراجع الجرائم المختلفة وأن أصل إلى الشخص المحتمل تورطه فى ذلك . فى جريمة أندوفر ؟ كان أكثر شخص يمكن أن تحوم حوله الشكوك هو فرانز آشر ، ولكن لم أكن لأتخيل قدرة فرانز على حبك وتنفيذ هذه الخطة المحكمة ، ولا يمكن تصور أنه هو الذى خطط لعملية قتل متعمدة . وبالنسبة لجريمة بيكسهيل ؟ كان دونالد فريزر هو الجانى المحتمل . فلديه الفكر والمقدرة على ذلك ، وكذلك طريقة تفكيره المنهجية . ولكن دافعه لقتل حبيبة قلبه هو الغيرة فقط ـــــ والغيرة لا تؤدى إلى الإصرار والترصد . وعلمت أيضًا أن إجازته كانت فى *بداية* شهر أغسطس ، وهذا ما يجعل أنه من غير المحتمل أن تكون له علاقة بجريمة تشرستون . والآن جاء دور



الحديث عن حادثة تشرستون ـــــ وهنا نصل على الفور إلى دافع واعد جدًا .

" كان السيد كارمايكل رجلًا على درجة كبيرة من الثراء . من سيرث هذا المال ؟ زوجته ، التي تحتضر ، لها نصيب فيه ، ثم يئول كل ذلك إلى *أخيه فرانكلين* " .

استدار بوارو ببطء حتى التقت عيناه بعيني فرانكلين كلارك .

" وكنت متيقناً تمامًا ساعتها ، أن *الرجل الذى عرفته لفترة طويلة فى عقلى الباطن كان هو نفس الشخص الذى عرفته شخصيًا . " إيه . بى . سى " وفرانكلين كلارك هما نفس الشخص* ! الشخصية المغامرة الجريئة ، والحياة المليئة بالسفريات ، والتحيز لإنجلترا الذى ظهر ، بشكل بسيط، فى السخرية من الأجانب . والسلوك السهل الجذاب المتحرر ـــــ فليس عنده شيء أسهل من إقامة علاقة مع فتاة فى مقهى . وطريقة التفكير المنهجية المرتبة ـــــ وقد قام هنا يومًا ما بعمل قائمة ، وقام بترتيب موضوعاتها أبجديًا ـــــ وفى الختام ، طريقة التفكير الصبيانية ـــــ وهى التى ذكرتها السيدة كلارك وكذلك بين ذلك ذوقه فى اختيار القصص الخيالية ـــــ ولقد تأكدت من وجود كتاب فى المكتبة يسمى أطفال القطارات للمؤلف " إى . نسبيت " . ولم تعد لدى أى شكوك فى ذهنى ـــــ أن الشخص الذى كتب الرسائل وارتكب الجرائم هو فرانكلين كلارك " .

علا صوت فرانكلين بالضحك فجأة .

" ذكاء بارع ! ولكن ماذا عن صديقنا كاست ، والذى تم القبض عليه متلبسًا ؟ وماذا عن الدم الذى وجد على معطفه ؟ والسكين التى عثر عليها فى مسكنه ؟ ربما ينكر أنه ارتكب هذه الجرائم ــــــ " .

قاطعه بوارو فى الكلام .

" أنت مخطئ تمامًا . فلقد اعترف بهذه الحقيقة " .

ظهر الارتباك الواضح على كلارك وقال: " ماذا ؟ " .

قال بوارو بلطف : " نعم ، لم أكد أتحدث معه حتى أدركت أن كاست *يعتقد أنه هو الذى ارتكب هذه الجرائم* " .

قال كلارك : " ألا يرضيك هذا أيضًا يا سيد بوارو ؟ " .

" نعم ، لأننى بمجرد رؤيتى له *علمت أيضًا أنه لا يمكن أن يكون المسئول عن ذلك* . فهو لا يتمتع بالشجاعة ولا الجرأة ــــ ولا، إن أمكن قول ذلك، العقلية التى تمكنه من التخطيط ! كنت منذ البداية مدركًا للشخصية المزدوجة للقاتل . والآن فهمت من أين تتألف هذه الشخصية ؟ كان هناك شخصان مشتركان فى الأمر ــــ القاتل الداهية ، الماكر الجرىء ــــ والقاتل المزعوم الغبى المتردد والذى من السهل التأثير عليه .

" سهل التأثر ــــ فى هذه الكلمة يكمن سر السيد كاست ! فلم يكن يكفيك يا سيد كلارك بأن تبتكر خطة

متسلسلة حتى يمكنك تشتيت الانتباه عن جريمة بمفردها . ولكن كان يجب أيضًا أن تكون لديك ذريعة تحتمى وراءها .

" وأعتقد أن هذه الفكرة طرأت فى فكرك نتيجة لمقابلة عن طريق الصدفة فى أحد مقاهى المدينة مع هذه الشخصية الغريبة الاسم الغريب الرنان الذى يحمله . وكنت ساعتها تقلب فى ذهنك خططًا عديدة لقتل أخيك " .

" أحقًا ؟ ولكن لماذا ؟ " .

" لأنك كنت خائفًا جدًا من المستقبل . ولا أعرف إن كنت تدرك ذلك أم لا ، يا سيد كلارك ، ولكنك خدمتنى وآذيت نفسك عندما عرضت على خطابًا معينًا أرسله إليك أخوك . وفيه أوضح بجلاء حبه وانشغاله بالآنسة ثورا جراى . وربما كان هذا الحب أبويًا ـــ أو ربما فضل أن يراه بهذه الطريقة . ومع ذلك ، كان هناك خطر حقيقى أنه بعد وفاة زوجة أخيك ، ربما ينجذب إلى هذه الفتاة الجميلة ليجد معها الراحة والسلوان ـــ وربما ينتهى الأمر ـــ كما يحدث عادة مع معظم كبار السن ـــ بالزواج منها . وزاد خوفك لمعرفتك بالآنسة جراى . فأنت ، كما أعرف ، شخص رائع فى الحكم على الأشخاص . فقد قادك تقديرك ، سواء كان ذلك صحيحًا أم لا ، إلى أن الآنسة جراى كانت من نوع النساء الذى يسعى لإقامة علاقة مع أى شخص . ولم يكن

يساورك شك فى أنها ستنتهز فرصة أن تصبح السيدة كلارك . وكان أخوك رجلًا يتمتع بالصحة والقوة . ومن ثم كانت هناك فرصة أن ينجب أطفالاً وبهذا تنعدم فرصتك فى أن ترث ثروة أخيك .

" وأتخيل أنك كنت رجلاً محبطًا من داخلك طوال حياتك . فلم تستقر فى مكان ـــــ ولم تجمع إلا قدرًا ضئيلاً من المال . ولذلك كنت شديد الغيرة من ثروة أخيك .

" أقول مرة أخرى ، إنك كنت تفكر فى عدة خطط ، وأوحى لك لقاؤك بالسيد كاست بفكرة . فاسمه الرنان ، وحكايته مع نوبات الصرع التى تنتابه ، والصداع ، وشخصيته التافهة جعلك تفكر فيه كأداة مناسبة لما تريد . ووردت فكرة الأبجدية إلى ذهنك ـــــ الحروف الأولى من اسم كاست ـــــ وكان لب هذه الخطة حقيقة أن اسم أخيك يبدأ بحرف " سى " وأنه يعيش فى تشرستون (تبدأ بحرف سى) . وتماديت فى حديثك مع كاست فيما يتعلق بنهايته المحتملة ـــــ ولم تكن تتوقع أن يأتى هذا الاقتراح بثماره كما حدث !

" كانت ترتيباتك ممتازة . حيث قمت بالكتابة باسم كاست بطلب شحنة كبيرة من الجوارب وأن ترسل إليه . وقمت بنفسك بإرسال ـــــ خطاب مطبوع إليه يوهمه بأنه من نفس الشركة التى عرضت عليه مرتبًا جيدًا وعمولة . وقد وضعت خططك بدقة مقدمًا بأنك طبعت كل الرسائل

التى أرسلت بعد ذلك ، ثم أهديته الآلة الكاتبة التى كتبت عليها هذه الرسالة .

" وفى ذلك الوقت كان عليك البحث عن ضحيتين يبدأ اسمهما بحرفى " إيه " و " بى " بالترتيب وأن تكون إقامتهما فى أماكن تبدأ بهذين الحرفين .

" ثم فكرت فى أندوفر كمكان محتمل تمامًا ، وقادك استكشافك للمكان هناك بأن تختار متجر السيدة آشر كمسرح لتنفيذ الجريمة الأولى . فقد كان اسمها مكتوباً بوضوح على الباب ، ووجدت بخبرتك أنها كانت بمفردها عادة فى المتجر . وكان قتلها يتطلب قدرًا من الشجاعة، والجرأة وقدرًا معقولاً من الحظ .

" أما بالنسبة لحرف " بى " كان عليك أن تغير أساليبك . فمن المحتمل أنه تم تحذير كل النساء اللواتى يقفن بمفردهن فى المتاجر . وخيل إلى أنك كنت ترتاد عددًا قليلاً من المقاهى ، حيث تضحك وتمزح مع الفتيات هناك ، وتكتشف من يبدأ اسمها بالحرف الصحيح ومن ستناسب غرضك هذا .

" ووجدت فى بيتى النوعية التى كنت تبحث عنها بالتمام . ثم دعوتها للخروج مرة أو مرتين ، وأوضحت لها أنك رجل متزوج ولابد أن تكون مقابلاتكما فى مكان سرى .

" وعندما اكتملت الترتيبات التمهيدية ، شرعت فى العمل ! وقمت بإرسال قائمة أندوفر إلى كاست ، وأمرته

بالتوجه إلى هناك فى تاريخ معين ، ثم أرسلت إلىّ الرسالة الأولى .

" فـى اليـوم المحـدد ذهبـت إلى أنـدوفر ـــــ وقتلـت السيدة آشر ـــــ دون أن يحدث شيء يؤثر على خطتك .

" وبهذا تم تنفيذ الجريمة رقم ١ بنجاح " .

" ولكن بالنسبة للجريمة الثانية، توخيـت الحـذر عـن طريق تنفيذك لها فى اليوم السابق . وأنا على يقين تقريبًا بأن بيتى قُتِلَت قبل منتصف ليل يوم الرابع والعشرين مـن يوليو " .

" والآن جاء دور الجريمة رقم ٣ ـــــ وهى الأهم ـــــ فى الواقع ، وهى الجريمة الحقيقية من وجهة نظرك " .

" وهنا يرجع الفضل والمديح الكامل لـ " هاستنجز " ، الـذى أبـدى ملحوظـة بـسيطة وواضـحة لم يلتفـت إليهـا أحد .

" فقد اقـترح بـأن الرسـالة الثالثـة ضلت طريقهـا فـى الوصول بطريقة مقصودة !

" وكان على صواب ! ... " .

" ففى هذه الحقيقة البسيطة تكمن الإجابة عن الـسؤال الذى حيرنى طويلاً . لماذا تم إرسال هذه الرسائل فى المقام الأول إلى هيركيـول بـوارو ، المخـبر الخـاص ، ولـيس إلى الشرطة ؟

" من المضحك أننـى تخيلـت أن هنـاك مـبررًا شخـصيًا لذلك " .

" ولكن هذا ليس صحيحًا على الإطلاق ! فلقد تم إرسالها إلى لأن جوهر الخطة كان يتطلب أن يتم توجيه الرسالة إلى العنوان الخطأ ومن ثم لا يصل ــــ ولكنك لا تستطيع أن ترتب أن يضيع خطاب مرسل إلى قسم تحقيق الجريمة فى سكوتلانديارد . فمن الضرورى أن يكون لدينا عنوان سرى . ولقد اخترتنى أنا لأننى شخص مشهور وشخص من المؤكد أنه سيحمل الرسالة إلى الشرطة ــــ وكذلك ، كنت تستمتع فى تفكيرك المتعصب بالاستهزاء بشخص أجنبى .

" وكتبت العنوان على المظروف بكل مهارة ــــ وايتهيفن ــــ وايتهورس ــــ تبدو زلة طبيعية تمامًا . وكان هاستنجز هو الوحيد ذو الذهن الثاقب بدرجة كافية لأنه لم يهتم بالعناوين الفرعية واتجه مباشرة إلى الشىء الواضح ! " .

" وبالفعل كان الهدف *المقصود* ألا تصل الرسالة . وتبدأ الشرطة فى تعقب الجريمة *بعد أن تكون قد تمت بأمان* . ولقد هيأت لك نزهة أخيك كل مساء الفرصة للقيام بعمليتك . وبهذا تمكن الذعر الذى أثاره المجرم من تفكير الجميع ولم يخطر لأى أحد إمكانية أنك أنت الذى ارتكبت الجريمة .

" وبعد موت أخيك ، أنجزت ما تريد بالفعل . ولم يكن لديك أى رغبة فى ارتكاب أى جرائم أخرى . ولكن

إذا توقفت الجـرائم دون مـبرر لـذلك ، سـتحوم الـشكوك حول شخص ما .

" ولكـن الذريعـة ، الـسيد كاسـت ، قـد أدى دور الشخص الخفي بكل نجاح ـــ لأنه شخص غير مهـم ، وحتى الآن لم يُلاَحَظ أن نفس الـشخص قـد تمـت رؤيتـه بالقرب من منطقة الجرائم الثلاث ! وما يثير ضيقك ، أنه حتى زيارته لـ " كومسايد " لم يتم ذكرها . حيث كان قد تلاشى الموضوع تمامًا من ذاكرة الآنسة جراى " .

" وبسبب جرأتك الدائمة ، قررت أنه لابـد مـن تنفيـذ عملية قتل أخرى ولكن هذه المرة لابد أن يكون الأثر الـذى يمكن تعقبه واضحًا جدًا .

" واخترت دونكاستر كمسرح لعملياتك " .

" كانت خطتك بسيطة جدًا . أنت نفسك ستكون حتمًا متواجدا فى مسرح العمليات . سـيتم إبـلاغ الـسيد كاسـت من قبل شركته بالتوجه إلى دونكاستر . وكانت خطتـك أن تتبعه ثم تتحين الفرصة المناسبة . وسار كل شيء علـى مـا يرام . ودخل السيد كاست السينما . وقمت بالجلوس على بعد مقاعد قليلة منه . وعندما نهض وهم بالخروج ، قمـت بعمل نفس الشيء . وتظاهرت بأنك تتعثـر ، ثـم انحنيـت للأمـام وطعنـت رجـلاً غلبـه النعـاس فـى الـصف الـذى أمامك ، ثم سحبت دليل القطـارات خلـسة ووضـعته عنـد قدمى القتيل واستطعت أن تـصطدم بـشدة بالـسيد كاسـت

فى الممر المظلم ، ومسحت السكين فى كم معطفه ثم قمت بإسقاطها فى جيبه .

" لم تواجه أى مشكلة فى اختيار ضحية يبدأ اسمها بحرف " دى " . حيث إن بمقدور أى شخص أن يفعل ذلك! وافترضت ـــــ بشكل صحيح تمامًا ـــــ أن ذلك سينظر إليه باعتباره خطأ . حيث إنه من المؤكد وجود شخص يبدأ اسمه بحرف " دى " على مقربة بين الجماهير . وسيتم الافتراض بأنه كان الضحية المقصودة .

" والآن ، يا أصدقائى ، تعالوا بنا ندرس الأمر من وجهة نظر القاتل المزيف ـــــ من وجهة نظر السيد كاست .

" لم تعنى جريمة أندوفر أى شىء بالنسبة له . فقد سببت له حادثة بيكسهيل صدمة وذهولاً ـــــ والسبب ، أنه هو نفسه كان موجودًا هناك فى وقت ارتكاب الجريمة ! ثم وقعت جريمة تشرستون والعناوين التى نشرتها الصحف . وقعت جريمة أبجدية فى أندوفر عندما كان هناك ، ثم وقعت جريمة بيكسهيل ، ثم أخرى بعدها بوقت قصير . . . . . . وقعت ثلاث جرائم وكان موجودًا فى مسرح جريمة كل منها . فالأشخاص الذين يعانون من الصرع غالبًا ما يمرون بحالات نسيان عندما لا يستطيعون تذكر ماذا فعلوا . . . . ولنضع فى اعتبارنا أن السيد كاست كان شخصًا قلقًا وعصبيًا جدًا وكذلك عرضة لأن يتأثر بأفكار الآخرين بسهولة .

" ثم جاءه الأمر بالتوجه إلى دونكاستر " .

" دونكاستر ! والجريمة التي تم تحديد مكانها في دونكاستر . من المؤكد أنه شعر بأن ذلك هو القدر . ومن ثم فقد أعصابه ، وتخيل أن صاحبة العقار الذي يسكن فيه تنظر إليه بنوع من الريبة ، ولذلك قال لها إنه ذاهب إلى تشيلتنام .

" ثم توجه إلى دونكاستر لأن ذلك كان واجبه . وبعد الظهر دخل السينما . من المحتمل أنه غفا لدقيقة أو دقيقتين .

" تخيلوا شعوره في طريق عودته إلى الفندق الذي يقيم فيه عندما اكتشف أن *هناك دمًا على كم معطفه وأن سكينًا ملطخة بالدماء موجودة في جيبه* . تحولت كل هواجسه إلى حقيقة .

" هو ــــ *هو* ــــ *القاتل بعينه* ! ثم تذكر نوبات الصداع التي يعاني منها ــــ وفقدانه للذاكرة . كان متأكدًا تمامًا من الحقيقة ــــ *إنه هو ، ألكساندر بونابرت كاست ، هو القاتل المجنون* .

" كان سلوكه في هذه اللحظة سلوك حيوان وقع في الأسر . عاد إلى مسكنه في لندن . حيث كان في مأمن هناك ــــ . فهم يظنون أنه كان في تشيلتنام . وكانت السكين مازالت في جيبه ــــ وكان ذلك شيئًا في منتهى الحماقة بالطبع . ثم قام بإخفائها وراء الحامل الموجود في الردهة .

" وبعد ذلك ، تم تحذيره يومًا ما بأن الشرطة في الطريق إليه . وشعر بأنها النهاية ! *لقد عرفوا* !

" وقام الحيوان الأسير بآخر محاولة للهرب . . . . . .

" لا أعلم لماذا اتجه إلى أندوفر ــــ رغبة كئيبة ، أعتقد، لكي يذهب ويلقي نظرة على المكان الذى ارتكبت فيه الجريمة ــــ الجريمة التى *ارتكبها* على الرغم من أنه لا يستطيع أن يتذكر عنها أى شيء . . . .

" لم يتبق معه أى نقود ــــ وكان منهكًا . . . . وقادته قدماه إلى أن يذهب إلى قسم الشرطة من تلقاء نفسه .

" ولكن حتى الحيوان الذى لم يعد لديه فرصة للهروب يقاتل . أما السيد كاست كان يعتقد تمامًا أنه ارتكب الجرائم ولكنه يتمسك بشدة ببراءته . وكان يتعلق باستماتة بحجة غيابه عن مكان الحادثة الثانية . فعلى الأقل لا يمكن اتهامه بها .

" أقول إننى عندما رأيته ، علمت على الفور بأنه *ليس* القاتل وأن اسمى *لا يعنى أى شيء بالنسبة له* . وعلمت ، أيضًا ، بأنه يظن أنه هو القاتل بعينه ! " .

" وبعد أن اعترف بجريمته لى ، علمت أكثر من ذى قبل بأن نظريتى كانت صحيحة " .

قال فرانكلين كلارك : " نظريتك ، هذه كلام فارغ ! " .

هزّ بوارو رأسه .

" كلا ، يا سيد كلارك . لقد كنت بأمان تام *طالما لم يشك فيك أحد* . ولكن بمجرد أن *حامت حولك الشكوك* كان من السهل الحصول على الأدلة " .

" أدلة ؟ " .

" نعم . لقد وجدت العصا التي استخدمتها في جريمتي أندوفر وتشرستون في دولاب في كومسايد . عصا عادية ولها مقبض سميك . وتمت إزالة جزء من الخشب وصب مكانه الرصاص المنصهر . وتم التعرف على صورتك من بين ست صور لأشخاص آخرين بواسطة شخصين رأياك عند مغادرتك للسينما في الوقت الذى كان من المفترض أن تكون فيه على مضمار السباق في دونكاستر . وتم التعرف عليك في بيكسهيل منذ عدة أيام بواسطة ميلي هيجلي وفتاة أخرى في فندق سكارلت رنر روودهاوس وهو المكان الذى أخذت بيتي برنارد إليه لتناول العشاء في هذه الليلة المشئومة . وفي النهاية ـــــ والأسوأ من ذلك كله ـــــ أنك *تغافلت عن أحد أكثر الاحتياطات بساطة* . فلقد تركت بصمات أصابعك على الآلة الكاتبة الخاصة بـ " كاست " ـــــ وهي الآلة الكاتبة التي ، إن كنت بريئاً ، *كان من الممكن ألا تلمسها أبدًا* ".

جلس كلارك ثابتًا تمامًا لمدة دقيقة ، ثم بعد ذلك قال :

"*أحمق ، ضعيف ، فاشل* ! ـــــ لقد فزت ، يا سيد بوارو ! ولكن الأمر كان جديرا بالمحاولة ! " .

وبحركة سريعة بدرجة مذهلة أخرج مسدسًا أوتوماتيكيًا من جيبه ووضعه على رأسه .

صدرت منى صرخة ورجعت للخلف بشكل عفوى وأنا أنتظر سماع الانفجار .

ولكن لم يحدث أى انفجار ـــــ وسمعت قرقعة الزناد دون حدوث أى ضرر .

نظر إليه كلارك باستغراب وأقسم يمينًا .

قال بوارو : " لا ، يا سيد كلارك ، ربما لا حظت أنى أحضرت خادمًا جديدًا اليوم ـــــ صديق لى ـــــ لص خبير . قام بنزع مسدسك من جيبك ، ثم أفرغه من الطلقات ، وأعاده إليك ، كل ذلك وأنت غير مدرك لما يدور " .

صاح كلارك ، وقد احمر وجهه من الغضب : " أنت أيها القرد الأجنبى الصغير العجيب ! " .

" نعم ، هذا هو شعورك الحقيقى . كلا ، يا سيد كلارك لن يكون موتك سهلًا . لقد أخبرت كاست بأنك قد نجوت مرتين من الغرق . وأنت تعلم ما يعنى ذلك ـــــ بأنك ولدت لمصير آخر " .

" أنت ـــــ " .

لم تسعفه الكلمات . وكان وجهه شاحبًا . وقد أطبق قبضتى يديه مهددًا .

خــرج مخــبران مــن ســكوتلانديارد مــن الحجــرة المجـاورة . كـان أحـدهما هـو كـروم . الـذى تقـدم ونطـق عبارته الشهيرة :

" أحـذرك بـأن أى شـيء يقـال ربمـا يـستخدم كـدليل ضدك " .

قــال بــوارو : " لقــد قــال الكــثير" ، ثــم قــال لـ " كلارك " : " أنت ممتلئ بكبرياء متعـصب ، ولكننـى أعتبر جرائمك ليست إنجليزية على الإطلاق ـــــ جريمة ليست صريحة ـــــ وغير منصفة ـــــــ " .

الفصل ٣٥

الخاتمة

آسف أن أروى لكم أننى ضحكت بشكل هيستيرى عندما أغلق الباب وراء فرانكلين كلارك .

نظر إلىّ بوارو باندهاش بسيط .

قلت : " لأنك أخبرته بأن جريمته ليست منصفة " .

" كان ذلك صحيحًا تمامًا . فقد كانت جريمة بشعة ـــ ليس ذلك لقتل أخيه ـــ ولكن لقسوة الحكم على شخص تعيس بأن يحيا حياة ميتة . فاصطياد الثعلب ، ووضعه فى قفص وعدم تركه يهرب ! ليس شيئاً منصفًا !

تنهدت ميجان برنارد تنهيدة عميقة :

" لا أستطيع أن أصدق ذلك ـــــ لا أستطيع . هل هذا صحيح ؟ " .

" نعم، يا آنسة . إن الكابوس قد زال " .

نظرت إليه وقد تورد لونها .

التفت بوارو إلى فريزر .

" تملك خوف مستمر الآنسة ميجان أن تكون أنت الذى ارتكبت الجريمة الثانية " .

قال دونالد فريزر بهدوء :

" لقد تخيلت أنا نفسى ذلك فى وقت ما " .

" أكان ذلك بسبب الحلم الذى رأيتـه ؟ " ثـم اقـترب قليلاً من الشاب وخفض صوته حتى يكون الكلام سـرًا . " إن الحلم الذى رأيته له تفسير طبيعي . وهو أنك اكتـشفت أن صورة الأخت بدأت تزول مـن ذاكرتـك بالفعـل وحلـت محلها الأخت الأخري . فقد حلت الآنـسة ميجـان محـل أختها فى قلبك ، ولكنك لا تستطيع تصور عدم إخلاصـك السريع للفتاة القتيلة ، تحاول جاهدًا أن تقتل هذا التفكير لتقضى عليه ! وهذا هو تفسير الحلم " .

وجه دونالد نظره إلى ميجان .

قال بوارو بلطف: " لا تخـف مـن النـسيان ، فهـى لا تستحق أن يذكرها أحد . أما بالنسبة للآنسة ميجـان فقـد وجـدت فتـاة لا يوجـد منهـا الكـثير ـــــ *ذات قلـب رائع* ! " .

أشرقت عينا دونالد فريزر .

وقال : " أعتقد أنك على صواب " .

تجمعنـا حـول بـوارو نطـرح أسـئلة ، لنـستوضح هـذه الجزئية أو تلك .

" هذه الأسئلة، يـا بـوارو ، التـى طرحتهـا علـى كـل واحد منا. هل كان وراءها هدف معين ؟ " .

" البعض منها كان عبارة *عن دعابات بسيطة* . ولكننـى توصلت من خلالها إلى شيء أردت معرفتـه ـــــ وهـو *أن فـرانكلين كـلارك كـان فـى لنـدن عنـدما وصلت الرسـالة الأولى* ـــــ وأردت أيضًا أن أرى وجهـه عنـدما طرحـت

سؤالى على الآنسة ثورا . فلم يكن مستعدًا لهذه المفاجأة ورأيت الشر والغضب فى عينيه " .

قالت ثورا : " أنت لم تراع مشاعرى " .

قال بوارو بجفاء : " لا أتخيل أنك قد أعطيت إجابة صادقة عن سؤالي ، يا آنسة ، والآن خاب أملك الثاني . فـ " فرانكلين " كلارك لن يرث ثروة أخيه " .

رفعت رأسهاوقالت :

" هل يوجد ضرورة لبقائى هنا وإهانة كرامتي ؟ " .

قال بوارو وهو يفتح الباب لها بأدب: " لا توجد أى ضرورة " .

قلت باهتمام : " البصمة حسمت الأمر، يا بوارو ، فقد انهار تمامًا عندما ذكرت له ذلك " .

" نعم ، إن البصمات ـــــ مفيدة للغاية " .

ثم أضاف باهتمام :

" لقد وضعت هذا الدليل لكى أرضيك، يا صديقي " .

قلت صائحًا : " ولكن ، ألم يكن ذلك صحيحًا ، يا بوارو ؟ " .

قال هيركيول بوارو : " على الإطلاق، يا صديقي " .

لابد أن أذكر زيارة ألكساندر بونابرت كاست لنا بعد عدة أيام . فبعد أن صافح يد بوارو بحرارة محاولاً أن يشكره بتردد وتلعثم اعتدل السيد كاست وقال :

" هل تعلم ، أن جريدة قد عرضت على بالفعل مائة جنيه ـــ *مائة جنيه* ـــ فى مقابل رواية مختصرة عن حياتى وتاريخي . وأنا ـــ أنا لا أعلم حقًا ماذا أفعل فى هذا الموضوع " .

قال بوارو : " لو كنت فى مكانك لن أقبل مائة جنيه ، كن حازمًا . وقل المبلغ الذى أريده هو خمسمائة . ولا تقتصر على جريدة واحدة " .

" هل تعتقد حقًا ـــ أننى ربما ـــ " .

قال بوارو : " لابد أن تدرك أنك رجل مشهور جدًا . ومن الناحية العملية أشهر رجل فى كل إنجلترا حاليًا " .

اعتدل السيد كاست أكثر . وتهلل وجهه من الفرح .

" أتعلم ، أعتقد أنك على صواب ! مشهور ! فى كل الصحف . سأعمل بنصيحتك ، يا سيد بوارو . فهذه الأموال ستكون مصدرًا للسعادة ـــ مصدرًا للفرحة . سأقوم بقضاء إجازة قصيرة . . . . ثم بعد ذلك أريد أن أقدم هدية زفاف لـ " ليلى " ماربرى ـــ إنها فتاة عزيزة على قلبى ـــ فتاة عزيزة على قلبى حقًا ، يا سيد بوارو " .

ربت بوارو على كتفه مشجعًا إياه .

" عندك حق . تمتع بوقتك . و ـــ نصيحة بسيطة ـــ ما رأيك فى زيارة إلى أحد أطباء العيون . فنوبات الصداع التى تنتابك ، ربما يكون سببها أنك فى حاجة إلى نظارة جديدة " .

" أتعتقد أن ذلك هو السبب طيلة هذا الوقت ؟ " .

" نعم " .

صافحه السيد كاست بحرارة .

" أنت رجل عظيم ، يا سيد بوارو " .

وكالعادة ، لم يحقر بوارو من شأن المجاملة .

ولم ينجح أيضاً فى أن يظهر متواضعًا .

وعندما خرج السيد كاست وهو يختال فى مشيته كرجل مهم ، ابتسم لى صديقى القديم .

قال : " هكذا ، يا هاستنجز ـــــ لقد ذهبنا للصيد مرة أخري ، أليس كذلك ؟ *فلتحيا الرياضة* " .